

شرح أسماء الله الحسنى

لإمام التصوف أبي القاسم عبد الكريم القشيري

وتليه شرح أسرار الله الحسنى وتحقيقاته وشرحه
للأستاذ أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني



شرح أسماء الله الحسنى

لإمام التصوف أبي القاسم عبد الكريم القشيري

وطيه شرح أسماء الله الحسنى وتحقيقات وشرح
للأستاذ أحمد عبد المنعم عبد السلام الخوافي



حقوق الطبع محفوظة
للناشر

الطبعة الثانية
١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ

دار آزال

للطباعة والنشر والتوزيع

كورنيش المزرعة - مركز بيروت التجاري

هاتف: ٣٠١٧٤١ - ٣١٨٨٥٦ - ص ب ٦٢٩١ / ١٤

تلكس: 42171 KHALDY LE

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، إله العالمين ، الموجود المعبود ، الذي لا إله غيره ، تنزه عن مشابهة الحوادث ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير . لا آلاء إلا آلاؤه ، ولا نعساء إلا نعمائه . له الأسماء الحسنى ، والنور الأبهي والصفات العلية . قال تعالى : ﴿ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله ، خير الموحدين والمسبحين والحامدين والعبادين والساجدين ، أعرف الخلق أجمعين برب العالمين ، علماً وعملاً وكمالاً ونوراً وبهاءً وتبتلاً وقراءة وفرقاناً ، فرق الله به بين الحق والباطل . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ما دامت السموات والأرضين .

أما بعد ، فمنذ خمسة وأربعين عاماً وأنا أهتم بشرح أسماء الله الحسنى وأجمع كثيراً من كتب الذين شرحوها ، كالغزالي والزنجشيري وغيرهم ، وأنقب عن الشروح التي لم تطبع في المكتبات . فعثرت على فسحة مخطوطة لأبي القاسم عبد الكريم القشيري . وبقسالة قدره اشتريتها بثمن باهظ . وهي مخطوطة بخط كاتب لم يذكر إسمه ، وأرخ الإتهاء من نقلها غدية يوم الإثنين ٣ من رجب سنة ١٣٠٤ هـ . وأذكر أن من اشتريتها منه أخبرني أنها منقولة عن نسخة وحيدة في العالم موجودة بالعراق . ولم يبين لي مكانها وكنت أظن أن لها مثيلاً في أي مكتبة فلم أعن بطبعها ، وأخيراً وجدت بالبحث أنه لا مثيل لها في أي

مكتبة من المكاتب في الشرق أو الغرب . وفي سنة ١٩٦٨ م وجدت الدكتور إبراهيم بسيوني ، جزاه الله عن المسلمين خيراً ، خرج بكتاب اسمه : « التحبير في التذكير » وقال في مقدمته : « وبين أيدينا من هذا الكتاب نسختان : إحداهما خطية بدارالكتب المصرية التيمورية الفن - مجامع ٢٩٦ . مذيلة في نهايتها باسم ناسخها : عبد المنعم سلامة الدنجاوي الشافعي الأزهري . والثانية نسخة أكبر حجماً نقلناها من مخطوطة أقدم عهداً من الأولى ، موجودة في مكتبة الفردوس بمدينة دوشانبيه بالإتحاد السوفيتي ، وتقع بعد نسخها في ٧٨ صفحة ، وهي أوفى من النسخة المصرية . وقد قومنا النص على النسختين ، ورمزنا للسوفيتية بالحرف س وللمصرية بحرف م - ولما راجعت كتاب التحبير في التذكير الخاص بشرح أسماء الله الحسنى للقشيري والذي نقله الدكتور إبراهيم بسيوني وجدت فرقاً كبيراً بين النسخة التي تحت يدي وهذا الكتاب في كثير من العبارات ، ووجدت العبارات الواردة في النسخة التي تحت يدي أدق ، كما أن النسخة التي تحت يدي تزيد كثيراً في البيان والتوضيح ، وفيها أيضاً زيادات كثيرة لم تشملها نسخة التحبير في التذكير التي نقلها الدكتور حفظه الله . ولذلك رأيت أنه خدمة للعلم أن أعني بطبعها وإظهارها مهما كلفني الأمر .

وحيث أني كنت شرحت أسماء الله الحسنى شرحاً موجزاً وطبعته سنة ١٣٥١ هـ وكثيراً ما اهتمت بشروح أسماء الله الحسنى وهي كثيرة ولكن من أجلها وأكملها شرح الإمام القشيري . وشرحه تصوف مستقل ، لأنه يسترسل في الشرح إلى أن يصل إلى مواضع أخرى من مهمات التصوف ، وله لطائف من الإشارات في أحكام من التعبيرات وأصدق التأملات . ولا غرو فإن القشيري علم من أعلام التصوف السلفي السني ، خدم الدين والعلم . وإذا كان التصوف إسماً مستعاراً لعلم هو البحث عن الحقيقة وعن واجب الوجود لذاته والنجاة في الدار الآخرة والإتصال بالله ، فإن هذا يستدعي فهم الشريعة والقرآن وتعلم علومه والتفقه فيه وفي فهم أسراره ثم العمل بما جاء به والدأب على ذكر الله وتسبيحه ، وطلب مرضاته ، حتى يقرب الله العبد منه ويفتح عليه بأسراره

العظمى ويقوم العبد بمجاهدة نفسه حتى لا يحوله الشيطان عن طريقه . وإن للمتصوفة في هذا السلوك منازل كثيرة وامتحانات خطيرة عندما (تظهر لهم لوائح الأسرار ولوامع الأنوار وتخطي العقبات واجتياز الحجب) ، وصار أعلامهم يتلقون هذه المنازل وأحوال الغارقين في هذه الأعمال ، وما يظهر عليهم من الأحوال ، ويثبتونها كتجارب لأهل السلوك حتى يفيد منها السالكون فيعرفونها عند الوصول إليها فيزدادون اتصالاً ويعلمون مزالقها فيحذرون منها ، ويشد خوفهم حتى يصلوا إلى الدرجات العليا بسلام . ومن أهم الرجال الذين كتبوا في هذا المضمار هو الأستاذ القشيري ، ولا زالت « الرسالة القشيرية » هي أهم كتاب يفيد منه طالب الحق سبحانه وتعالى . ولذلك رأيت أن أحقق كتاب « شرح أسماء الله الحسنى » للقشيري ، عن النسخة الخطية الموجودة لدينا ، وأنشره وأضيف إليه بعض التعليقات والشرح الذي كنت ألفته وأشرت إليه سابقاً .

وأرجو أن ينفع الله به الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وأن يجزى الله الإمام القشيري عن الأمة الإسلامية خير الجزاء ، وأن ينفعنا ببركته .
وأرجو الله أن يغفر لي ذنوبي وتقصيري ، وأن يقبل عملي المتواضع فهو جهل المقل .

أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني

* * *

سبب اهتمامي بشرح أسماء الله الحسنى

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين العظيم المتعال . عظمته ذاتية . لا يدركها غيره من الخلق أجمعين إذ لا يدرك كنهه إلا هو . تأصلت في قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق ﴾ ؛ وله العظمة البادية في القدرة وفي صفاته العليا التي بينها للناس في آيات الكتاب الكريم . وفي أفعاله الحكيمة . التي تحار فيها العقول . فهو عظيم الذات عظيم الصفات .

ومن عظمة الله تعالى تفاوت أقدار الخلق في القوة والعطاء . حيث قدر الله أقدارهم إذ لو تساوى العطاء ما ظهرت العظمة . وقد ميز الله الرسل عن بقية الخلائق وميز عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالمرتبة العليا قال تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ . وثبت بالأدلة القاطعة التي لا مجال لذكرها هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق وأكثرهم نوراً ، وأسطعهم ضياءً ، وأكثرهم علماً ، وأقربهم من الله منزلاً وهو عبد ولكنه أفضل العبيد . وهو مخلوق ولكنه أشرف المخلوقات . فنوره أبهى الأنوار وأسبق الخلق في السير إلى الله تعالى وأعظمهم تحقفاً بصفات الله العليا متحققاً بها مما جاء في القرآن . ومنتحفاً بها من معراج الشهود حتى وصل مقام قاب قوسين أو أدنى وسيظهر فضله على الخلائق يوم يتوج بتاج الكرامة ويرفع لواء الحمد ويشفع في

الناس ويعرج إلى منزله الأعلى ومقامه المحمود . اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى . الذين تحققوا برسالته علماً وعملاً « أما بعد » .

فقد كان سبب شغفي بالتحقق من أسماء الله الحسنى ومعانيها . ما كنت أرى من ذكرها معانٍ تشع في نفسي لم أعهد لها من قبل . وكنت مواظباً على ذكرها والتسبيح طاعة لله تعالى وتقرباً إليه ومحبة فيه . وكنت أقرأ بعض كتب التصوف ولكن أرى من نفسي زهداً فيها ، لأن الحقيقة لا تؤخذ بالقراءة . ولا تصل إلى القلب إلا من فيض الله تعالى للمحبين لذاته . المغرمين بالجلوس إليه . المهيمين في جنبه . لا تثنيهم أي رغبة من الرغبات عن الحضور في حضرة الله تعالى . ولكني تأثرت كثيراً بأوراد سيدي أبي الحسن الشاذلي . ومذاقاته وتعبيراته التي تدل على أنه يترقى إلى مراتب خيار الأولياء . عن حقيقة لا أثر للانحراف فيها . فهي تجمع بين لباب الشريعة وإشراق شمس الحقيقة . وأنا لا أفرق بين رجال الله فكلهم تلاميذ المدرسة المحمدية وأحبهم حباً عظيماً خاصة من تحققت بفضلهم مثل الجيلاني والدسوقي والرفاعي وغيرهم من الأولياء الذين لم ينجحوا إلى البحث الفلسفي الذي أضر بكثير من السالكين الذين تكلموا في وحدة الوجود ومزالقتها التي قد تؤدي إلى الكفر وتشبهه على العامة والخاصة . وكذلك أصحاب وحدة الشهود ولو أنهم لا ينسب إليهم الكفر إلا أنهم منحرفون أيضاً لأن هؤلاء يقولون بأنه ليس في الوجود إلا الله . وأقواله وأفعاله . وهم في عماء لأنهم بذلك ينسبون أفعال البشر إلى الله تعالى وهذا سوء أدب ويسلمون بما يجري في الكون من الخير والشر على أنه من الله تعالى ومحسبون أن هذا من مقتضيات التسليم مع أن التكليف يوجب عليهم مجاهدة الشر وأهله وليسوا مكلفين بالإطلاع على الغيب ولا يطلع الله على غيبه أحداً . وهؤلاء إذا نزلت بهم نازلة جزعوا ، ولم يفهموا حقيقة التسليم وهو الرضا بالقضاء والصبر عليه ، فإن وصلوا لم يحسوا بالبلاء لأنهم مشغولون عن كل المخلوقات غابوا عنها بالحضور بين يدي الخالق ، والبلاء مخلوق ، والحمد لله رب العالمين تشمل الشكر على السراء والضراء ، لأن هذا شأن المالك وهؤلاء مخطئون لأنهم

يشهدون غير الذات إذ يطلبون الدليل من المصنوع على الصانع ، وينظرونهم إلى المخلوقات على أنها أفعال الله إشتغلوا بغير الله وهم بذلك ينظرون إلى غير الله تعالى ، وهم واقفون عند الأدلة . وأما أهل الشهود الحقيقيين قد خرجوا من الدليل إلى اليقين لا يشهدون ما سوى الله تعالى . غابوا عن الخلاق في شهود رب العزة في عجز وانكسار يذكرون عقبى الدار فهؤلاء أهل الشهود الحق .

لم يتكلم الصحابة ولا خيار التابعين ولا الأئمة المجتهدون في فلسفة وحدة الوجود أو وحدة الشهود إنما كان عملهم أسوة بالمصطفى عليه الصلاة والسلام ويعملون بالقرآن ويؤمنون بكلماته على ما أراد الله منها إذا عجزوا عن فهم حقيقتها يخافون ربهم لا يتكلمون إلا بالقرآن وما يلهمه الله لقلوبهم في ساعات الإشراق الصافية بعد أن يتحققوا. أن الشيطان لم يلبس عليهم حالهم .

ومع أي اعتراف لشيخي سيدي أحمد البدوي بالفضل عليّ من صغري . ولكن كنت أنظر للشاذلي على أنه ذو مدرسة عالية وأوراده كثيرة باقية . وفي يوم من الأيام ذهبت لزيارة السيد البدوي في مولده ودخلت المسجد الأحمدي وخطر لي خاطر : هل الشاذلي أرقى من البدوي أم البدوي أرقى من الشاذلي ؟ وأين تراث البدوي العلمي ؟ وهل كان صاحب أحوال فقط ، إشتهر بها أم كانت له منازل ؟ وعند ذلك وقفت عن زيارة الضريح لأنني رأيت من نفسي سوء أدب . وأنه يزار في مولده ليس من البشر الأحياء فحسب بل إنه يزار من أرواح النبيين والصديقين والشهداء ذلك لأنني رأيت في منامي مرة أني دخلت أزور السيد البدوي فشعرت أن القبر يخبيء تحتة قصراً عظيماً . وأن رسول الله وآل البيت وكثيراً من الصحابة والأولياء يزورون السيد في مولده فلما شعرت بذلك رأيت أنه من سوء الأدب الزيارة في هذا الوقت فأردت الخروج فخرج من القبر سيدي أحمد البدوي فوجدته طويل القامة مشرق الوجه عليه صفة يلبس حراماً أيضاً كهيئة العرب وقال لي : أنتظر وسلم عليّ بقوة وأعطاني شيئاً فخرجت .

لذلك أعلم أن الأرواح لها كهرباء سيال وشعور خفي بخواطر السالكين وذلك منذ خمسة وأربعين عاماً وكنت في مبادئ السلوك .

وإني بخاطر المفاضلة سئىء الأدب فيما لا أعرفه فإني لست من الدرجة التي أتعرف فيها أقدار الرجال . ويجب أن يلتزم الإنسان بحسن الأدب في حضرة هذه الأرواح فجلست بالمسجد من الساعة العاشرة صباحاً . وكان بالمسجد درابزين خشب أمام مقام سيدي مجاهد فأسندت ظهري إليه وجلست وأغمضت عيني وكنت أذكر « سبحان الله » وفي هذه الحال شعرت في خيالي أني صعدت إلى السماء فوق الصحن . وكأني ببعض الملائكة يسألني كبيرهم : ما معنى سبحان الله ؟

قلت : « تنزيه الله تعالى » . قالوا : وما التنزيه ؟ قلت : أنه واحد لا شريك له . قالوا : أين الله ؟ قلت : لا أين . قالوا : كيف الله ؟ قلت : لا كيف . قالوا : هل تدرك ربك ؟ قلت : « لا تدركه الأبصار » قالوا : أنت قليل المعرفة لأنك تعرف وجود الله تعالى ولست سائراً في مسالك الوصول إليه . قلت : وكيف أسلك ؟ قالوا : إن الذات محجبة بالصفات . ومن لم يتأصل بمعرفة صفات الله تعالى لا يصل إليه في أي وقت ، في الدنيا أو الآخرة وإن معرفته في الدنيا هي أساس معرفته في الآخرة وكل إنسان يقبض على درجة معرفته . وأهم المعرفة التحقق من صفات الله تعالى علماً وعملاً والتزود منها إلى أن يلهم العبد أسرار صحف إبراهيم وصحف موسى وزبور داود وإنجيل عيسى ويتوج بعلم ما في القرآن من صفات الله تعالى والتحقق بأسمائه الحسنى، وهنا حصلت مخاطبة تذوقتها روحاً لا أستطيع التعبير عنها كلاماً مهما أوتيت .

وحيث كنت في هذا الحال لم أكد أغمض عيني في هذه الأسئلة والأجوبة حتى كأنها لحظة وإذا برجل في جواربي يقول لي: أفق. فرأيت أنهم يقيمون الصلاة لصلاة الظهر ، فصليت وسلمت وأغمضت عيني وكأني في الوقت والتو، وإذا برجل يقول لي أفق صل العصر ! فوجدت الناس يقفون لصلاة العصر ، فدهشت فصليت معهم ! أغمضت عيني فإذا بصلاة المغرب وسلمت وأغمضت عيني فإذا بصلاة العشاء ! وسلمت وأغمضت عيني فإذا قائل يقول لي ، أفق

الساعة الواحدة صباحاً . ومر ذلك كله كالحظة لم أدرك فيها الزمن وإذا خاطر
يخطر لي : ما حصل لك خاطر يسير . ولحظة من شهود لو استمرت لغبت
عن الخلائق إلى الأبد ولقد تحمل شيخك البدوي هذا مدى حياته . فهو يترقى
في الحياة وبعد الممات مجذوباً إلى الله تعالى وهذا سبب محبة الخلائق له ولكل ولي
من أولياء الله شراب من الحقيقة يشربه . وتنوع مذاقاتهم وتقوت أرواحهم
بنور الحق سبحانه وتعالى فالزم الأدب بالنسبة لأهل المراتب العليا . فإنك في
مبتدأ الطريق ومبادئ السلوك . ومن يومها وأنا أحب معرفة أسماء الله الحسنى
وأتلذذ بشروحها وأطلب من الله أن يحققني بالصفات منة منه تعالى لأن عملي
قاصر . ونفسي عاجزة . إلى أن يكرمني الله بزيادة من عنده وفيض من كرمه .
لأن قدرتي وعملي لا يستحق بلوغ أي مرتبة من هذه المراتب . وعلى الله قصد
السييل .

* * *

ترجمة مختصرة للإمام القشيري

هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رضي الله عنه
الملقب بجمال الدين .

ولد في ربيع الأول عام ٣٧٦ هجرية الموافق يوليو ٩٨٦ ميلادية . وتوفي يوم
الأحد السادس عشر من ربيع الآخر عام ٤٦٥ هجرية، وهو من قبيلة قشير
العدنانية ، وأمه سلمية ، وهو عربي الأصل . أصيل المحتد ونشأ القشيري في
نيسابور . وانقطع من صغره إلى تعلم الفقه والعلوم الدينية مشغولاً بها من
صغره ولا يهتم بغيرها . وكان يتلمذ في أول أمره على الإمام الأسفراييني وكان
يرى فيه النجاسة من صغره ما سأله عن شيء سمعه إلا أعاده عليه من
حافظته . وكان يقربه منه . وساقته الأقدار إلى رجل من الأولياء عالم شريعة
وحقيقة . بلغ من المعرفة أعلاها . قلبه يتعلق بالله لا يفتر عن ذكره . تلوح عليه
الأنوار . يعظ الناس وتخرق موعظته القلوب بالرغم منهم وتنفذ فيهم كلماته
نفاذ الكهرباء . يكشف السالكين بأحوالهم ويلاحظهم في مدارج الترقى فيفتح
لهم آفاق المعرفة بالله فيتواجدون ويتذوقون ويعشقون ربهم ويحبون أستاذهم
ويتفانون في طاعته طاعة الله تعالى ذلك هو الإمام أبو علي الدقاق من أجل
التصوفة في عصره وفي جميع العصور نفع الله به خلقاً كثيرين . لازمه الإمام
القشيري وأجبه وأطاعه بقلبه وعقله وجنانه وكلما ترقى إزداد معرفة بالشيخ
وتقديرأ له . ومع أن القشيري ترقى إلى أعلى المراتب فلم يخدعه الشيطان ولم
يتعال على شيخه أبداً ولم يفتنه الخلائق إذ ظهر إسمه وذاع صيته . ولمع نجمه .
ومن حبه لشيخه ومن حب شيخه له زوجه إبنته . وكان من دواعي ذلك أن
يرفع التكليف بين التلميذ وشيخه ولكن القشيري لم يزد إلا إحتراماً لشيخه .

ومعرفة بحقه فكان ذلك سبباً في زيادة درجاته وبذلك أظهر الله علمه ونفع به على مر العصور .

يقول القشيري : « لم أدخل على الأستاذ أبي علي رحمه الله في وقت بدايتي إلا صائماً وكنت أغتسل قبله وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب إحشاماً من أن أدخل عليه فإذا تجاسرت مرة ودخلت ، كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خدر حتى لو غرز في إبرة مثلاً لعلي كنت لا أحس بها . ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لي لم أحتج أن أسأله بلساني عن المسألة . فكلما كنت أجلس كان يتندى بشرح واقعتي وغير مرة رأيت منه هذا عياناً . وكنت أفكر في نفسي كثيراً إنه لو بعث الله عز وجل في وقتي رسولاً إلى الخلق هل يمكنني أن أزيد في حشمته على قلبي فوق ما كان منه رحمه الله تعالى . فكان لا يتصور لي أن ذلك ممكن . ولا أذكر أي في طول إختلافي إلى مجلسه ثم كوني معه بعد حصول الوصلة أن جرى في قلبي أو خطر ببالي عليه قط إعتراض إلى أن خرج رحمه الله تعالى من الدنيا » الرسالة ص ١٤٧ . وقد رأى أستاذه أبو علي الدقاق أن تلميذه القشيري بلغ مرتبة الرجال صدقاً وعلماً ومعرفة فأذن له بالتدريس وعقد له مجلس علم في مسجد المطرز وهو في الثلاثين من عمره ، وكان القشيري جل وقته يعكف على التأليف دون إنقطاع ، ووصلت كتبه التي ألفها إلى خمسة وعشرين كتاباً . منها التيسير في التفسير ، ولطائف الإشارات ، والرسالة القشيرية التي هي جوهرة كتبه وأكثرها إنتشاراً ونفعاً في جميع العصور . عكف عليها أهل التصوف وأهل العلم جميعاً يتدارسونها للآن ويفيدون منها فائدة كبرى . ومنها : القصيدة الصوفية والتوحيد النبوي واللمع ، والفصول ، والفتوى ، والمقامات الثلاثة ، والمعراج . إلى غير ذلك مما لم يعرف . وقد يكون غاب في خزانات الكتب ولم ينشر للآن مثل كتابنا هذا . ولم يسلم القشيري من التعرض للفتن في حياته وقد قبض عليه هو وإمام الحرمين وأبي الموفق ونفوا ومنعوا من التدريس . وكم أهينوا في الطرقات ولطموا على خدردهم وظهورهم ، وتحمل ذلك بصبر وشجاعة ولم يحد عن الحق كما حصل لأعلام

الأئمة جميعاً ليكونوا أسوة لغيرهم. في عدم التحول عن الحق والجهاد في سبيل الله .

وقامت معركة من الشعب لإخراجه من السجن فلما خرج وُشي به ثانية عند السلطان فأمر بنفيه من البلاد فتغرب القشيري وسار يرحل في البلاد معلماً فأحبه الناس وانتفعوا بعلمه إلى أن وصل إلى الخليفة العباسي - القائم بأمر الله - فقربه منه . وصار يعقد له مجالس الدروس في حضرته ويحضرها بنفسه مكرماً معزراً .

وقد سافر إلى الحج واجتمع بالجويني في مكة ودعي للخطابة في المسجد الحرام فاجتمع الناس لسماعه وأنصتوا وعجبوا من علمه ووعظه ودعا فأمن الناس على دعائه بضراعة وتوجه إلى الله تعالى وشهد له الجمع . ومن كراماته أنه وهو على المنبر بلغهم أن حاكم خراسان يقطع إرباً إرباً إذ قال : « يا أهل خراسان بلادكم بلادكم . إن الكندري غريمكم يقطع الآن إرباً إرباً . وإني أشاهده الساعة وقد تمزقت أعضاؤه » فكان كما قال .

ومنذ ذلك الوقت عاد القشيري بعد غربته إلى بلاده وقربه نظام الملك إليه وتلمذ عليه . وانتفع بالقشيري خلق كثير علماً وعملاً ويعتبر بحق مؤسس علم التصوف على قواعده الأصلية وأصوله القوية وأنجب أولاداً كانوا أهل بركة من نبت طيب أمماً وأباً فانتفع بهم الناس وله كرامات كبرى تتوالى على الأيام ولا يزال يترقى وهو في الدار الآخرة ما انتفع الناس بعلمه كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » وقد اكتمل له الثلاث ، وتوفي عن تسع وثمانين سنة مباركة نفعنا الله ببركاته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قال الشيخ الأستاذ الأمام جمال الدين أبو القاسم عبد الكريم
ابن هوارن القشيري رضي الله عنه الحمد لله القديم
الذي لا يستفتح له وجود الحكيم الذي لا يستفتح منه
وجوده العظيم الذي لم يلد له والد في ربه مولود الكرم
الذي لا يبارزه معبود الواحد الذي لا يقوم بذاته
حادث الماجد الذي لا يرثه وارث القاهر لأبغوان
وإضمار الظاهر لخواطر وأفكار العالم لا يكسب
واضطراب الدائم لبرهان ومقدار المرید لا يتوطين
نفس المبدئ المعيد للدفع نقض أو جلب انس •
السميع الباصفاء البديع البتأمل وأرتياها البصير
لاجدقة وحاسه القريب لا يمكن وممانه المتكلم
لا بلسان ولهياة المقدس عن كل آلة وإداة الموصوف
بنفوت ازليه المنفوت بصفات ابدية خالق الخلق
بقدرته وباسط الرزق برحمته ومحكم الأفعال بعلمه
وحكمته ومبزم الأشياء بقضائه وسينئته المليك
الذي لا يبارزه شريك الجليل الذي لا يبارزه
جديل

حبري ما نقول فيما بلونك بما نلته واما ما يجب
على العبد من الصبر فهو الصبر على ما امر الله تعالى
به من اوامره والصبر عما نهى عنه من محارمه
والسكون تحت ما يجري قضاؤه وقدره
وقضاه الله تعالى لذلك بحبه ورحمته انه
على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد بنبيه
وعلى اله وصحبه وعترته وسلم تسليما انتهى
كتابنا لهذا ونحن على وصفه الاختصار
وسبيل الاجاز ونسأل الله تعالى
العفو عما وقع فيه من الخلل

الله روف رحيم

ولحمده

على

كحاله

وكان تمام نسخة غنوية يوم الاثنين الموافق لثلاثة
من شهر رجب المبارك ١٣٠٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأستاذ الإمام جمال الدين أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن
القشيري رضي الله عنه :

الحمد لله القديم . الذي لا يستفتح له وجود الحكيم الذي لا يستقيح منه
موجود . العظيم الذي لم يلد له والد فيرثه مولود . الكريم الذي لا ينازعه
معبود . الواحد الذي لا يقوم بذاته حادث . الماجد الذي لا يرثه وارث القاهر
لا بأعوان وأنصار . الفاطر لا بخواطر وأفكار . العالم لا بكسب وإضطرار .

الذكر : يطمئن القلب ، ويرفع الغفلة ، ويذهب الرين ، ويدعو للإستغفار عن
ماضي الذنوب وينهي عن الفحشاء والمنكر قال الله سبحانه وتعالى ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة
أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ وهو يجلو
الفهم . ويدعو إلى التوحيد والحضور وهو طعام العوام والخواص ومن الله به على عباده
فأجازهم به في جميع الأوقات وعلى سائر الحالات والهيئات مع صدق القلب والإخلاص
لوجهه الكريم وهو أفضل الأعمال بعد تلاوة القرآن في الصلاة قال الله سبحانه وتعالى
﴿ إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا
أنبيكم بأفضل أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تلقوا
عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . وخير لكم من إعطاء الذهب والورق قالوا وما
هو يا رسول الله قال ذكر الله تعالى » وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق
المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله كثيراً » والذاكر يرى حلاوة الإيمان في قلبه من
قراءة القرآن . لا يجدها غير الذاكِر إلا بعد جهد . وقارئ القرآن لا بد له من الإستعداد
للقراءة . والتوجه إليها والحفظ . ولا يتوفر ذلك في جميع الأوقات ولا مع جميع الأفراد .
والذاكر . يجالس الناس ويتكلم وعلى كل حال يذكر ليكون طالباً أو حاضراً مع ربه الكريم
في جميع الحالات . فيكون في كنف الله خالصاً من وخز الشيطان قال الله سبحانه وتعالى
﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ وقال ﴿ ومن أعرض عن
ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

الدائم لا بزمان ومقدار . المرید لا بتوطين نفس . المبدئىء المعید لا لدفع نقص أو جلب أنس . السميع لا بإصغاء . البديع لا بتأمل وإرتياہ ، البصیر لا بحدقة وحاسة . القریب لا بمكان ومماسة . المتكلم لا بلسان ولهاة . المقدس عن كل آلة وأداة . الموصوف بنعوت أزلیة المنعوت بصفات أبدیة . خالق الخلق بقدرته . وباسط الرزق برحمته ومحكم الأفعال بعلمه وحكمته . ومیرم الأشياء بقضائه ومشیتته . الملك الذى لا ینازعه شریك . الجلیل الذى لا یضارعه عدیل ، لیس كمثلہ شیء وهو السميع البصیر ، یفعل ما یشاء وهو على كل شیء قدير .

أحمدہ على ما عرفنا من توحیده وأشكره على ما خصنا به من تسدیده وأستغفره لما سلف من عصیانه وأستوفقه بفضلہ وإحسانہ . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریك له شهادة تصدر عن حقيقة یقین وعرفان . لا عن تخمین وحسبان . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبیہ وخلیلہ . بعثه بعد دروس السبل . وطموس الملل . وعبادة الأوثان وكثرة الطغیان وإندراس البهران . فقام لدين الله ناصحاً ، ولمعالم الشرك فاضحاً . ولعبادة الأصنام قامعاً . ولملة الإسلام شارعاً ، وعن الآفة برياً . وفي الدين قویاً صلوات الله علیه وسلامه وعلى آله الذين اختارهم الله وطهرهم . وأصحابه الذين اجتباهم وآثرهم . أما بعد فقد كثر سؤال الراغبین في علم التذكیر منا في إملاء كتاب یشتمل على أبواب في هذا الفن یكون تبصرة للمبتدئین ، وتذكیرة للمحققین . وكنت أزهده في الإجابة إلى ذلك لما ظهر من الخلل في هذه الطريقة . وإیثار كثير ممن ینتمی إلى هذه الصنعة العرض الیسیر مما یجمعه من حطام الدنيا على ما أعد الله سبحانه لأهل العلم إذا نصحوا لله ولرسوله وللمؤمنین من الدرجات العلام والمثوية الحسنی . ولما إنضاف إلى خطأ مقاصدهم في الأغراض . خطأ مقاتلتهم . وخطل كلماتهم حتى قل التحقیق وشاعت البدع على الأفواه وزال التمییز وكثر المتعاطون لهذه الحالة والمتصفون بهذه الصفة رأیت في حكم النصیحة في الدين ومقتضى ما أخذہ الله على العلماء من ترك الكتمان للحق أن أملى كتاباً جامعاً یشتمل على

حضور مجلس موسمي صالح من هذا العلم يتحقق به من تأمله وربما لا يتفق لبعض الراغبين في الإيعاظ حضور مجمع الذكر فيعتاض بالنظر فيه عما فاته من التذكير . وضمنت الكتاب معاني أسماء الله تعالى الحسنى وآثرت الترتيب فيه لما روي من قوله صلى الله عليه وسلم إن الله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة . وقدمت أبواباً على هذه الأسماء ثم أفردت لشرح كل إسم باباً . وبالله سبحانه أستعين في إتمام ما ابتدأته وإياه أسأل العصمة من الخطأ والخطل وترك الصواب والزلل ، إنه على ذلك قدير وبلن به جدير .

« باب في معنى قوله تعالى والله الأسماء الحسنى فادعوه بها . . . » الآية .

اعلم أن سبب نزول هذه الآية أن رجلاً من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين يدعون الله تعالى مرة . ويذكرون الرحمن الرحيم مرة فقال ما باله ينهانا عن عبادة الأصنام وهو يدعو إلهين إثنين يقول مرة الله ومرة الرحمن . فانزل الله تعالى : والله الأسماء الحسنى وأراد به والله التسميات ولذلك قال الحسنى . وهي تأنيث الأحسن ففي الآية دليل على أن الإسم هو المسمى في قوله والله الأسماء الحسنى لأنه لو كان الإسم غير المسمى لوجب أن تكون الأسماء لغير الله تعالى وفي الآية تعلق أيضاً لمن قال إن الإسم غير المسمى حيث قال الأسماء الحسنى . وهو سبحانه واحد والأسماء جمع فلا بد من صرف اللفظ من

الذكر وثوابه وكيفيته وأدابه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ملائكة يطوفون في الطرق يتلمسون أهل ذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هللموا إلى حاجتكم فيخفونهم بأجنتهم إلى سماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي . فيقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . قال فيقول هل راؤني فيقولون لا . فيقول كيف لو راؤني . فيقولون لو راؤك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً قال فيقول فما يسألون فيقولون يسألونك الجنة فيقول هل راوها فيقولون لا يا رب ، فيقول كيف لو راوها فيقولون لو راوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة قال فممن يتعوذون . فيقولون يتعوذون من النار . فيقول هل راوها فيقولون لا يا رب فيقول كيف لو راوها فيقولون لو راوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة قال فيقول أشهدكم أني

الظاهر إلى المجاز فلهذا قلنا إن المراد به والله التسميات ووصف أسمائه بالحسنى يرجع إلى ما تتضمنه وتدل عليه من صفات العلو ونعوت العظمة والكبرياء أو إلى ما يستحقه الذكور والداعي له بتلك الأسماء من جزيل الثواب وحسن المآب . وقوله جل ذكره ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ أي عرضوا عن أهل الإلحاد في دينه . يريد لا تسلكوا سبيلهم ولا توافقوهم على طريقهم وخالفوهم في مذاهبهم . ومعنى الإلحاد : الزيغ والذهاب عن السنن المستقيم والميل عن الطريق القويم . ومنه اللحد في القبر . والإلحاد في أسناء الله تعالى على وجهين : بالزيادة على ما أذن فيه أو النقصان عما أمر به . فالأول تشبيه ، والثاني تعطيل ، فإن المشبهة وصفوه بما لم يؤذن فيه . والمعطلة سلبوه ما اتصف به . ولهذا قال أهل الحق : ديننا طريق بين طريقين ، يعني لا تشبيه ولا تعطيل . وسئل الشيخ أبو الحسن البوشخي عن التوحيد فقال : إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات . وقد اختلف الناس في اشتقاق الإسم فمنهم من قال إنه من السمو وهو العلو والرفعة . ومنهم من قال إنه من الوسوم والسمة ، وهو الكي والعلامة فعلى مقتضى إختلافهم من عرف أسماء الله تعالى يجب أن يتصف بهذين الوصفين بالسمو والسمة . فتعلوهتمته عن مساكنة الأغيار وملاحظة الرسوم والآثار . والرضا بخسيس الأقدار ويتسم بعبادة الجبار

قد غفرت لهم . قال فيقول ملك منهم فيهم فلان عبد خطاء ليس منهم إنما مر لحاجة فجلس فيقول وله قد غفرت . هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن أبي مسلم الأغر قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنها شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حقتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » أخرجه مسلم والترمذي وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت » أخرجه البخاري ومسلم . وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ﴾ من هذا نستدل دلالة واضحة على كثرة ثواب الذاكرين في حلق الذكر وأجل أن يذكر الذاكرون بصوت وأحد

ويتصف بنعت الإفتقار ويقوم بين يدي ربه بشواهد الإنكسار ويبرز في ميدان الإضطراب وخمار الإحتقار .

فصل : من عرف إسم ربه نسي إسم نفسه . بل من صحب إسم ربه تحقق بروح أنسه . قبل وصوله إلى دار قدسه . بل من عرف ربه سمت رتبته . وعلت في الدارين منزلته . بل من عرف إسم ربه وسمه بكى حسرته لما مني به من طلبته . وحيل بينه وبين مقصوده لجلالة قدره وعزته .

فصل : « والله الأساء الحسنى » . من عرف أساء الله تعالى حسن إسمه في الدنيا والآخرة وجاء في الحكاية إن بشراً الخافي كان في بداية أمره من الشطار فرأى يوماً من الأيام قطعة من قرطاس عليها إسم الله مكتوب فأخذ القرطاس ونظفه واشترى بذرهم طيباً فطويه ثم نام فرأى فيما يرى النائم كأن قاتلاً يقول له يا بشر طيبت إسمى فوعزتي وجلالي لأطيين إسمك في الدنيا والآخرة فإلى يوم القيامة يقولون بشر الخافي كم من غني كان لا يمشي إلا ركباً ويستنكف أن يكون خافياً مات إسمه بموته . وهذا كان فقيراً خافياً بقي على الأحقاب ذكره ليعلم العالمون أنه لا يخسر أحد على الله ولا يضيع عمل عند الله . وقيل لبشر لم تمشي خافياً فقال الأرض بساطه وأنا أكره أن أباشر بساطة بواسطة بينه وبين قدمي . وقيل لم يخرج أحد من الدنيا كما دخل فيها مثل بشر فإنه كان عليه ثوب في مرض موته فاستوبه إنسان شيئاً فأعطاه ثوبه ومات في ثوب استعاره . فلما

على قلب رجل واحد . ذكر البخاري تعليقاً عن عمر كان يقول « قم بنا نؤمن ساعة » وبقية هذا الحديث في منتخب كنز العمال أن عمر كان يقول لعاذ « قم بنا نؤمن ساعة » فيقفان ويقولان لا إله إلا الله ولا إله إلا الله جماعة ويقول عمر هي هي ورب الكعبة . وجاء في النبذة السنية في أصول وآداب الطريقة الخلوتية لجدنا الشيخ أحمد الخلواني في باب الذكر وأدابه عند الذكر جماعة ما نصه : وأن يذكر بهمة وقوة وعزم وأن يهتز من فرق رأسه إلى أصل قدميه فإنه أبعث للهمة وأقرب للفتح وأن يبدأ بلا يمينا ويرجع باله فيتوسط ويختم بالا الله يساراً قبالة القلب . فإن ذكر إسم مفرداً كالله وهو ضرب بدقته على صدره وقد روى أبو نعيم عن الفضل بن عياض رضي الله عنه قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يمينا وشمالاً كما تتمايل الشجرة في الريح العاصف إلى قدام ثم ترجع

آثر الله على الكل آثره الله على الجميع وما أصدق قول قائلهم ليس العز بالماء والطين . والتكبر على المساكين إنما العز بطاعة رب العالمين ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من كتاب يلقي بموضع من الأرض فيه إسم من أساء الله تعالى إلا بعث الله إليه ملائكة يخفونه بأجنحتهم حتى يبعث الله إليه ولياً من أوليائه فيرفعه من الأرض . ومن رفع كتاباً فيه إسم الله تعالى رفعه الله في عليين وخفف عن أبويه وإن كانا مشركين . ويروى عن منصور بن عمار قال كنت مولعاً في صباي برفع القراطيس من الأرض حتى عرفت بذلك وكان الصبيان أيضاً أولعوا بي فبينما أنا ذات يوم في صحراء إذ وجدت قرطاساً فيه لا إله إلا الله فرفعته ولم يكن بازائي حائط ولا شيء أرفعه فيه فبلعته فرأيت في تلك الليلة هاتفاً يهتف بي ويقول يا منصور إن الله عز وجل سيرى لك ما فعلت .

فصل : علم الخالق سبحانه أنه ليس لك أسامي مرضية فقال ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ولأن تكون بأسماء ربك داعياً خيراً لك من أن تكون بأسماء نفسك مدعياً فإنك إذا كنت بك كنت بمن لم يبق وإذا كنت به كنت بمن لم يزل فشتان بين وصف ووصف .

فصل : عد أسماءك الجميلة وخصالك الحميدة ثم عطف عليك وأحسن بفضله إليك وجعل لك أسماء جميلة وخصالاً حميدة بعد أن لم تكن لك ومدحك

إلى وراء « وفي الحديث : « مثل المؤمن كخامة الزرع يفيئها الريح مرة هنا ومرة هنا » فلا عبرة بانكار بعض الناس على التمايل في الذكر نعم إن خرج إلى حد التكسر والرقص كما ابتدعه الناس اليوم حرم إلا إذا خرج عن صحوه « - إنتهى - هذا في ذكر الحلق والجماعة وعلى العبد الذي يريد أن يتقرب إلى ربه أن يذكر في كل وقت جماعة وأنفراداً . أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة : ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى أحد مشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة أي عليه تبعه . وأخرج البخاري ومسلم والترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

وأطراك وأثنى عليك بما وسمك به وحلاك . فقال عز وجل التائبون العابدون الحامدون إلى قوله والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله . فذكر أسماءك الحسنی ثم أمرک بأن تذكر أسماءه الحسنی ثم علم عجزک عن القيام بحق ذکره فناب عنک حيث عرفک ذکره فقال « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس . . » الآية . وسئل بعضهم متى يصير الغني بليغاً فقال إذا ذكر محبوبه وأثنى عليه .

فصل : عرفت أسماء ربك . فليت شعري بما تسمى غداً أشقيا تدعى فتبكي اليوم حسرة . أم سعيداً تدعى فتطيل النوم فرحة لا سلبكم الله ما أعطاكم من مراهبه ونعمه ولا نزع عنكم ما حلاكم به من فضله وكرمه بمنه وبمنه إنه ذو الفضل العظيم .

يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرتني في ملأ خير منه وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً . وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة . . وليكون الذاكر قرير النفس مستعداً لفيوضات ربه يحسن أن يعنى بطهارة ثوبه وبدنه وطهارة قلبه وإستحضاره معنى الإسم الذي يذكر ما استطاع . وإذا وجل من شيء يقرأ الفاتحة لشيخه ثم يستشفع بالصلاة على النبي ويعتقد أنه صلى الله عليه وسلم يحضره في جميع أعمال التقوى فلا يخاف ما دام مقصده وجه الله ورضوانه وليذكر باسم من أسماء الله الحسنی . أو بتلاوتها كلها متتابعة وليكون متمكناً فليأخذ الأذن بالذکر من شيخ عارف ليترقى مع المرید فيما يصلح له من الذکر بأسماء الله الحسنی . ^١ بن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة إن الله وتر يحب الوتر » وفي رواية من أحصاها . ^٢ أخرجه البخاري ومسلم بدون ذكر الوتر . والترمذي زاد فعدها كما سيأتي في شرح الأسماء .

ومهما بلغت الشروح فلا تبلغ من معانيها إلا شرحاً يسيراً . وليست هذه معاني أسماء الله الحسنی بالتحديد أو الحصر فليس لمعانيها نهاية إنما هي لتوجيه وجدان الذاكر للإشتغال بالمعاني عند الذكر وقد يفاض على قلب الذاكر في الإسم الواحد من معاني الأسماء كلها وخصوصياتها ما يكسبه خيراً كثيراً فلو نظر في معنى اسمه تعالى الحق أنه ثابت لا يزول للرأى أنه واجب الوجود لذاته فهو أحد واحد صمد حي قيوم رحمان رحيم سميع بصير عليم قدير خلاق وكل صفة تستكمل باقي الصفات إنما يختص كل إسم بإظهار الصفة الخاصة به حتى يتحقق الذاكر بها في مقام العبودية إيماناً وإعترافاً وخوفاً ورجاءاً ونوراً وهيبة وقرباً ومعرفة وفضلاً وكرماً ولا يتحقق الذاكر بالإسم حتى يخالطه في وجدانه وعقله وفي عصبه ودمه وفي قلبه وروحه ويظهر

باب في معنى

قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن . . . ﴾ الآية

هذه الآية في سورة بني إسرائيل ، وهي مكية وسبب نزولها أن المسلمين من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا ما لنا نسمع ذكر الرحمن في القرآن كثيراً ، وهو في التوراة كثير ، فأنزل الله سبحانه . قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، الآية ، والدعاء في القرآن على وجوه خمسة منها : الدعاء بمعنى العبادة قال تعالى في سورة يونس ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾ أي ولا تعبد ، وقال تعالى في سورة الأنعام ﴿ قل أئدعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ﴾ أي أئعبد . ومنها الدعاء بمعنى الإستعانة لقوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ أي استعينوا بهم ومنها الدعاء بمعنى السؤال . قال تعالى في سورة المؤمن ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ أي سلوني أعطكم وقال تعالى في سورة البقرة ﴿ فادع لنا

نور الإسم على الوجدان فيصفيه وعلى العقل فيذكيه وعلى العصب فيقويه وعلى الدم فينقيه وعلى القلب فينيره ويحييه وعلى الروح فيرقبها ويشعشعها ويروحها بنشوة الحب والشوق إلى خالقها فلا تغفل حتى تعود إلى بارئها وتسعد النفس بئداء الحق والأمان ﴿ يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ وحينئذ لا يثبذ سمعه إلا بالإسم الذي يذكره فلا يسمع لهواجس الشيطان ودماسس النفس وينعكس بصره في بصيرته فلا تقر عينه إلا بمشاهدة أنوار ربه ولآلئ المعاني بعيداً عن رؤية المحرمات والإغراق في اللذات التي تجعل البعيدة خامدة مكبوبة في البصر أسيفة ويكون قلبه مستغرقاً في شهوده فلا يرى غاية ولا مطلباً إلا رضاه و مشاهدته أنواره فتنتجلي له ظلمات الحوادث وكثافات الحس ولذلك لا يمل من الذكر ولا يعشق غيره . فإن رأى المرید ملالة أو سأمأ أو ركوداً أو غفلة . أو ركوناً إلى الخلائق في نعمة أو لذة أو حب جاه ومدح أو خوف لوم وذم فليعلم أن النور لم يخالطه مخالطة وإنما هو حيث يذكر يتعرض له والله أسأل أن يجعلنا من الذاكرين ولا يجعلنا من الغافلين ولا يجرمنا رضاه .

ربك يخرج لنا ﴿ الآية . أي اسأل لنا ربك ومنها الدعاء بمعنى القول لقوله سبحانه في سورة يونس ﴿ دعواهم فيها سبحانهك اللهم . . . ﴾ إلى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . ومنها الدعاء بمعنى النداء كقوله عز وجل في بني إسرائيل ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون ﴾ أي يناديكم . وفي هذا الموضوع الدعاء بمعنى النداء قال تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا ﴾ أي نادوني إن شئتم بقولكم يا الله . وإن شئتم يا رحمن وقوله أيما تدعوا . إن شئت قلت ما صلة ومعناه أيأ تدعوا وإن شئت قلت ما للتأكيد وجاز تكريره لما اختلف اللفظ . وقوله : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ الصلاة في اللغة هي الدعاء وفي الشرح دعاء مخصوص على شروط . ومن أهل اللغة من قال الأصل في الصلاة اللزوم فكان المصلي لزم هذه العبادة المخصوصة لإستنجاح طلبته من الله تعالى وبعض العلماء قال سميت هذه العبادة المخصوصة صلاة لأنها في أكثر المواضع ثاني الإيمان وتالية في الذكر . كقوله تعالى ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾ وأمثاله كثير . قال والعرب تسمي الفرس الذي يتلو السابق من الخيل في الحلبة المصلي . لأن رأسه عند صلوى السابق واختلفوا في معنى الصلاة ههنا . فقال كثير من المفسرين إنه أراد لا تجهر بالقراءة في الصلاة ولا تخافت بها وذلك أن المشركين كانوا إذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصلاة أذوه فأمر أن لا يجهر في صلاته جهراً يسمعه المشركون ولا يخافت بها . والمخافتة السكوت . يقال خفت الميت خفوتاً إذا برد وههنا يريد أن يقتصر في القراءة على ذكر القلب ، لأن القراءة المأمور بها في الصلاة محلها اللسان فإن إقبصر أعلى ذكر القلب نقل الشيء عن محله إلى غير محله ، ووضع الشيء في غير موضعه لا يجوز وفي الآية إشارة إلى المنع من ذلك وهو حقيقة الظلم فمن صرف قلبه عن الأغيار وشغل فكره بالرسوم والآثار ووسم نفسه بخدمة الأمثال ومحق عمره بعمارة الأطلال فقد وضع الشيء في غير موضعه ومن وصف معبوده بما لا يليق بحقه من نعوت خلقه مما يتضمن نقصاً أو يشبه شخصاً أو يوجب حدوثاً أو يقتضي قصوراً فقد وضع الشيء في غير موضعه وإلى هذه الجملة أشار سيد

هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى لما سئل عن التوحيد . فقال :
 أفراد القديم عن الحدوث . وإذا أخذ بهذا التأويل ففيه إشارة إلى تسليمة
 أصحاب المحن إذا استولى عليهم أهل الفتن وتنبه لهم على السكون إلى أن
 تنقضي عنهم أوقات البلاء فإن سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه قبل له
 ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها محاماة عن الدين وصبراً على ما كان يقاسيه من
 المشركين وفي بعض الكتب أن نبياً شكاً إلى الله تعالى من امرأة سلطت على أهل
 عصرها فأوحى الله تعالى إليه فر من أمامها حتى تنقضي أيامها . ونكتة أخرى
 وهو أن الأعداء لم يعرفوا قدر ما سمعوه وقابلوه بالكذب أمر صلى الله عليه
 وسلم بأن لا يسمعهم في بعض الأحوال تنبيهاً على أنهم لا يستحقون ذلك . وإن
 كان قد قال تعالى فاصدع بما تؤمر ، وأخرى وهو أنه قال إذا وقفت على بساط
 القربة مع المتتخين للصحبة فاستر المناجاة مع الحبيب خوفاً من إطلاع الرقيب ،
 وفي معناه انشدوا :

عذيري سولى أن أرى منك خلوة فأشكو الذي بي من هواك وتسمع
 تمنى أناس ما أحبوا وإنما تمنيت أن أشكو إليك فتسمع

وفي خلافه قال بعض من شكى من بلاء الرقيب . لم ترد ماء وجهه
 العين إلا شرفت قبل ربه برقيب . وقد قيل في تأويل الآية عن الحسن البصري
 لا تحسن صلاتك في العلانية وتسيء في السر فعلى هذا التأويل الخطاب للرسول
 عليه الصلاة والسلام والمراد به أمته وفيه الأمر بالإخلاص في الطاعات . وترك
 التصنع للمخلوقات ونفي التزين للمصنوعات . والإكفاء برؤية رب الأرضين
 والسموات . وتصفية الأعمال من الآفات وتنقية الأحوال من الكدورات .
 وسئل الثبلي عن مثل هذا فقال : هو أن لا يكون بكلام غيره لافظاً . ولا
 يكون لغير ربه ملاحظاً . ولا يرى لنفسه دون ربه حافظاً . وروي عن عائشة
 رضي الله عنها وعن ابن عباس وجماعة من المفسرين أن تأويل الآية لا تجهر
 بدعائك . قالوا هو أن يذنب العبد سراً . فقيل له لا تظهر للناس تفصيل
 توبتك فيطلعوا على ما سترت عليك من زلتك . ولا تخافت بها أي لا تترك

الإستغفار . وقارن الإصرار . ولا تأمن الإغترار . فلمعبودك فاعتذر ومن
 مجهودك لا تدنجر . أي أسمعنا خطابك تصر زلتك مغفورة . ولا تفش سرك تبقى
 حالتك مستورة . ومن كمال كرمه أن يستر على المهتمكين . ويسبل ستر عفوه
 على المهتكين . ويسحب ذيل حلمه على الخاطئين أما تخشى هتك سترك في
 عقبك . أما تحذر كشف سترك لما سلف من خطاياك . أين أنت من لطف
 مولاك لما اقترفت ما نهاك . حيث ناداك فقال : ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت
 بها . وفي معناه أنشد بعضهم :

أرخ سترأ على حقارة فعلى هتك ستر المحب ليس يجلب
 ربما قصر الفقير المقل في حقوق بهن لا يستقل
 ولئن قل خدمة ووفاه فولاء وحرمة لا تقل

وقال عطاء الخراساني إن الصديق رضي الله عنه كان يخافت في صلاته
 بالليل فلا يرفع صوته بقراءته . وكان عمر رضي الله عنه يجهر في صلاته فسأل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر عن فعله فقال اسمع من أناجي وقال
 عمر أوقف الوسنان . وأطرد الشيطان وأرضي الرحمن . فأمر أبا بكر حتى رفع
 قليلاً وأمر عمر حتى خفض قليلاً وفي الخبر إشارة إلى أن الصواب والحسن ما
 حصل بالإذن والأمر ما استحسنته الإنسان بعقله واستصوبه من ذات نفسه وفيه
 إشارة إلى أن الشيء قد يكون حسناً وغيره أحسن منه فيدعي إلى الأحسن عن
 الأول فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليهما لكنه أوقفهما على ما هو
 الأحسن والأصوب . ودل هذا الخبر على مزية الصديق . وبلوغه رتبة التحقيق
 حيث أخبر عن التوحيد فقال : اسمع من أناجي . وعمر أخبر أنه يجاهد الشيطان
 ويوقف الوسنان وبين الحالتين وإن صفتا والمتزلقين وإن علت ابون عبد هو
 بوصف مجاهدته . وعبد هو بعين مشاهدته الفاروق قال أطرد الشيطان وهو
 صفة المجاهدين والصديق قال اسمع من أناجي وهو نعت العارفين . وقال
 بعضهم تأويل الآية لا تجهر بجميع صلاتك ولا تخافت بالكل أي أجهر صوتك

ببعض الصلوات المغرب والعشاء والصبح ، وأسُر في البعض الظهر والعصر وهكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة النهار عجايب في هذا تنبيه على فساد قول الباطنية حيث يطلبون الأسباب في تفصيل العبادات فإن الشرع غير معلل بل أمرنا برفع الصوت في بعض الصلوات والإسرار في بعض ، ولو كان الأمر بالعكس لكان سائغاً . وكذلك القول في ثنية السجود وإفراد الركوع وعدد الصلوات . وغير ذلك من العبادات وفيه إشارة إلى ترك ما عليه العادة ، لأن عادة الناس التصرف والحركة بالنهار والسكون بالليل فأمرنا بترك الجهر بالنهار خلافاً للعادة ورفع الصوت بالليل خلافاً للعادة ولهذا قيل الإرادة ترك ما عليه العادة . وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت نزلت هذه الآية في التشهد أي لا ترفع صوتك في قراءةك التشهد ولا تخافت بها أي أذكر ذلك بلسانك واسمع نفسك فتكون الصلاة ههنا بمعنى الدعاء على هذا والإشارة فيه أن التشهد في حال الجلوس والقعود بحضرة الملوك يدل على القربة والقربة ترجبها الهية . قال الله تعالى ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾ . والذي يشهد هذه الجملة أن التشهد إخبار عن ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على ربه ليلة المعراج حيث قال التحيات لله المباركات . الصلوات الطيبات لله . وفي هذا إشارة إلى الفرق بين الحبيب والخليل . فإن إبراهيم عليه السلام قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً فجعل محل قوله القيام وجعل محل قول الرسول صلى الله عليه وسلم القعود فكم بين من يتكلم قائماً في نطاق الخدمة وبين من يثني جالساً على بساط القربة وقوله تعالى : ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ كان الواجب أن يكون بين ذينك ولكن اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ومثاله كثير كقوله عز وجل ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة ﴾ ولم يقل وإنما وغير ذلك وأراد وابتغ بين الجهر والمخافة سبيلاً وبهذا تأدب أهل الحق حيث أثروا في كل شيء طريقاً بين طريقين . تجنبوا التقصير وتنبكوا الغلو . وهذا ظاهر في أحوالهم واعتقاداتهم وربما نشرح ذلك في غير هذا الموضوع إن شاء الله تعالى .

* * *

في معنى قوله تعالى
﴿ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده ﴾
إلى قوله « سميّا »

الكلام في هذه الآية من وجوه منها قوله رب السموات والأرض وما بينهما الآية . تدل على قول أهل الحق إن إكتسابات العباد مخلوقة لله سبحانه لأن الرب في هذا الموضع لا يمكن حمله على معنى من معانيه الأعلى المالك . وإذا ثبت أنه مالك ما بين السموات والأرض دخل في ذلك اكتساب الخلق وإذا ثبت أن إكتساب الخلق ملك له دل على أنه خلقه لأن حقيقة الملك القدرة على الإيجاد ومعنى كون الشيء فعلاً لفاعله أنه بقدرته وجد . وقوله فاعبده وجه نظمه بما تقدم أنه لما ثبت أنه المالك على الإطلاق فله بحق ملكه أن يتعبد من شاء من خلقه بما يريد من حقه وحقيقة العبادة الطاعة بغاية الخضوع ولا يستحقها أحد سوى المعبود جلت قدرته . وهي من قولهم طريق معبد إذا وطئته السابلة . وقوله وأصطربر لعبادته فيه دلالة على أن الحال وإن صفت هي لا تكتفي إلا باقتران وفاء العاقبة ولهذا قال بعض المشايخ . لا يغرنك صفاء الأوقات فإن تحتها عوارض الآفات . وفي معناه أنشدوا :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فكم من شجرة أورقت وأزهرت ، فما أدركت ولا أثمرت ، وكم من مطيع أخلص في طاعته ، وما تخلص في عاقبته ، وكم من مسرور بعبادته ، مغرور لصفاء حالته ، بدت له خفايا سابقته ، بما لم يكن في حسابانه وأمنيته .
ودلت الآية على وجوب الإستقامة فإن الإصطبار نهاية الصبر . ومن صبر

ظفر ومن لازم وصل وقد قيل من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له وفي معناه
أنشدوا :

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبواب أن يلجأ
وأنشدوا أيضاً :

أني رايت وفي الأيام تجربة للصبير عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في شيء يطالبه فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقوله تعالى: هل تعلم له سميّاً . . . جاء في التفسير هل تعلم له نظيراً
معناه هل تعلم أحداً يستحق من الصفات ما يستحقه الله عز وجل . وقيل معناه
هل تعلم أحداً يسمى الله سوى الله . وعن الحسن بن الفضل البلخي أنه قال
نظم هذه اللفظة بما قبلها أنه أخبر أنه مالكهم ويحق ملكه تعبدهم ويملازمة
طاعته أمرهم . بين أنه لا منازع له ينازعه فيما أمر . ولا مضارع يساويه فيما
أثبت وأظهر ودلت الآية على نفي التشبيه وأن المعبود سبحانه لا يشبه شيئاً من
الموجودات ولا يشبهه شيء من المدروكات لأن من شرط التماثل التساوي بكل
وجه والله سبحانه وما سواه مصنوع ويستحيل أن يكون كالمصوغ لإستحالة القول
بحدوثه كما يستحيل أن يكون المخلوق كالمخالق لفساد القول بقدمه وعليه دل
قوله ليس كمثل شيء . قال الواسطي ليس كذاته ذات ولا كفعله فعل ولا
كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة
حديثة كما استحال أن تكون الذات المحدثه لها صفة قديمة سبحانه من ليس
كمثل شيء وجل عن الزمان والأين . وهذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل
التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات، وهي بوجودها مستفيدة عن كل غير بكل
وجه فهي بها قائمة وباستحقاق نعت صمديتها دائمة . وما سواها من الأغيار
إلى الإيجاد والإبداء مفتقرة حتى تكون ، والى الإبقاء والإدامة محتاجة حتى
تدوم . وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لا لعله فعل ما فعل . ولا لجلب أنس أو
دفع نقص حصل . ولا بخواطر وأغراض وجد . ولا بمباشرة أو معالجة ظهر .

وفعل المنطق لا يخرج عن هذه الوجوه وإليه أشار ذو النون المصري حيث قال حقيقة التوحيد أن تعرف أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج . وصنعه للأشياء بلا مزاج . وعلّة كل شيء صنعه ولا علّة لصنعه وما تصور في وهمك فالله تعالى بخلافه ومعنى قوله وعلّة كل شيء صنعه أنه ما ظهر حادث إلا والله صانعه ولا علّة لفعله أي لم يحمله على الفعل غرض ولا دعاه إلى الإيجاد محرك . فهو سبحانه لا يشبهه أحد ولا يوجد من دونه ملتحذ . وكيف لا وهو سبحانه واحد لا يجمعه عدد وصمد لا يقطعه أحد . وفي معناه أنشدوا :

يا من إذا قلت يا من لا نظير له في عزه قيل لي يا صادق البشر

وكان الشيخ أبو علي الدقاق يقول إن مجنون بني عامر إدعى المحبة لشخص وتحقق فيها حتى هجر الأوطان وفارق الإخوان . واغترب عن كل شيء حتى اسمه . فلما خرج إلى الصحرا رأى ظيباً فقال :

فصيناك عيناها وجيدك جيدها سرى أن عظم الساق منك رقيق

فقال له أهل التحصيل: أف لك من محب قاسيت ما قاسيت وتحملت ما تحملت وحين خرجت إلى الصحراء وجدت من أمثاله ما لا يحصى .

فصل : ولقد أعظم الله المنّة على أهل التوحيد وأجزل النعمة على ذوي التحقيق حيث أعتق أسرارهم من رق عبودية ما له مثل والعبادة لما له شكل فهو الذي اصطفاك في القدم . وعصمك عن سجود الصنم . وإن لم يكن لك في العبودية صدق قدم . فأرجو أنك لا تحرم وجود الكرم . فإن قيل كيف دلت الآية على نفي التشبيه وقد أثبت المثل بقوله ليس كمثل شيء فالجواب أن الكاف صلة في قول بعضهم ومعناه ليس مثل شيء والكاف تزداد في كلامهم على وجه الصلة كقول القائل . وصاليات ككما يؤتفين . وقيل المثل صلة ومعناه ليس كهو شيء . . وقيل مثل الشيء يذكر والمراد به نفسه كقول القائل ليس هذا كلام مثلك يعني نفسه وقيل : إن التشبيه يكون بأحد شيئين إما بالكاف وإما بالمثل فجمع بين حرفي التشبيه ونفى بها عن نفسه التشبيه فكانه قال ليس مثله شيء

وليس كهو شيء وقد قيل هذا غاية نفي التشبيه . إذ لو كان له مثل لكان كمثلته شيء وهو نفسه . فلما قال ليس كمثلته شيء دل على أنه ليس له مثل وعليه دل سبحانه بقوله أؤمن بخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . أؤمن هو كبير لم يزل كمن هو حقير لم يكن . أؤمن هو جبار لا نقص له كمن هو مجبور لا غناء به . وكيف تشبه الحقيقة الخليفة وكيف تماثل القدرة الفطرة . وبماذا يشبه من المصنوعات بالأرض أم بالسموات أم يشبه بالشموس والأقمار أو الرسوم والآثار . أو الديار والأطلال . أو الأغيار والأشكال والكل دان لجبروته . وناطق بدوام ملكوته وأمارات الصنع على الجميع واضحة . ودلائل النقص على الكل لائحة وأسرار العارفين بأنها مصنوعة مناجية . وقوله تعالى هل تعلم له سمياً . قد يوافق اللفظ اللفظ والإسم الإسم ولا يقتضي التماثل لعدم التساوي بكل وجه خلافاً للباطنية في قولهم إن القديم لا يسمى شيئاً ولا لا شيء كاشتراك البياض والسواد في إسم اللون ووجوب مخالفتها على التحقيق .

الدعاء

الدعاء مقام التضرع والإنابة والإلتجاء والإحتياج للملك العزيز الوهاب والدعاء أولاً إما لحوائج الدنيا وإما لدفع البلاء . وإما للإستعانة بالله والتخلص من شر الشيطان والنفس والهوى والخلق . وثانياً لإقتحام الحجب والعقبات والإعتماد على الله وحسن التوكل عليه . أو لطلب محبة الله ورسوله . أو لمناجاة الله والتعرف إليه وهو في الأول إضطرار وفي الثاني عشق وأنوار وهو حال العبودية وأمان الخائفين . وأنس البشرية ولذة العاشقين . وهو يدل على خوف الخائفين . وذلل المخلصين . وإنابة المخبتين ، وصدق المحيين . وحلاوة مناجاة الراجين . ومقدار مقامات الواصلين ، وفيوضات العارفين وهو من العبادة بمنزلة المخ من الجسد قال النبي صلى الله عليه وسلم : الدعاء مخ العبادة . وقال رب العالمين ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ . وقال ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ ولا أجد للإجابة خيراً من أن أدعو بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجدد في القلب عهده ولا شك أنه أجمع دعاء لدلائل التوحيد وعظيم الثناء على الله وحسن الطلب لخيري الدنيا والآخرة . وكيف لا يكون كذلك . وهو سيد الأولين والآخريين .

أدب الدعاء ووقته وكيفيته

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : ﴿ أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقامي ﴾ أخرجه الترمذي وعن لقمان بن

فصل : ولما كان المعبود سبحانه لا مثل له حق للعابدين أن لا يسأروا مقدوراً فيه إلا بذلوه . ولا يغادروا ميسوراً في طلبه إلا تحملوه ولا يحق بذلك المهج إلا في طلب الأعزة فحق للدموع أن تتقطر على فوات قربته ، كما حق للقلوب أن تتعطر بنسيم محبته وكما حق للأرواح أن تنفطر من خوف فرقته وأنشدوا :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير هجرتك ضائع
ولغيره :

على مثل ليلي يقتل المرء نفسه وإن بات من ليلي على اليأس طاوياً
فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميماً لمن تدخر مجهودك . إذا لم تطلب معبودك . هل تعرف أحداً يستحق ما يستحقه . أو يوجد ما يخلفه . إن دعوته أجابك . وإن أطعته أثابك ، وإن تركته أمهلك وإن رجعت إليه واصلك وإن عرفته أحبك وبغير شفيع قريبك وبلطفه كاشفك . ويفضله لطفك . هل تعلم له سميماً لا إله إلا الله تقدس عن الأمثال وتعالى عن الأشكال وهو الكبير المتعال .

* * *

بشير رضي الله عنها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة » . وما سئل الله تعالى شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل . ولا يرد القضاء إلا الدعاء فعليكم بالدعاء .
أخرجه الترمذي . وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم . أخرجه الترمذي . وأما وقت الدعاء فأفضله للمبتلين وللمستدئين عليه ثلث الليل الأخير وهو أفضل الأوقات للعبادة فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجب له ؟ من يسألني فأعطيته من يستغفري فأغفر له ؟ أخرجه البخاري والترمذي وغيرهما . وفي رواية مسلم : أن الله تعالى يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى سماء الدنيا فيقول أنا الملك أنا الملك من الذي يدعوني . الحديث . وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال يا رسول الله أي الدعاء أسمع ؟ قال

باب

في معنى قوله تعالى :
تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ..

اختلفوا في نزول هذه الآية فروي عن ابن عباس والضحاك : أنها مكية وروي عن مقاتل أنها مدنية وقرأ ابن عارم ذو الجلال وبواو والباقون ذي الجلال بياء والكلام في هذه الآية من وجوه منها القول في معنى تبارك ومنها في معنى قوله إسم ربك ومنها في معنى قوله ذي الجلال . فأما قوله تبارك فقد اختلفوا فيه فقال كثير من المفسرين إنه بمعنى تعظم وتقديس وقال الفراء البركة التقديس والعظمة . وقيل إنه تفاعل من البركة والبركة النفع والزيادة . وقوله تعالى في قصة عيسى . وجعلني مباركاً أينما كنت فقيل نفاعاً للخلق وقال الزجاج البركة الخير الكثير في كل شيء وقال بعض أهل اللغة إن أصله من البروك يقال برك الطير على الماء إذا دام ومبارك الإبل مواضعها التي تستقر عليها . فكل آية إحتملت وجوهاً وليس بينها تناف ولا تضاد ولا حصل الإجماع على أن المراد منها البعض دون البعض فهي على العموم وهذه الوجوه كلها صحيحة في معنى قوله تبارك ووجوه الثناء على الله سبحانه تنحصر في ثلاثة أقسام : أحدها الثناء عليه بذكر إحسانه وإنعامه . والثاني الثناء عليه بذكر استحقاقه لصفات ذاته .

جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات أخرجه الترمذي . وهما أوقات أخرى ترجى عندها الإجابة أهمها وقت الإضطراب وبين الأذان والإقامة ووقت الملحمة وعند السفر . روي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة قيل ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة . أخرجه الترمذي وأبو داود .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء » رواه مسلم . وأبو داود والنسائي وعنه رضي الله

والثالث الثناء عليه بذكر وجوده على وصف لا يشاركه فيه موجود وهذه الآية تشمل على هذه الوجوه فإنها إن كانت من البركة فهي فضله وإحسانه وذلك فعله وإن قلنا إنه بمعنى تعظم فعظمته استحقاقه لصفات العلو والمجد كعلمه الشامل وإرادته النافذة وقدرته التماضية إلى سائر صفات ذاته . وإن قلنا إنه من بروك الطير على الماء فهو إخبار عن وجوده بشرط القدم ونعت البقاء والدوام وكل من ذكر الله سبحانه بإسم من أسمائه وأثنى عليه بنعت من نعوته فإن من آداب ذلك أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الإسم وموجب ذلك الذكر فمن أثنى عليه بقوله تبارك فمن الواجب أن يقوم بآداب هذا الخطاب فإن قلنا إنه من بروك الطير على الماء فهو إخبار عن وجوده بشرط البقاء . فينبغي لهذا الذكور إذا عرف وجود الحق سبحانه أن يصغر الخلق في عينه . وقد سئل بعضهم عن التوحيد فقال هو أن تشهد للعالم وجوداً بين طرفي عدم . بمعنى أن الأعيان والرسوم والأطلال والأمثال والأشكال من العدم وجدت بقدرته خالقها وآثارها يستحيل عليها الدوام وما يصبح لها البقاء منها فيجوز العدم معها لأن بقاءها

عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث دعوات مستجابات لا شك في إجابتهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده . رواه أبو داود والترمذي . وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إثنان لا تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً » أخرجه مالك وأبو داود وعن ابن عمر وابن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب » وجاء في الكتاب العزيز ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ .

وأما هيئة الداعي وأدبه في الدعاء فقد جاء عن أنس رضي الله عنه قال : رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه في الدعاء حتى رأيت بياض إبطيه أخرجه البخاري . وعن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . أخرجه الترمذي وعن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً » أخرجه أبو داود والترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » أخرجه الترمذي . وأما كيفية الدعاء فقد ورد عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال سمع

بإبقاء البقى . ولو قطع عنها البقاء لتلاشت وقد قال تعالى كل شيء هالك إلا وجهه . قال بعض الناس كل حي ميت إلا الله . نظيره إن امرؤ هلك أي مات . وقال تعالى : ﴿ كل من عليها فان ووجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ . فإذا عرف العبد أن العالم بعرض الفناء لم يوطن إلا على كراهتها نفسه . ولم يطلب فيها راحته وأنسه . كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم : الدنيا سجن للمؤمن . وقد قيل في بعض الحكايات عن جعفر الصادق أنه قال من طلب من ما لم يخلق . أتعب نفسه ولم يرزق . فقيل له وما ذاك فقال الراحة في الدنيا وأنشدوا :
تطلب الراحة في دار العنا خاب من يطلب شيئاً لا يكون له
وقال غيره :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان .

فإذا كان بهذا الوصف دخل عليه الزهد فإن من لم تتساو عنده الأخطار ولم

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع ما شاء أخرجه أصحاب السنن .
وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدهم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت اللهم إرحمني إن شئت ولكن ليعزم المسألة فإن الله تعالى لا مستكره له » . أخرجه البخاري ومسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك » أخرجه أبو داود .
وأما أدب الدعاء فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت ربي فلم يستجب لي » . أخرجه البخاري ومسلم . وغيرهما . وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من رجل يدعو الله تعالى إلا استجاب له فأما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخر له الآخرة وأما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أن يستعجل » أخرجه الترمذي . وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم . لا توافق ساعة ينزل فيها عطاء فيستجيب لكم » أخرجه أبو داود . وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

يسقط عن قلبه للدنيا الوزن والمقدار ، لم يزل في سجن حرصه في أسر نفسه . وفي رق شهوته . وفي ذل طمعه . ومن إستوت عنده الأخطار . وصل إلى روح الحرية . ولهذا قال مشايخ هذه الطريقة من دخل الدنيا وهو عنها حر . ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر . ومن كانت بغيته من الطالبات . فوق ما لا بد له من الضرورات فهو عن ربه محجوب . وقد سئل الجنيد رحمه الله تعالى عنم خرج من الدنيا ولم يبق عليه إلا مص نواة فقال مستشهداً المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وحكي عن بنان الجمال أنه قال كنت مطروحاً على باب بني شيبه سبعة أيام لم أرزق شيئاً فنوديت في سري ان ما أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عين قلبه . وكان الدقاق يقول إن القلوب كانت متفرقة في الدنيا فقبضها الله تعالى عنها بقوله . قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فلما تقلقت القلوب بالآخرة قطعها الله سبحانه عنها بقوله . والله خير وأبقى .

وقال يحيى بن معاذ : الزاهد صيد الحق من الدنيا . والعارف صيد الحق من الآخرة . ولا غرو أن يزهد عارف بمن لم يزل في حاصل بعد أن لم يكن إذ صفت همته عن كدورة أمنيته . وتخلص سره عن وحشة حجبه وهذا المنتهي قال : من رأس دعواه على سبيل العادة من غير تحقيقه بمعنى ما قال . وكل ما خلق الله وما لم يخلق . محتقر في همتي . كشعرة في مفرقي . وأما من قال تبارك أي تعظم فمن ظالع عظمته . وشاهد سلطانه ورفعته وتحقق علوه وعزته . نسي

الله عليه وسلم : يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا إنقطع أخرجه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من لم يسأل الله يغضب عليه » أخرجه الترمذي . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العباد انتظار الفرج » أخرجه الترمذي . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد مسلم يدعوا لأخيه بظهر النيب إلا قال الملك ولك بمثل » أخرجه مسلم وفي رواية لأبي داود (إلا قالت الملائكة آمين ولك بمثل) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من دعا على من ظلمه فقد إنتصر) أخرجه الترمذي .

صولته . وترك سطوته . فلا يدعي في شيء أنه من حوله وقوته . ولا يرى شيئاً
بقدرته واستطاعته . واعتصم بعجزه وفاقه . وفي معناه أنشدوا :

أذل فاعزز به من مذل ومن طالب لدمي مستحل
إذا ما تعزز قابله بذل وذلك جهد المقل
فكنت لعزته خاضعاً ولولا جلالته لم أذل

وقال بعض المشايخ : إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين
وعلامه من صغر الخلق في عينه رؤية الإفلاس . والتحقق باليأس من الناس ،
ولزوم الورع ، وقطع الطمع . ووقف بعضهم على بعض عقلاء المجانين ،
فقال : ألك حاجة ؟ فقال نعم . قال : وما هي ؟ قال تزحزحي من النار
وتدخلني الجنة . فقال ذلك ليس إليّ . فقال لم سألتني عن حاجة لا تقدر على
قضائها . قال : وسئل بعضهم من التصوف فقال : ذبح الأمانى بسكاكين
اليأس^(١) ، فههنا يجد العبد العذر ، لهذا قال بعضهم : التصوف التكبر على
أهل الدارين ثقة بالله تعالى^(٢) . وقال بعضهم لرابعة : إن فلاناً صديقك يريد
أن يواسيك بشيء من الدنيا فقالت : إن صديقنا فلان وفلان وكلنا عبيد ومن
المحال أن الله يرزقهم ويتركني .

فصل : وتعظيم العبد لربه على حسب كماله ومعرفته ولو كنت تعرف
قدره لما كنت تترك أمره . ولو تحققت إطلاعه عليك ، وقربه سنك ، وسماعه
لخطابك ، ورؤيته لأحوالك . لما جعلته أهون الرائين إليك . ولكن يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم . وليس العجب من إخوة يوسف
حيث باعوه بثمن بخس دراهم معدودة . . . وإنما العجب ممن باع نصيبه من

(١) في هذا المعنى قال الشيخ علي عقل رحمه الله تعالى :
قتلت هوى نفسي فعشت بلا نفس وجافيت أنسى فانحدرت إلى الأنس
(٢) القصد من التكبر هو الإستغناء عن الخلق ثقة بما في يد الخالق فلا يذل نفسه إلى أحد من الناس
ولا يرضى بإشتغاله بالخلق حتى لا يشغل عن توجهه لخالقه . لئلا يكون ذله إلا لله وليس معنى
التكبر هنا التعالي على الخلق .

ربه بحفظه هي في الحقيقة مفقودة ، وإن كانت لذات ساعات بل لحظات موجودة . إلا أنهم لو عرفوا قدر يوسف لما باعوه بثمن بخس ولكنهم وقعوا على ما صنعوا يوم وقفوا بين يديه في مقام الخجلة وخرروا له سجداً بدلاً من التمكن على بساط الوصلة . قال الله سبحانه ﴿ ورفع أبويه على العرش وخرروا له سجداً ﴾ . وهذا جزء من لم يعرف قدر نسيبه ، كما ظنك بجزء من لم يعرف قدر حبيبه . وقد حكى أن المهلب بن أبي صفرة مر يوماً في موكبه فطرق سمعه أن رجلاً قال ترون هذا لا يساوي أكثر من خمسمائة درهم فلما رجع المهلب إلى منزله بعث رجلاً يعرف ذلك الرجل وبعث إليه معه خمسمائة درهم وقال : قل له هذه قيمتنا التي قومتنا بها ولو زدناك زدناك فخجل الرجل من صنعه . قال الله سبحانه ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ﴾ . فمن رضي عنا بدنياه عجلنا له فيها هواه ! وأوصلنا إليه منها مناه . ولكن الفرقة قصاره ، والنار مأواه ، والجحيم مشواه . قال الله سبحانه : ﴿ وما له في الآخرة من نصيب ﴾ .

فصل : وأما من قال إن معنى تبارك من البركة وهي النفع وفيضان الخير فينبغي أن يكون نفاعاً خلقه جيداً في قومه مشفقاً على عباده . فإن رأس العرفة تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله . وقد قيل في تفسير قوله تعالى في قصة يوسف صلوات الله عليه « إنا نراك من المحسنين » إنه كان يداوي المريض ويواسي الفقير ويجمع المساكين على الطعام ، إلى غير ذلك . وليست الفتنة أن تحسن إلى من أحسن إليك لأن ذلك جزاء ومكافأة . ولكن الفتنة أن تحسن إلى من أساء إليك بطيب نفس ولهذا أدب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم . حيث قال له : خذ العفو وأمر بالعرف والآية . ففي الخبر أنه سأل جبريل عليه السلام وقال بماذا أمرني ربي فقال له يقول صل من قطعك واعف عمن ظلمك واعط من حرمك . وحكى أن الحسن البصري سرق له إزار فرؤي الحسن وهو في الطواف يقول اللهم أغفر لسارق إزارى . ومعناه أنه لم يرد أن يصيب أحداً مكروه بسببه بوجه من الوجوه . وقال صلى الله عليه وسلم

اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون عفا عنهم ثم تشفع لهم ثم اعتذر عنهم ويجب أن يكون متبركاً بخلق الله يطالعهم بعين الإضافة لا بعين الصورة . وقد حكى أن شيخاً من المشايخ اجتمع عنده مال لعمارة بعض الرباطات فمر به قوم من اللصوص فتشبهوا بزى الصالحين وأخفوا سلاحهم واستضافوه فلما قدم إليهم الطعام وغسلوا أيديهم وكانت له أنة^(١) زمنة فشربت واستعملت من ذلك الماء تبركاً بالضيفان فشفاهما الله تعالى في الوقت فجاء الشيخ وتلطف بهم وقال إنكم مباركون وقص عليهم القصة فوقع عليهم الندم وقالوا إنا لغير هذا حضرنا ولكن بعد ما أحسن الله إلينا هذا الإحسان وأسبل علينا هذا الستر فقد تبنا .

فصل : ويجب على من قال أنه معنى تبارك من البركة أن لا يرى الإحسان إلا من الله ويعرف أن الله تعالى إذا أعطى أسبغ . وإذا نول مول . وإذا بذل أوسع . وقد قيل إن الكريم إذا صفع عن مجرم عفا عن كل من كان له سميماً وتجاوز عن كل من تعاطى مثل ما عفا عنه ، وقد حكى أن بعض أسخياء العرب كان جالساً في أصحابه ففتح له بمملوك فقال إن في الخبر جلساً وكم شركاً وكم فاستبشاري بهذا لا يجمل وتخصيص بعضكم به أيضاً لا يحسن لأنكم كلكم إخوان وقسمته عليكم لا تمكن فعدهم فبلغوا ثمانين فأمر حتى اشترى لكل واحد منهم جارية أو غلاماً وقد أنشدوا :

نحن في المشتاة ندعي الجفلى لا نرى الأدب فينا ينتقر

وأما معنى قوله تبارك إسم ربك فمن قال إن الإسم هو المسمى فله في الآية تعلق لأن الموصوف بأنه تبارك هو الله تعالى . ومن لم يقل إن الإسم هو المسمى قال إن الإسم هنا صلة . وأما معنى قوله ذي الجلال والإكرام فالإخبار عن الجلال يوجب محو العبد عن وصفه . وسماع الإكرام يوجب محوه . بشهود لطفه . فقائل هذا اللفظ وسمتمعه متردد بين عيش . وبين طيش . وبين سرور . وبين ثبور . وبين قبض . وبين بسط . وسنذكر إن شاء الله تعالى في

(١) مريضة مرضاً مزماً تن منه .

معناه قدر ما يوفق الله تعالى إليه إذا انتهينا إلى موضعه في ترتيب الأسياء والله
التوفيق .

* * *

في معنى قوله تعالى سبح إسم ربك الأعلى

هذه السورة مكية بلا خلاف ومعنى التسبيح التنزيه وهو إبعاد الله عن السوء مما لا يليق بوصفه من الآفات والنقائص كذلك قال أهل التفسير وأهل اللغة وجاء لفظ التسبيح في القرآن والمراد به الصلاة مثل قوله تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم . وسبح بالعشي والإبكار ﴾ . وقال بعض المفسرين في معنى : سبح إسم ربك أي صل لله . وإنما جاز ذلك لأن الصلاة محل التسبيح ويطلق إسم الشيء على الشيء بمعنى المقارنة وقوله سبح إسم ربك الأعلى أن تنزه ربك من الأوصاف الذميمة فيكون الإسم هنا صلة أو بمعنى المسمى على طريقة من لا يفرق بين الإسم والمسمى^(١) وتنزيه الله تعالى يكون بالقول والبيان مرة وبالاعتقاد وتأمل البرهان ثانياً . ولا يصح ذلك إلا بعد كمال المعرفة والتحقيق بعلم التوحيد . فإن التسبيح تقديس الحقيقة عن مشابهة الخليفة . . وإفراد الحق عن أوصاف الخلق . وإبعاد الله تعالى عن الحدوث وما يقتضيه . والإخبار عن تقديسه عن موجبات التعطيل والتشبيه . وإنما يصح ذلك على أصول أهل الحق الذين عرفوه بنعت الجلال . ولم يسلبوه أوصاف التعالي والجمال . فسلموا للملك إليه من غير دعوى الربوبية . وطالبوا أنفسهم باستحقاق العبودية فتبرأوا من الحول والمنة . ورأوا لمولاهم عليهم من خصائص المنة . عرفوا ما وجب لله من الأوصاف الواجبة . فلم يقصروا فيها لزمهم من الوظائف الواجبة وعلموا ما

(١) كثر كلام المتكلمين أن الإسم هو ذات المسمى عند بعضهم . والبعض الآخر قال أن الإسم غير الذات . وهذا الكلام فلسفة لا طائل تحته . إذ الإسم هو ما يشير إلى المسمى ويعرف به عند الغير وما كان عند الغير لا يمكن أن يكون هو إطلاقاً . وإذا كان الإسم هو ذات المسمى فيكون هو الذات بعينها فلا تحتاج إلى الإسم . فإذا كان الإسم أمراً ضرورياً متحققاً بالذات فلا يعلمه إلا هو وإلا كان كل من عرف الإسم المكنون صار فعالاً به لما يشاء ومستحوذاً عليه وهذا مستحيل .

اتصف به الحق من نعوته الزاكية فلم يجوزوا لأنفسهم مجاوزة حدوده المراتبة ووقفوا على ما امتنع في وصف الله سبحانه وتعالى فامتنعوا من إرتكاب مساحطة اللازمة^(١) . ولا يصح من العبد حقيقة التسبيح الذي هو التنزيه لله تعالى حتى ينتزه عن أوصافه الذميمة فينتزه نفسه عن الشهوات . فإن صاحب الشهوة محجوب عن ربه وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة . وحكي عن إبراهيم بن شيان أنه قال كنت بحلب وإشتهيت شعبة من الخبز والعدس . فاتفق ذلك فأكلت حتى شبعت فرأيت علي باب المسجد حانوت خمار عليه قوارير معلقة تشبه أعمودجات فتوهمتها حلاً فقال لي قائل مالك تنظر إليها إنما خمر . فقلت لزمني فرض فدخلت الحانوت فلم أزل أصيب دنا دنا حتى أتيت على الجميع فأخذوني وضربوني مائتي خشبة وطرحوني في السجن أربعة أشهر حتى دخل أستاذي أبو عبد الله المغربي البلد . فسمع بحالي فتشفع فيّ فلما وقع بصره عليّ قال ما شأنك قلت شعبة خبز وعدس وضرب مائتي خشبة وسجن أربعة أشهر . فقال نجوت مجاناً إذ وردت عقوبة هذه الأكلة على ظاهرك ولم تقدح فيما كنت به من أسر أمرك . فكان ذلك رفقاً من الله بك . ونجاة ولطفاً . وما أصدق ما قال فإن من أدب في دنياه فما يتعاطاه من متابعة هواه .

(١) وفي الحقيقة أن هذه الدرجة الثانية أقل بكثير من المعرفة لأن طالب الحق في أوله يتحقق بالمرتبة التي ذكرها . وفي الثاني بالمرتبة الثانية فإذا تنزه عن الشهوات وخلع قلبه من هذه العوالم طلباً لخالفها لا بد وأن تحفه أنوار الحق سبحانه وتعالى وتسري فيه سريان الكهرباء وكيف وهي كهرباء الحقيقة المنزهة عن الأسباب ولا يزال يستقي من الحقيقة فلا يحس بالموجودات ويحس بحضان واجدها ويتذوق هذه الأنوار والحقائق وتتروض روحه حتى يحس من الحق وجوده إلى أن يفنى عن نفسه في مشاهدة الحق ويبلغ مراتب اليقين درجة درجة حتى يكون عيناً من عيون الله في الأرض . من نظر إليه إنتفع من مصباح الحقيقة وهو مع الحق باطنياً وفي الخلق ظاهراً إلى أن يشهد مراتب اليقين العليا فمن شاهد الحق لا يستدل عليه . لأن المستدل عليه غائب عنه . والمشاهد لا يحتاج إلى دليل .

فقد خفف عنه في عقابه^(١) . بل طهر بالتأديب جوهره ومعناه .

ولقد حكى عن إبراهيم الخواص أنه قال : كنت عقدت أن لا أكل شيئاً من الشهوات إلا الرمان فاجتزت برجل به علة شديدة . وإذا الزنابير تقع عليه وتأخذ من لحمه فسلمت عليه فقال وعليك السلام يا إبراهيم وعرفني من غير مقدمة معرفة فقلت له أرى لك حالاً مع الله فلو دعوت الله حتى يخلصك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالاً مع الله يا إبراهيم فلو دعوت الله حتى يخلصك من شهوة الرمان فإن لسع الزنابير على النفوس أهون من لدغ الشهوات على القلوب . وينبغي لمن يريد أن يتحقق بتسيحه أيضاً أن ينزه مطعمه من الحرام والشهوات . فإنه قد ورد الخبر بأن لحمياً نبت من حرام فالنار أولى به وقال بعض الحكماء عجبت لمن يترك الحلال مخافة الداء ولا يترك الحرام مخافة النار . وحكي عن بعضهم أنه قال رأيت شاباً عليه عباءة ويده ركوة فقال لي إني إنسان أقصد الورع فلا أكل إلا ما ألقاه الناس فرمياً أجد قشرة شيء سبقني إليه

(١) جميع ما يذكرون من هذه الأحوال هي بالنسبة للمبتدئين حتى يتجردوا من شهواتهم ويتفرغوا للحق سبحانه وتعالى فهي سبيل المبتدئين لأن إشتغالهم بالشهوات لا يوصلهم إلى طريق الحق . ولما كانت نفوسهم عاتية ميولها شهوانية . فلا يقطعها إلا التأديب الرادع والأعمال الشاقة حتى يتفرغوا للحق سبحانه وتعالى فلا تخطر ببالهم الشهوات فضلاً عن إتيانها . وأما أهل الحق فلا تهجم بشيء . ولا يعاقبهم الله بهذه العقوبات بل يعاقبهم إذا عافوا النعم في حدودها المشروعة ما دامت قلوبهم منخلعة إليه حتى يكمل غوهم في عالم التكليف وعالم الحقيقة . فإن كملوا كان المتاع المطلوب شرعاً حلالاً صرفاً لم يشغلهم عن خالقهم : قال الله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده . والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (سورة الأعراف آية ٣٢) . ولقد فرض بعض طالبى الحق من أصحاب الأديان السابقة على أنفسهم قسوة ورهبانية حتى يخلصوا من الشهوات وحرموا على أنفسهم الزواج وكثيراً من مقتضيات وجودهم في الحياة ولكنهم لم يصبروا عليها ولم يحققوا ما يجب عليهم منها مع أن الله لم يكلفهم ذلك بل كلفهم بالإعتدال وتقويم النفس مع الإنتفاع بالحلال وهو أشق في العمل من تحدى الجسد . ولا يبلغ ذلك إلا الرجال وهؤلاء شقوا على أنفسهم بما فرضوه عليها من غير أوامر الله وبقيت النفس على حالها دون تقويم فغلبتهم نفوسهم لأنها تغلبهم في أي وقت لأنهم لم يجاهدوها وفي حق هؤلاء قال الله تعالى ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها . فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ سورة الحديد آية ٢٧ . وما فائدة تعذيب الجسد مع طغيان النفس .

النمل . فألقيه ولا أتناوله فهل على من ذلك شيء قال فقلت في نفسي بقي على وجه الأرض من يتورع في مثل هذا كالمُنكر له غير المصدق بمقامه قال فنظرت فإذا الرجل واقف على أرض من فضة صافية فقال لي الغيبة حرام وغاب عن بصري . ومعنى الحكاية أنه لما ترك ما حجب الخلق عن الله كرمه الله بنور الإشراق . حتى نطق عما خطر بقلبه من الإنكار ثم أخفاه الله تعالى عنه بشؤم الاعتراض وهكذا سنة الله في أوليائه أن يستترهم عنم لا يبلغ مرتبتهم .

فصل : وينبغي له أن يقدس أعماله عن الرياء والمصانعات والتزين للمخلوقين بإظهار الطاعات ، فإن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان بوصف الإخلاص قال الله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ . وحكي عن بعضهم عن سهل بن عبد الله أنه قال : هل لك أن تحضر الجمعة قال فقلت وكيف وبيننا وبين الجامع مسيرة يوم وليلة قال فأخذ بيدي . فلم يكن إلا قليلاً حتى رأيت الجامع فدخلنا وصلينا فلما خرجنا نظر إلى الناس يجرون فقال أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل وفي الخبر أخلص العمل يكفيك القليل منه .

فصل : وأول الأشياء لمن يريد أن يصفو تسيبته أن يجرد قلبه من الأغيار . ويصون سره عن التدنس بالآثار . ومساكنة الأشكال والأمثال . عند هجوم الأشغال . فإن قمة توحيد الرجل وقدر معرفته تتبين عند الصدمة الأولى فيما يحل به من البلاء فيان فزع إلى الأغيار بقلبه وعلق بالأجناس خواطر لبه . ورأى من المخلوقين كشف طوارق كربه ولم يرجع إلا بعد اليأس من الخلاق إلى ربه ، علم تقاصر رتبته ، وخساسة منزلته ، وبعده من الله في خصائص حفظه وعصمته ومن أعرض عن الأسباب ، ولم يعرج على الاستعانة بالأحباب ، ولم يثقل بقلبه في إعتقاده وإستناده إلى الأصحاب . كفى المهمات ، وخيرت له الخيرات ، وتكتبته الآفات ، ومن صح بالله توسله ، وحق على الله توكله ، كفته كفاية ربه وتفضله ، وقد حكي عن بعض المشايخ أنه قال : كنت أخدم شيخاً

بطرسموس فولدت له بنية في آخر عمره فلما قربت وفاته إستوصيته فيها فقال لي :
 تحمليها إلى مكة في الموسم وتدعها في الحجر وتنصرف، فلما توفي الشيخ امتثلت
 أمره وكنت أنظر من بعيد أرقب حالها كيف يصير؟ فمر بها خدام للخليفة
 فاستحسنها وأخذها فدخلت بغداد بعد ذلك بمدة طويلة فرأيت البلد قد زين
 فسألت عن السبب فقيل إن خادماً للخليفة رجع بصبيبة من الحج التقطها
 فاستظرفتها أم الخليفة ، فتبنتها فلما كبرت زوجتها من ابن الوزير وجهزتها
 بعشرين ألف دينار فعلمت عند ذلك صدق إشارة ذلك الشيخ . وتقديس
 الأفعال عن الآثام وصف كل غاية ، وتنزيه الأموال من الحرام شرط كل زاهد .
 وتصفية الأحوال عن مشاهدة الأثام حق كل واحد . فمن قدس أفعاله نجا من
 عقوبته . ومن طهر أمواله وصل إلى مشوبته . ومن قدس أحواله فاز بقبرته .
 والأمان من العقوبة لمن طلب النجاة ، والظفر بالثوبة لمن إبتغى الدرجات
 والتحقق بالقربة لمن أخلص مع الله المناجاة .

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأكرم

الصلاة على النبي شراب الأبرار وأنس المقربين الأختيار . قضى الله أن لا يرد صلاة على
 حبيبه ومرودة الحبيب وحسن خصاله تشفع لمن صلى عليه . وهي توجد الحب . والحب يهدي
 إلى البر . والبر يهدي إلى الجنة وهي وسيلة من لا وسيلة له . وهي لذة للراسخين ووقاية
 للعارفين وأمان للمذنبين ، وعون للتائبين ووثيقة بين العبد وربّه في قبول دعائه فإن كل دعاء
 ابتدء واختتم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يرجى قبوله . وقد أمرنا الله بها في
 كتابه العزيز قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّا اللَّهُ وَمَلَأْنَاهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
 عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ من ذا الذي لا يستحي فلا يصلي على من أوصل الله على يديه هذه
 النعم التي تتمتع بها في الدنيا والآخرة فهو صلى الله عليه وسلم بحر المغترف من أنوار الله .
 ومعدن النفاسة الذاكبة لصون أسرار الله . وعروس تغشى بالجمال والجلال فهو أنس الناظرين
 في مملكته وإمام المحسنين من العابدين في حضرته . وخزائن فيض الله لمن أراد به رحمة .

فصل : وبعض أهل التحقيق قال : إن التسييح تفعيل من السبح والسيح في اللفظة العوم فكأن المسيح يسبح بقلبه في بحار ملكوته فعلى هذا القول أصحاب التسييح مختلفون فالطالب يسبح بقلبه في بحار الفكرة فإن تلاطمت به أمواج الشبهة وقع في الإنكار والبدعة وإن سلمت باحته عن الآفات فلم يقطع عليه الطريق داعي الكسل والفشل ، وخاطر العجز والملل ولم تسلمه هومة سلف . ولا مخنة خلف . ولم يسبق إلى قلبه سابق تقليد وأيده الله تعالى بخصائص توفيق وتسديد . أدرك بسباحته جواهر العلوم . ولطائف الفهم فالعالم يسبح بروحه في بحار التعظيم وطلب أوصاف التشريف والتقديم . فإن هبت عليه رياح الفتنة غرق في أحوال الحطوط . وبقي في أحوال النفوس . وأن ساعدته السعادة عبر قناطر الشهوات الخفية . وجاوز جسور الهمم الدنية وسقط عنه كل نصيب له وهجره كل قريب له . وعجز عنه كل نسيب له كما قال قائلهم :

فريد عن الخلان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قل المساعد

ولسان الصدق لبيان حجته . وطريق الصواب لسلوك شريعته سقى علومه التوحيد وصار فيها العلم المفرد الوحيد ، إنسان عين الوجود . والسبب في كل موجود . المتقدم من نور أمر الله ليدل على الله ، وقد جاء في فضل الصلاة على النبي ، عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات) أخرجه النسائي وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال جاء صلى الله عليه وسلم ذات يوم والبشر في وجهه فقلنا : إنا نرى البشر في وجهك . فقال : إنه أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول إنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرًا ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليها عشرًا ، أخرجه النسائي ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة » أخرجه الترمذي . وأخرج أيضاً عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة) أخرجه الترمذي . وأخرج أيضاً عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البخيل من

فإذا كان كذلك وصل إلى جواهر المعرفة والواصل منهم يسبح بسره في بحار ملكوته فإن ملكته حيرة البديهة وصدمته دهشة الغيبة قطع عليه الطريق فحيل بينه وبين المقصود بمساكنة مع حال . وإستثناس بخواطر ترد عليه ولذيذ مقال . فهو عند أهل الحقيقة مكور . وبما يظنه من الوصلة مهجور . وبالتلبيس مربوط . وبخفي خطره منوط وإن كان عند الخلق أنه مغبوط . وفي معناه أنشدوا :

وقد حسدوني قرب داري منهم وكم من قريب الدار وهو بعيد

وإن أمد الله عز وجل هذا السابح بعونه عبر منازل المكنونات . وجاوز قناطر المرسومات . فأدرك جواهر التوحيد . وتحقق بخصائص التفريد فهذا الذي يسلم له أن يقول سبحان الله . ثم أن التسبيح وما يتعلق به من الرغائب فسنفرد له موضعاً إن شاء الله تعالى .

* * *

ذكرت عنده فلم يصل عليّ » وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام » أخرجه النسائي . وأما كيفيتها فقد روي عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم . إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . رواه البخاري ومسلم وغيرهما وعن ابن مسعود البدري رضي الله عنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم . . أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما . وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد . رواه البخاري ومسلم وغيرهما . ولا بأس من قراءة بعض الصيغ التي ألفها بعض العلماء العاملين والأولياء المحسنين كصلاة ابن ميثيب والصلاة الشجرية وأمثالها . ويجب الإحتراس من الصلاة التي عقد أصحابها معانيها ولفظها وتنافي تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذوق السليم .

في معنى قوله تعالى

﴿إِقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق﴾

هذه السورة مكية بإجماع ويقال إنها أول سورة نزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما رأى من تباشير المعجزات أنه كان ينقل الحجارة مع عمه أبي طالب والناس لرمة البيت الحرام ولزمزم فغشي عليه وكان متجرداً عن ثيابه فلما أفاق سأله عمه أبو طالب عن حاله فقال رأيت شخصاً أشار إليّ أن أستر فما رأيت عورته صلى الله عليه وسلم بعد ذلك . ثم أوحى الله إليه بعد ذلك بسنين كثيرة وكان يرى في الإبتداء الرؤيا فيصدق جميعاً فقلق الصباح ثم حببت إليه الخلوة فكان يتحنث في حراء كل سنة شهراً عمل عادة العرب^(١) إلى سنة الوحي فتعرض له الملك وقال أنت رسول الله فدعر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيت خديجة وقال زملوني زملوني ثم إنه بدا له الملك ثانياً فكاد يلقي نفسه من حالق جبل^(٢) وهم بذلك فظهر له جبريل عليه السلام قاعداً على كرسي في الهواء في رواية وقال له أنا جبريل رسول الله إليك ثم قال له : إقرأ فقال ما أنا بقارئ فقال إقرأ ففي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ففتني جبريل عليه السلام أي ضغطني ويشبه أن يكون مثل غطني وفي الحديث في صفة أهل النار أن يغتهم غتاً أي يغمسهم غمساً ثم قال جبريل عليه السلام

(١) لم نسمع أنه كان في عادة العرب التحنث ولو كان فلم يكن بغار حراء .
(٢) أنه لم يرغب ولكن جسده الشريف لم يحتمل أن يرى العالمين عالم الغيب وعالم الشهادة في وقت واحد قبل أن يتعود هذا الموقف . ويتحمل جسده شيئاً فشيئاً استمرار الوحي وقوله لما جاءه الملك في الثانية كاد يلقي نفسه من حالق . والصحيح أن ذلك لم يكن وإنما لما فتر الوحي بعد المرة الأولى خشي أن يكون أخطأ في سيره إلى الحق وعدم تحمله في المرة الأولى وكان شوقه إلى ربه زئد الفيضان وكان ذلك من حكمة الله تعالى إذ جعله يشاقق إلى الوحي ليصبر نفسه عليه . ولما اشتد به الشوق كاد أن يلقي نفسه من حالق جبل ، تشبيه لما به من هيمان وشوق وإصطلام .

إقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله ما لم يعلم . فمن شأن المواعظ إن تكلم في هذه الآية أن يذكر شيئاً من مبادئ الوحي ثم يقرنه بشيء من البيانات ثم يذكر طرفاً من بدايات المشايخ ويورد في كل فن ما يليق به من الحكايات والنكت ونحن نذكر طرفاً في هذا الباب من هذا الجنس إن شاء الله تعالى : وإعلم أن تفكير العبد في ابتداء أمره يحمله على خالص الشكر لربه من قلبه قال الله تعالى ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ الآية (١) أي بنعم الله وكل الأحوال والأوقات وقال تعالى : ﴿ أولاً يذكر الإنسان أننا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ وذكره الله تعالى نفسه لثلاثا يعجب بحالته وجرده عن كل فضيلة . ولهذا قال المشايخ عرفهم مقدارهم لثلاثا يتعدوا أطوارهم . وقال ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ ثم قال تعالى ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ ثم قال ﴿ وما بكم من نعمه فمن الله ﴾ جردك أولاً وعراك ثم أخبرك بما عرفك من العلوم والفهوم وأعطاك ثم ذكرك عظيم ما أنعم به عليك وأولاك ، وفي معناه يقول المنشي :

سقيا لمعهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصبابة معهدا

فمن أين كان لك العرفان والإسلام والإيمان والطاعة والإحسان والإستدلال والبرهان . لولا ما ألبسك من التوفيق . وأخلص لك من التحقيق ، وأهلك له من التصديق . قال الله سبحانه ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ . ثم أعلم أن سنة الله تعالى مع عبادة في بدء أحوالهم تختلف فمنهم من يكون من الإبتداء إلى الإنتهاء على وصف الوفاق محروساً من التدنس والزلات ومحفوظاً عن التلبس بالمخالفات غذتهم النرجمة وربتهم الرعاية وكفنتهم القربة وشملتهم الوصلة غار الحق سبحانه وتعالى على أحوالهم وأوقاتهم أن تضع أو يكون لغير الله تعالى فيها نصيب فمن هؤلاء أبو يزيد البسطامي فإنه

(١) وذكرهم بأيام الله أي بأقوام أنعم عليهم فكفروا بأنعمه فحسف بهم فضلاً عما سيحيق بهم في الأيام السود يوم القيامة ويوم الحساب .

دخل على والدته في حال صباه يوماً ، وقال إني أجد في قلبي حزازة لست أدري ما سببها وقد حاسبت نفسي فلم أقف على ما يوجبها فهل أطعمتني في حال صباي شيئاً من غير وجهه . ففكرت فتذكرت أنها سرحت يوماً بدهن لبعض الجيران بغير علمهم ولا طيب نفوسهم واحتاجت أن تطلب عليهم فاستحلت منهم فزال عن قلبه ما كان يجده . وقيل إن رجلاً جاءه فسأله عن بداية أمره ليستن بهديه ويسلك مثل طريقته فقال هو أن تكون في بطن أمك بحيث لو أردت أن تتناول شيئاً من المحظورات انقبضت يدها ، وهكذا سهل ابن عبد الله فإنه قال لما أسلموني إلى الكتاب كنت إذا اشتغلت بتعلم القرآن ذهل قلبي وإذا اشتغلت بمراعاة القلب ذهب حظي . قال : فدعوت الله عز وجل حتى سهل عليّ الجمع بين التعلم ومراعاة القلب . وحكى عنه خاله معروف أنه كان يسهر لصلاة الليل قال : وكان سهل لا ينام فنظر إليه وهو ابن ثلاث سنين وكان يقول خاله يا سهل نم ولا تشغلني فكان لا يأخذه النوم حتى يلقيه ذكر الله عز وجل إلى أن قال لخاله : ما تقول فيمن كشف لقلبه شيء^(١) فسجد قلبه له . فقال : إلى متى . قال : للأبد . قال له خاله : أنا لا أعرف هذه المسألة وحالتي لا تبلغ هذه الرتبة .

وحكي أن يحيى بن معاذ الرازي كانت له بنية فطلبت من أمها شيئاً تأكله فقالت لها سلي الله يعطيكه فقالت : أنا أستحي من الله أن أطلب منه شيئاً يؤكل . وطائفة من الأولياء كانت لهم بدايات مقشوشة وأحوال في الظاهر مختلفة فتداركهم الله تعالى بتوفيق التوبة بعد مدة وعاد بهم إلى الورع وأحوال السعادة بعد شدة مثل إبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض وحبيب العجمي والسري السقطي وبنان الجمال وغيرهم من المشايخ فإن هؤلاء حسنت أحوالهم من بعد

(١) وأنا أعلم علم اليقين أن الله تفضل على بعض الناس تفضلاً لا غلة له من أعمالهم بل بمنه وكرمه . وأعلم أن بعض الناس في عصرنا هذا يقع عليهم أكثر مما وقع لأبي يزيد . وقد عاينوا شيئاً في القلب والبصيرة والبصر . لا مسرية فيه . ولا إختلال في الشعور . أو تلبس من الشيطان . (والله ينعم على من يشاء ولا يعطي من يشاء) ومن أعطى أعلا المقامات شيخي أبي خليل وأحد تلاميذه الموجودين الآن على ما أعلم . والله يهدينا لأقوم سبيل .

فما زالت خجلة الإبتداء مصحوبة لهم وحشمة ما سلف عاصمة لهم عن محل الإعجاب . ولهذا قال بعض المشايخ من لم يحسن أن يقنعني لم يحسن أن يتقرا . وهذا أبو بكر الشبلي سيد عصره في وقته كان حاجب الموفق إلى أن تاب على يد بعض الشيوخ . والفضيل بن عياض كان يقطع الطريق بين مرو وتبوك إلى أن تاب لما سمع قارئاً يقرأ « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » وكان قد قصد إلى دار ليفجر بامرأة ثم إنه وقعت التوبة في قلبه فكف عما قصد فرأى رفقة نزلوا في موضع فقال لهم ما بالكم لا ترحلون فقالوا نخشى الفضيل فإنه على الطريق فقال : لا عليكم فانا الفضيل وقد تبت وأنتم في أمان .

وقد ذكر عن بعضهم أنه قال : كنت في بعض الطريق فظهرت اللصوص وخاف الناس وكان معي صرة دناتير فرأيت على البعد رجلاً يصلي فقصدته فاستودعته الصرة فقال : لا تودعها فإني رئيس اللصوص فقلت : ولم لم تغلبي عليها قال : لا أخون الوديعة . فقلت وما بالك تقطع الطريق وتصلي النافلة . قال يا أخي إدع للصلح موضعاً قال : فرأيت بعد ذلك بمدة متعلقاً بأستار الكعبة يدعو ويتضرع . وقد زال عما كان عليه فقلت ما حالك فقال قد حان أوان الصلح .

فصل : وثم من كان من الناس في بداية أمره صاحب جهد وعنا وجد وشقا . ومعاملات طويلة . ومنازلات كثيرة يقطعون الطريق منزلاً بعد منزل ومنهلاً بعد منزل كما قال قائلهم :

ما زلت أنزل من وداك منزلاً تتحير الأبواب دون نزوله

إلى أن يلوح لهم علم الوجود . وتبئين لهم تبشير الوصول . فيستريح القلب من تعب الطلب وكد النقلة وإن طولب بأضعاف ما كان مطالباً به قبله من أعباء القربة . فتطلع الشمس . وتحسن النفوس . ويسطع علم الإصباح وتلمع أنوار الفلاح كما قال قائلهم :

فلما استبان الصبح أدرج ضوءه بأسفاره أنوار ضوء الكواكب

وهذا الشبلي قال : طلبت العلوم إلى أن طلعت الشمس فقلت أريد فقه الله فقالوا لسننا نعرف ما تقول يشير إلى هذه الجملة التي ذكرتها .

ومن الناس من يكون موفقاً في بدايته مرزوقاً من غير كثير جد ولا كبير سعي وجد روح وصلته فالأول مرید والثاني مراد لكن هذا الوصف قل ما يدوم . وما أسرع العين إلى هذه الحالة وأنشد بعضهم :

عين أصابتك إن العين صائبة والعين تسرع أحياناً إلى الحسن

وقلما ترى محباً إلا وهو يندب أطلاً . ويبكي أحوالاً . ويشكي نوى وإرتحالاً .

ولقد حكى عن بعضهم أنه قال : كنت عند الجريري فجاء رجل وقال كنت على بساط الأنس ففتح عليّ باب من البسط فزلت زلة فحجبت عن مكاني فكيف لي بالسبيل إليه دلني على الوصول إلى ما كنت عليه قال : فبكي أبو محمد الجريري وقال الكل في قهر هذه الخطة لكن أنشدك أبياتاً تجد فيها جوابك إن شاء الله تعالى ثم أنشأ يقول :

قف بالديار فهذه آثارهم تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبراً عن أهلها أو صادقاً أو مشفقاً
فأجابني داعي الهوى لي مسرعاً فارقت من تهوى فعز الملتقى

وحكى عن بعضهم أنه قال كنت مع الجنيد فسمع مغنياً يغني :

منازل كنت تهواها وتألّفها أيام كنت على الأيام منصوراً

فبكي الجنيد وقال ما أطيب اللفة والموانسة وأوحش مقامات المخالفة . لا أزال أحن إلى بدء إرادتي وجدة سعبي وركوبي الأهوال ، طمعاً في الوصال فها أنا ذا في أوقات الفترة أتأسف على الأيام الماضية .

فصل : وأن من عدم الأحباب وترك الأصحاب . قطع الأسباب ولازم الإكتئاب وحالف الشجو والإنتحاب فواصل الليل بالنهار وسائل أحجار الديار وتتبع آثار المزار كما قيل :

أهوى الديار لمن قد كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا شغل

وقال الآخر :

وإني لأهوى الدار ما يستفزني لها الود إلا أنها من دياركا

وأنشدوا :

خليلي هل بالشام عين حزينة تبيكي على نجد فإني أعينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامة مطوقة ورقاء بأن قربتها

هذا والله شرط الوفاء . ملازمة الربيع بعد الإرتحال ومساءلة المنزل بعد الإنتقال . والتسلي بالأثر عند عدم النظر والتنغص بالعيش بعد الفرقة لا أبلانا الله بفرقة الأحباب إنه الكريم الوهاب .

* * *

في اسمه تعالى « الله » (١)

الكلام في هذا الباب من وجوه منها : القول في اشتقاق هذه التسمية هل هي مشتقة من معنى أو لا ؟ وإن كانت مشتقة من معنى فما هو ؟ وقد اختلف في ذلك فمنهم من قال إن هذا الإسم غير مشتق من معنى وهو إسم تفرد به الله تعالى فهو إسم خالص كما تكون لغيره أسماء الأعلام والألقاب إلا أنه لم يطلق في وصفه تعالى إسم الملقب والعلم لعدم التوقيف وهذا أحد قولي الخليل بن أحمد . ويحكى عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال بهذا القول وإليه ذهب الشيخ الحسين بن الفضيل وكثير من أهل الحق ممن سلك هذه الطريقة قال لم نر أهل

(١) المشهور أن إسم الله تعالى مشتق من إله . أي المثاله المتعالي الذي لا يحكمه أحد ويحكم جميع ما خلق والكل مدين له بوجوده يحتاج إليه في كل شأن أو من الوله أي الذي يتوله في حبه أهل محبته أو من الهوية إذ لا يشير جميع من في الكون إلا إليه فلا إله إلا هو . والإعتراض بأن الله كان ولا شيء معه ولا عابد يعرف المعبود ولا مألوه يعرف المثاله فهذا لا يطعن في أن الإسم مشتق وأن الله سمى نفسه به ليعرف أنه المثاله المعبود بعد خلق المخلوقات وأنه منع أن يسمى به مخلوق وعمل هذا يكون اسم الله المكنون لا يعلمه إلا هو أو من أراد من خلقه وله أسماء ذاتية أكثر من واحد فمما ورد عن رسول الله ما رواه رزين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « من كثرهم فليقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفي قبضتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك سري في قضائك أسألك بكل إسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو ستأثرت به في مكنون الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء همي وغمي ما قالها عبد قط إلا أذهب الله غمه وأبدله فرحاً » ومن هذا يعلم أن لله أسماء ذاتية غير أسماء الصفات ومنها ما استأثرت بها في غيب علمه وجعلها مكنونة يعلمها لمن شاء أو لا يعلمها لأحد ولو أنه سبحانه وتعالى لذاته إسم لا يعلمه إلا هو فهذا حق لأنه يكون اسمه المكنون المخزون المطهر الذي لا يباح بأن يخاطبه به الخلق بأرهم وفاجرهم في جدهم وجفوتهم ولو أنه ظهر ونادى به الخلاق بما لا يليق لهم لصنع من ناداه به دون أن يعرف حقه وكذلك وجب أن من ناداه به وكان باراً أن يجيبه تواً وذلك ممنوع في دار التكليف إذ لا بد أن يجري القضاء طبقاً للمقدور .

الله : علم على الذات العلية فهو الاسم الأعظم الجامع الفرد غير مشتق من إسم آخر انفرد به الله سبحانه وتعالى وهو جامع لجميع صفات الجلال والإكرام وذكره يكون من أهل اليقين ويرى حلاوة الإيمان ويؤت الحكمة وبه نيل كل خير وزوال كل شر .

اللغة تصرفوا في اشتقاق هذا الإسم وما كانوا يستعملونه في غير الله بل قل ما يوجد في كلامهم استعمال لفظ الله قبل الشرع في صفته تعالى فضلاً عن صفة غيره فكانوا يكتبون باسمك اللهم وقد قال الله تعالى هل تعلم له سمياً . جاء في التفسير هل تعلم أحداً تسمى الله غير الله وهذا أحد معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم التي تدل على صدقه في هذا الخبر حيث أخبر أنه لا سمي له . فقبض الله سبحانه القلوب عن التجاسر على إطلاق هذه التسمية في صفة غيره مع كثرة أعداء الدين وشدة حرصهم وتوفر دواعيهم على تكذيبه صلى الله عليه وسلم في أخباره ولهذا قال بعض المشايخ كل إسم من أسمائه تعالى يصلح التخلق به إلا هذا الإسم فإنه للتعلم دون التخلق . ومنهم من قال إنه مشتق من معنى ثم اختلفوا فيما اشتق منه هذا الإسم فمنهم من قال : الأصل فيه إله والإله من يوله إليه في الحوائج أي يفرغ إليه في النوائب كأكاف إسم لما يؤتكف به ولحاف لما يلتحف به وفي معناه أنشدوا :

ألمت إليكم في بلايا تنسوبي فألفيتكم كلاً كريماً ممجداً

وهذا القول ذهب إليه الحرث بن أسد المحاسبي في جماعة من أهل العلم والمفسرين وهذا عند أهل العلم لا يصح على وجه التحديد على معنى أنه لم يكن إلهاً إلا بعد الوصف . فإن صح هذا المعنى في نعتة فهذه العبارة تصلح للتفسير دون التحديد وإنما قلنا ذلك لحصول الإجماع على أنه لم يزل إلهاً وإن هذا الوصف ليس مما إستحقه لفعل أظهره ولا لمعنى حصل فيما لا يزال كوصفنا له بأنه خالق ومعبود . ولم يكن في الأزل من صح منه الفزع إليه ولأنه إله لا يصح منه الفزع ومن لا يصح كالجملات والأعراض ومن لا عقل له ولا تمييز فيصح منه القصد إليه بالفزع ومن أخذ بهذا القول على الوجه الذي بينا أنه يصح فمن عرف معبوده سبحانه بأنه هو الذي يفرغ إليه في الحوائج أعرض عن سواه . ولم يأخذ من دونه في دنياه وعقباه . وعلامة صحة ذلك أن يؤثر رضاه على هواه ثم يعرف بأنه وإن جد واجتهد فالعجز والتقصير قصاره فإن تداركته الرحمة فالجنة مأواه وإن حق بالعذاب الكلمة عليه فالنار مثواه . فالعبد إذا التجأ إلى ربه قلبه

دون أن يستبد بتدبيره ولبه . أو يستعين بأقرانه وصحبه . تعجلت له الكفاية في عاجله وتحققت له من الله الولاية في آجله وفي بعض الحكايات لورجعت إليه في أول الشدائد . لأمدك بفتون الفوائد . لكنك رجعت إلى أشكالك . فزدت في أشغالك . وقد قال بعض المشايخ إنما يعرف توحيد الرجل عند الصدمة الأولى من المحنة يعني بذلك إقباله على الله بقلبه في أول الوهلة . وقد حكى عن أحمد بن أبي الحواري أنه قال كنت مع أبي سليمان الداراني في طريق مكة فسقطت مني السطيحة فأخبرت أبا سليمان بذلك قال يا زاد الضالة يا هادي من الضلالة أردد علينا الضالة . قال : فلم ألبث حتى أتى رجل يقول من سقطت منه سطيحة فإذا هي سطيتي قال : فأخذتها . قال أبو سليمان حسبت أنه يتركنا بلا ماء فمضينا قليلاً وكان برد شديد وعلينا الفراء فرأينا رجلاً عليه طمران رثان وهو يترشح عرقاً فقال أبو سليمان نواسيك من فضل ما معنا فقال : الحر والبرد خلقتان من خلق الله إن أمرهما غشيانى وإن أمرهما تركاني فأنا أسير في هذه البادية منذ ثلاثين سنة ما ارتعدت ولا انتفضت يلبسني في البرد فيحاً من محبته ويلبسني في الحر برد رحمة . يا داراني تشير إلى الزهد وتجد البرد يا داراني تبكي وتصيح وتستريح إلى الترويح قال : فمضى أبو سليمان وهو يقول لم يعرفني غيره قال الأستاذ هذه الحكاية تدل على أن أبا سليمان صدق في فزعه إلى الله تعالى والتجائه إلى الله عند فقد السطيحة فحقق الله ظنه لما وصل إليه مفقودة ثم صانه عن محل الإعجاب بما أراء من محل من زاد عليه في معناه ثم صغر في عينه حال نفسه بما اطلع عليه من مزية غيره عليه في مقامه وتلك سنة الله مع أوليائه أن يصونهم عن ملاحظة الأعمال ويصغر في أعينهم ما يصفو لهم من الأحوال .

وكان الشيخ أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول : علامة من كان صادقاً فيما ظهر عليه من التواجد . أن تكون خجلته بعد صحوة من تلك الغلبة أكثر من خجلته من قارف كبيرة وكان كثيراً ما ينشد في معناه .

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأثام حسناته آثام
وسئل السبلي عن أفضل الطاعات فأنشأ يقول :

إذا محاسني اللاتي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

هكذا وصف من يعتقد في معنى اسم الله تعالى انه الذي يفزع إليه في النوائب لا يساكن المخلوقين . ولا يستعين بغير رب العالمين . يغتنم خلوته ثم يصفي دعوته ويظهر سرّاً بين يديه غصته ويرفع إليه بإخلاص القلب قصته . فإن وافق دعوته سابق القضا فاز بالنجح والظفر بجزيل العطا وإن كانت القسمة بخلاف ما طلب من البغية ألبسه الله لباس الرضا فهو بحسن أدبه بل بكمال ورده ومحبته بعد المنع عطاء ومنحة والرد إجابة وقربة وفي معناه أنشدوا :

أريد عطاءه ويريد منعي فأتارك ما أريد لما يريد
وأنشد آخر :

حين أسلمتني إلى الذال واللام تلقيني بعين وزاي

وقل من يوفق للدعاء ثم لا يستجاب له فإن من لا يكون أهلاً للإجابة قل ما ينطق لسانه بالمسألة . وقد حكي عن بعضهم أنه باع جارية له فندم على بيعها فاستحيا من الناس أن يظهر حالته فكتب حاجته على كفه ورفعها إلى السماء فلما أصبح قرع عليه الباب فقال : من أنت فقال مشتري الجارية مع الجارية فقال إصبر حتى آتيك بالثمن فقال لست أريدالثمن فإني أخذت خيراً من ذلك إني رأيت في المنام رب العزة يقول لي : إن البائع ولي من أوليائنا وقلبه معلق بها فإن رددتها إليه بلا ثمن أدخلناك الجنة بلا عمل فأنا أثرت الثواب على الثمن .

قول آخر في اشتقاق هذا الإسم . ومن الناس قال : إن اشتقاق هذا الإسم من الوله قالوا والوله هو الطرب وهو خفة تصيب الرجل لسرور أو حزن وفي معناه أنشدوا :

ولته نفس الظروف إليكم ولها حال دون طعم الطعام

قال الأستاذ : وكان الدقاق يقول سماع إسم الله يوجب الوله لأن المسمى به لا شبه له . وهذا القول أيضاً لا يصح على طريق التحديد لإستحالة وجود

الطرب في الأزل ولكونه إلهاً لمن لا يصح منه الطرب كما ذكرنا في الجمادات والأعراض . لكنه يصح في وصفه لا على وجه التحديد كما ذكرنا فإن من عرف الله كان بإحدى وقتين وقت قبض ووقت بسط . فالقبض يوجب هيئته . والبسط يقتضي قربته . وفي حال الهيبة يلحقه طرب هو دهشة وفي حال القربة يسجبه طرب هو فرحة . وقد حكى عن أبي حفص الصغار وكان كبيراً في شأنه أنه قال : تهمت في البادية أياماً فعطشت مرة وضعفت فرأيت رجلاً فاتحاً فاه ينظر إلى السماء فقلت له : ما هذه الوقفة فقال : مالك وللدخول بين المولى والعبيد ثم أشار بيده وقال : هو ذا الطريق فنحوت نحو إشارته فما مشيت إلا قليلاً حتى رأيت رغيفين على أحدهما قطعة لحم حار وهناك كوز ماء قال : فأكلت حتى شبعت وشربت حتى رويت ثم رأيت الطريق فرجعت إليه وقلت : ما التصوف ؟ فتبسم ثم قال لائح لاح . فاصطلم واستباح يعني بذلك أنه كشف يرد على الأسرار فيختطف العبد ويستبيح منه كل ماله حتى لا يؤثر لنفسه شيئاً والإصطلام محل القهر نعت الحيرة ووصف الدهشة . وكان الشبلي كثيراً ما يقول : يا دليل المتحيرين زدني تحيراً .

وقال ذو النون المصري المعرفة أولها التحير ثم الإتصال ثم الإفتقار ثم المحبة وفي معناه أنشدوا :

حب من أهواه قد أدهشني لا خلوت الدهر من ذاك الدهش
وأنشدوا أيضاً :

قد تحيرت فيك خذ بيميني يا دليلاً لمن تحير فيكما

قول آخر فيها اشتق منه هذا الإسم . ومن الناس من قال إنه مشتق من قولهم لاه فسروه على وجهين : أحدهما أنه بمعنى احتجب واستدلوا عليه بقول الشاعر :

لاهت فمأعرفت يوماً بخارجه يا ليتها خرجت حتى رأيناها

ويقول الآخر :

لاه زدني عن الخلائق طرأ خالق الخلق لا يرى ويرانا

وهذا القول خطأ من وجوه وإن كان له تعلق باللغة ، منها أن الإحتجاب لا يجوز في وصفه تعالى لأنه من صفات الأجسام والجواهر لأن المحجوب لا يخلو إما أن يكون مثل الحجاب في القدر أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك محال في وصفه ولأنه لم يزل إلهاً والإحتجاب في الأزل محال لأنه لم يكن في الأزل غيره فيحتجب عنه ولأنه إله الجمادات والأعراض ولا يجوز أن يكون المحجوب محجوباً إلا عن من يجوز أن يكون راثياً والجماد والعرض لا يكون راثياً والبيت الذي إستدلوا به غير معروف فإن قال قائل أردت بالإحتجاب أنه منع المبصرين من إدراكه ورؤيته . فيكون هذا القول صحيحاً في وصفه وإن لم يجز أن يكون حداً له لكونه في الأزل إلهاً ولم يكن معه من منعه وحجبه فعلى هذا من علم أنه منع المبصرين عن إدراكه ورؤيته فشرطه أن يكون متحققاً بإطلاع الحق سبحانه عليه فيكون مراقباً لربه وعلامته أن يكون محاسباً لنفسه . ومن لم تصح محاسبته لنفسه لم تصح مراقبته لربه . وسئل بعضهم عما يستعين به العبد على حفظ البصر فقال يستعين عليه بعلمه بأن رؤية الله تعالى له سابقة لنظره إلى ما ينظر إليه . وقيل : إن امرأة راودت طاوساً اليماني عن نفسه فقال لها وكانا بمكة - تعالى إلى المسجد الحرام فلما دخلت معه المسجد قال لها إقضي ما تريدين قالت : فكيف مع رؤية هؤلاء الناس بأسرهم قال : فكيف لا أستحي ولا تستحين من رؤية الله تعالى . قال : فتابت تلك الساعة وحسنت حالتها .

وهكذا صفة من كان من أولياء الله تعالى لا يكون بينه وبين أحد شيء إلا ويصير سبب نجاته حقاً كان أو باطلاً . وفي هذا المعنى حكى عن أبي سعيد الخراز أنه قال : كنت في بدايتي حدثاً حسن الوجه فكان رجل من الشطار الجبارين يؤذيني في بلدي فعزمت على السفر وخرجت من البلد فينا أنا أمشي إذا بنا به وقد لحقتي وأخذ يؤذيني فقلت له : إما أن تتصرف عني أو أطرح نفسي في

هذا البئر فلم ينصرف قال : فألقيت نفسي في بئر كانت هناك . قال فأمسكني الله وسط تلك البئر في الهواء قال فنظر ذلك الرجل إليّ وتعجب وغلبت عليه الدهشة والحيرة قال فخرجت فجاء الرجل وتضرع إليّ وبكى وقاب على يدي وصار أحد الأكابر ولم يتخرج على يدي أحد قبله وكان أول مريد لي .

فصل : ومنهم من قال : إن معنى لاه : علا . يقال لاهت الشمس إذا علت والعرب تسمي الشمس آلهة قال الشاعر :

وأعجلت الآلهة أن تغيبا

فهذا الذي قالوه إن أرادوا به علو المكان والمنزل فمحال في وصفه سبحانه لقيام الدلالة على إستحالة كونه في المكان . وإن أرادوا به علواً الصفة فذلك واجب في وصفه تعالى . فعلى هذا التفسير من علم علوه وجلاله فشرطه أن يتصاغر في عينه ويتواضع لربه في نفسه وعلامة ذلك أن يعظم أمر الله عز وجل فلا يكون له في الطاعة تقصير . ولا منه لأداء حق الله تأخير . وعلامة صحة ذلك أن يكفيه الله تعالى جميع أحواله ويصونه عن محل الذل فيما يسبح له من أشغاله فإن من حفظ أمر الله حفظ الله عليه وقته . وفي هذا المعنى حكى عن بعضهم أنه قال رأيت راعياً يرعى الغنم وهو في الصلاة والذئب يحفظ أغنامه قال فقلت له : متى صالح الذئب الغنم ؟ فقال : لما تصالح رب الغنم مع رب الذئب وقع الصلح بين الذئب والغنم . وكان الدقاق يقول : إن من له قدر عند الله أو منزلة فلو ظهر منه خلل في بعض أحواله عاتبه حتى السور في بيته .

وكان يحكى عن بعض المرازقة أنه قال : إجتاز الواسطي يوم الجمعة بباب حانوتي فانقطع شمع نعله فأخرجت إليه شمعاً واستأذنته في إصلاح نعله فأذن لي ثم قال : أتدري لم إنقطع شمع نعلي فقلت حتى تقول . فقال : لأنني ما اغتسلت للجمعة فقلت ههنا حمام أفتدخله فقال نعم ودخل - قول آخر في معنى إسمه الله . قال بعض الناس إشتقاقه من قولهم أله بالمكان إذا أقام به وفي معناه أنشدوا :

أهنا بدار ما تبين رسومها كأن بقاياها وشام على اليد

فكأنهم قالوا : إنما كان إلهاً بقدمه ودوام وجوده . وقال بعض الناس إن معنى الإله هو القديم وهذا القول باطل لأنه لو كان كما قالوا لوجب أن يكون كل من كان له إقامة بمكان أو تقدم بزمان أو دوام لوجود كان له قسيط من الألوهية وهذا باطل .

فأما دوام تقدم الوجود وتقدم الكون فمستحق للقديم سبحانه واجب . فمن عرف ذلك في وصفه فشرطه أن لا يساكن المخلوقات . ولا يوطن نفسه على شيء من المصنوعات . ويرتقي بهمته إلى رب الأرضين والسموات . وقال الله تعالى ﴿ والله خير وأبقى ﴾ فعند ذلك يكون عظيم الهمة شريف الإرادة جليل الحال لا يتعزز بدنياه . ولا يرضى بدون مولاه فيكفيه الله ما لا بد له منه ويجعل الكون بأسره خادماً له . فلا يستوحش من الغربة لما وجده من الإيناس والقربة .

وقد حكى عن بعضهم أنه قال خرجت مرة إلى الحج فبينما أنا في البادية إذ تهمت فلما جن عليّ الليل وكان ليلة مقمرة سمعت صوت شخص ضعيف يقول لي يا أبا إسحاق قد أنتظرتك من الغداة فدنوت منه فإذا هو شاب ضعيف نحيف أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أين أنت فقال من مدينة شمساط كنت في عز ورفعة فطالبتي نفسي بالعزلة فخرجت وقد أشرفت على الموت فسألت الله تعالى أن يقبض لي ولياً من أوليائه وأرجو أنك هو فقلت ألك والدان قال : نعم وإخوة وأخوات فقلت هل اشتقت إليهم أو إلى ذكرهم فقال لا إلا اليوم أردت أن أشم ريحهم فطافت بي السباع والبهائم فبكين معي وحملت إلى هذه الرياحين فقال : فيينا أنا معه على تلك الحالة يرق له قلبي إذ بحية أقبلت وفي فمها طاقة نرجس كبيرة فقالت دع شرك عنه فإن الله يغار على أوليائه قال فغشي عليّ فما أفقت حتى خرجت نفسه ثم وقع على نبات فانتبهت وأنا على الجادة قال : فدخلت مدينة شمساط بعد ما

حججت فاستقبلتني امرأة بيدها ركوة فإيا رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأيتني قالت يا أبا إسحاق كيف رأيت الشاب فإني إنتظرتك منذ ثلاث ذكرت لها القصة إلى أن قلت قال أردت أن أشمهم فصاحت وقالت أولاً بلغ الشم وخرجت نفسها فخرج أتراب لها عليهن المرقعات والقوط وتكفلن أمرها و تولين دفنها فانصرفت عنها . قول آخر : ومنهم من قال إن معنى الله من أله إذا تحير وهذا أيضاً لا يصح من طريق التحديد وإن صح من طريق المعنى على معنى أنه تحار العقول في جلال سلطان الله تعالى وذلك من أوصاف التعظيم وأن الذي يرى مخلوقاً فيدهش في رؤيته . ويتحير فيها يأخذ عنه من مشاهدته . وهو مخلوق مثله ذو نقص فحقيق به أن يتحير لو حصلت له ذرة من كمال المعرفة . ولقد قال يحيى بن معاذ الرازي ولو دارت ألسنة العارفين مع الناس كما تدور قلوبهم مع الله لقال الناس إنهم مجانين وعلامة صحة هذه الحالة أن لا يقع في أحكام الشريعة تقصير فإن من لم تحفظ عليه أوقاته في أداء ما كلف وإن كان مغلوباً فلنقص في حاله .

وقيل للشبلي ما علامة صحة ذلك في حالك هذه فقال أن لا يجري عليّ في أوقات الغلبة ما يخالف الصحو- قول آخر في معنى إسمه تعالى الله ومن الناس من قال إن معنى الإله أنه المعهود ومنهم من عبر عنه فقال هو المستحق للعبادة ومنهم من قال الذي لا تجب العبادة إلا له قالوا والدليل على أنه من التأله الذي هو التبعيد قول الشاعر :

الله درالفانيات المموه سبحن واسترجعن من تأله

أي نعبد . قالوا ولأن العرب سمت الأصنام آلهة لما عبدوها . وهذا أيضاً لا يصح من وجوه : منها أنه لم يزل إلهاً ولا يقال كان في الأزل معبوداً لأن المعبود من له عابد وله عبادة وتقدير ذلك في الأزل محال ولأن العبادة إنما تجب بأمر الله تعالى . ولو قدرنا أنه لو لم يأمر أحداً بعبادة لكان ذلك سائغاً في وصفه ولو كان كذلك لم يكن إلهاً على قضيتهم ولأنه لو كان معنى الإله أنه المعبود لكان

العابد بعبادته جعله إلهاً وهذا محال ولأنه إله من لا تصح منه العبادة كالجُمادات والأعراض وغير ذلك وهذا ظاهر . وأما التأله فهو مشتق من الإله والإله مشتق من التأله . فالتأله هو التقرب إلى الإله . على أن هذا المعنى صحيح في وصفه تعالى لا على سبيل التحديد للإله . فمن علم أنه المعبود سبحانه دون غيره أخلص في حالته . وصدق في طاعته . وصفي عن الرياء أعماله وزكى عن الإعجاب أحواله قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِص ﴾ وقد حكى عن يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى أنه قال : لو دخل عليك صبي لتغيرت لأجله وغيرت ظاهره من قبله . إن أمر الرياء لدقيق . وحكى عن بعض المشايخ أنه قال : لو أمر بمراء إلى الجنة لالتفت هل يراه أحد . وأما الإعجاب الذي هو رؤية المقام واستكبار القدر والجاه واستكثار الطاعة والفعل فإنه سبب الحجاب ولهذا قال الشيوخ من أعجب بنفسه حجب عن ربه ولو لم يكن لترك الإعجاب موجب سوى قصة إبليس حيث قال : أنا خير منه ، وقصة قارون في كثرة المال حيث خرج على قومه في زينته . وقصة فرعون حيث قال أليس لي ملك مصر لكان في ذلك كفاية في الزجر والمنع وفي بعض الكتب أن السمكة التي عليها الكون أعجبت لما أطاقت حمل الأرضين بثقلها فقيض الله تعالى لها بعوضة حتى لسعت أنفها فأصابها وجع شديد فسكنت ولبعوضة بين عينيه لا تجسر أن تتحرك من خوفها^(١) .

فصل : فإن قيل فما الذي يصح في معنى هذا الإسم إذا لم يصح ما ذكرتم من أقاويل قلت قد اختلفت أقاويل أهل الحق في ذلك والشمل متقارب يرجع إلى معنى واحد فمنهم من قال : الإله من له الألوهية والألوهية القدرة على

(١) لم يكن العلم تقدم وعلى مبلغ علمهم أن السمكة تحمل الأرضين ولو أنهم تأملوا في القرآن وتحققوا من عبارته وعلمه لعلموا أن الأرض وجميع الكواكب لا تحمل على شيء إنما تحمل بقدرة الله تعالى قال تعالى ﴿ يسك السماء أن تقع على الأرض ﴾ وقال ﴿ رفع السماء بغير عمد ترونها ﴾ وقد فتح الله عليهم في أشياء وغاب عنهم الكثير . واتخذوا من السمكة والبعوضة عظة أن البعوضة على صغرها تخيف السمكة على عظمها . فلا يصح أن يفتخر أحد بما أوتي والمعول على العظة لا على غيرها من حال الأرض والسماء وكل عظام الكتاب وأمثاله تحمل على مثل

الإختراع ومنهم من قال : هو المستحق لأوصاف العلو والرفعة ومنهم من قال هو من له الخلق والأمر ، وذلك لأننا وجدنا أهل اللغة أطلقوا هذه اللفظة على من اعتقدوا فيه معنى إستحقاق التعظيم فعلمنا بإطلاقهم أنها لفظة موضوعة لمن يستحق ما لأجله يصح أن يعظم فكانوا مصيبين في التسمية مخطئين في التعيين وأمثال هذا كثير كإطلاقهم لفظ الحسن والقبح على شيء معلوم في الجملة ثم أخطأوا في الحكم لبعض الأشياء بأنها حسنة وأنها قبيحة على التعيين ولهذا نظائر كثيرة فمن عرف علوه سبحانه وقدره وتحقق رفعة ومجده فأماره صحته سقوط قدر الأغيار من قلبه . كما قيل إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين وقيل المعرفة حقر الأقدار سوى قدره ومحو الإذكار سوى ذكره . وصفة من كان بهذا الوصف أن لا تأخذه في الله لومة لائم فيكون بحق الله قائماً وبالحق ناطقاً وفي دين الله قوياً وعن الأغيار بتعظيم السر برياً فإن أفضل الأعمال كلمة حق عند من يخاف ويرجى . وقد حكى أن فيها مضى من الزمان كانوا يعبدون شجرة فخرج رجل من المسلمين من بيته وركب حماراً له وأخذ فأبساً بيده وقصد إلى قطع تلك الشجرة غيرة في الدين وحمة . فتمثل له إبليس في صورة رجل فقال له : إلى أين تريد يا عبد الله فقال : أقلع تلك الشجرة التي تعبد من دون الله غيرة مني في الدين فقال له لا تفعل بل إنصرف وأنا أضع تحت وسادتك كل ليلة درهمين فطمع الرجل فيه وانصرف فأصبح ولم يجد شيئاً فلبث اليوم الثاني والثالث فلم يجد شيئاً ثم بعد أيام خرج مغضباً وقد أراد حرده فاستقبله إبليس فقال له : إلى أين تريد فقال الشجرة فقال له إبليس : إنك لو درت حولها لوقصت^(١) عنقك إنك لما فات من حظك حررت والمره الأولى ما كان يقاومك أحد فانصرف راشداً . ثم إن من كان بوصفه التعظيم لربه أورثته تلك الحالة شفقة على خلقه فيتحمل الأذى بطيب نفس من الكل ولهذا قال سهل رحمه الله تعالى الصوفي : من كان دمه هدرأً وملكه مباحاً والخلق في الدنيا جيرانك في

(١) وقص عنقه كوعد كسرهما فوقصت لازم وتمتداه قاموس

السجن بل رفاؤك في السفر فأحسنهم خلقاً أشرفهم قدراً . وقد حكى عن مالك بن دينار أنه استأجر داراً من يهودي فحول اليهودي مستحمة في الدار التي كان فيها إلى بيت كان على البيت الذي فيه مالك . وإذا الجدار مهدم تدخل النجاسة إلى بيت مالك في محرابه يقصد بذلك أذاه ومالك ينظف البيت كل ليلة ويكنسه ولم يقل شيئاً حتى أتى على ذلك مدة فعرف صبره فدخل عليه فقال : منا الذي صبرك على مقاساة هذه المشقة دون أن تخبرني بذلك فقال : قول نبينا صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه قال فأسلم اليهودي وحسن إسلامه .

فصل آخر في معنى الله : واختلف الناس من وجه آخر في أصل هذه الكلمة أي شيء كان ؟ فذهب الكوفيون إلى أنه كان في الأصل لاه ثم أدخل فيه الألف واللام فصار الله .

وقال البصريون : كان في الأصل إلاه ثم دخل عليه الألف واللام فصار الإله فاجتمع فيه همزتان وبينهما حرف ساكن والساكن لا يحجز حجراً حصيناً فصار كأنه اجتمع همزتان ومن شأن العرب إذا اجتمع همزتان حذف إحداهما ولم يحجز حذف الأولى لأنها مجتلبة لسكون اللام فحذفت الثانية فاجتمعت لأمان فأدغمت إحداهما فصار الله . وليس هذا موضع البسط فيه فاقصرنا على اليسير منه . فأما أقاويل شيوخ الصوفية في معنى هذا الإسم فكثيرة وأكثرها يحتاج إلى تفسير وبيان لكونه بوصف الزمن ونحن نذكر منه طرفاً على وجه الإيضاح . فمن ذلك ما حكى عن الشبلي أنه قال : ما قال أحد الله سوى الله فإن من قاله قاله بحظ وأنى تدرك الحقائق بالحظوظ ؟ والأشكال في هذه الحكاية فمن قوله قال أحد الله سوى الله . وتفسير ذلك ما قاله مقترناً به : ان كل من قاله لفظه يعلم أنه أراد به أن ذكر الخلق لله لا يشبه ذكر الله لله . والشيء الذي يقل قدره يعد لا شيئاً بالإضافة إلى ما له قدر . وقال أبو سعيد الخراز ومنهم من جاوز حد نسيان حظوظ نفسه ووقع في نسيان حظه من الله ونسيان حاجته إلى الله فلو تكلمت جوارحه وأعضاؤه ومفاصله لقاتل الله الله . وفي هذا المعنى كان الشيخ

أبو علي يحكي أن رجلاً كان يقول الله الله دائماً فأصاب حجر رأسه وشجبه فوقع دمه على الأرض فاكتتب الدم على الأرض الله الله . وحكي أن أبا الحسين النوري بقي في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم ويقول الله الله فأخبر الجنيد بذلك فقال : أنظروا محفوظ عليه أوقاته أم لا فقبل إنه يصلي الفرائض فقال الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً . ثم قال : قوموا حتى نزوره فإذا أن نستفيد منه وأما أن نفيده . فدخل عليه الجنيد فقال يا أبا الحسن ما الذي دهاك فقال : أقول الله الله زيدوا عليّ فقال له الجنيد : أنظر هل قولك الله بالله أم قولك بنفسك فإن كنت القائل الله بالله فلست القائل له . وإن كنت تقول بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله . فقال نعم المؤدّب أنت وسكن وله ، وقال بعضهم إن الألف في هذا الإسم إشارة إلى الوحدانية . واللام إشارة إلى محو الإشارة . واللام الثانية إشارة إلى محو المحو في تكشف الهاء . وحكي أن الشبلي قال في مجلس الجنيد في وله الله الله فقال له الجنيد يا أبا بكر الغيبة حرام قيل معناه إن كنت غائباً فذكر الغائب غيبة وإن كنت حاضراً فهو ترك الحرمة . وحكي عن أبي سعيد الخراز أنه قال رأيت بعضهم فقلت ما غاية هذا الأمر قال الله قلت ما معنى قولك الله قال نقول اللهم ودلني بك عليك وثبتني عند وجودك ولا تجعلني ممن يرضى بجميع ما هو دونك عوضاً منك وأقر فؤادي عن لقائك .

* * *

في معنى « لا إله إلا الله » وما يتعلق به

إعلم أن هذا القول وإن كان إبتداؤه النفي فالمراد به غاية الإثبات ونهاية التحقيق فإن قول القائل لا أخ لي سواك ولا معين لي غيرك أكد من قوله أنت أخي وأنت معيني وقد روي في الخبر أن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة » وروي في الخبر « مفتاح الجنة لا إله إلا الله » وإنما يكون العبد قائلاً في الحقيقة لا إله إلا الله إذا كان قائلاً بقلبه لأن الكلام المخلوق محله القلب وذلك معلوم من مذهب أهل الحق . وكذلك من طريقة أهل الله قال الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وإنما يكون قائلاً لا إله إلا الله بقلبه إذا كان عارفاً بربه . وكل الناس يحملون قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله » مخلصاً على أنه أراد أنه إذا مات على الإخلاص . وأهل الإشارة قالوا إذا كان مخلصاً في مقالته . كان داخلياً في الجنة في حالته . قال الله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ قيل جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات . ولذاذة المناجاة والإستئناس بفنون المكاشفات وجنة مؤجلة هي فنون المثوبات وعلو الدرجات .

ولقد أحسن من قال : لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا راحة للمؤمن دون لقاء الله » وأن العارف لا جلوة له إلا في خلوته ولا راحة له إلا في مناجاته على بساط قربته . قال قائلهم :

إذا تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن ألقاك يا عز خالياً

وأما أقاويل المشايخ في هذه الكلمة فقد قال بعضهم إنه نفي ما يستحيل كونه وإثبات ما يستحيل فقدته . ومعنى هذا أن يكون الشريك له سبحانه محالاً وتقدير العدم لوجوده مستحيلًا . وقال بعض المشايخ مجيباً لمن قال له لم تقول : الله الله ولا تقول : لا إله إلا الله فقال : نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب . وكان الدقاق رحمه الله تعالى يقول : إنما قول لا إله إلا الله لاستصفاء الأسرار عن الكدورات لأنه إذا قال العبد لا إله إلا الله صفا قلبه وحضر سره ليكون ورود قوله الله على قلب منقى وسر مصفى . وقال رجل للشبلي : يا أبا بكر لم تقول الله الله ولا تقول : لا إله إلا الله فقال : لا أنفي له ضدًا فصاح وقال : أريد أعلى من ذلك فقال : أخشى أن أؤخذ في وحشة الجحد فقال الرجل أريد أعلى من ذلك فقال : قال الله تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ فزقق الرجل وخرجت روحه . فتعلق أولياء الرجل بالشبلي وادعوا عليه دمه وحملوه إلى الخليفة فخرجت الرسالة إلى الشبلي من عند الخليفة فسأله عن دعواهم فقال الشبلي : روح صفت فرنت فدعيت فأجابت فما ذنبي ؟ . فصاح الخليفة من وراء الحجاب : خلوه فلا ذنب له .

وقيل فمعنى قوله لا إله إلا الله مفتاح الجنة أن العبد إذا كان مطيعاً كان داره في الجنة أشد عمارة وأكثر زينة . وإذا عصي كان لا يعمر داره ولا يزول ملكه ولا يسلب مفتاح الدار من لا يعمرها . فكذلك ما دام العبد مخلصاً في قول لا إله إلا الله كان من أهل الجنة .

* * *

في معنى « هو »

إعلم أن هو اسم موضوع للإشارة وهو عند الصوفية إخبار عند نهاية التحقيق وهو يحتاج عند أهل الظاهر إلى صلة تعينه ليكون الكلام مفيداً لأنك إذا قلت هو ثم سكت فلا يكون الكلام مفيداً حتى تقول هو قائم أو قاعد أو هي حي أو ميت وما أشبه ذلك .

فأما عند القوم فإذا قلت هو فلا يسبق قلوبهم غير ذكر الحق فيكتفون عن كل بيان يتلوه لإستهلاكهم في حقائق القرب بإستيلاء ذكر الله على أسرارهم وإتمحائهم عن شواهدهم فضلاً عن إحساسهم بمن سواه وكان الإمام أبو بكر بن

هو : اسم من أسماء الله له هبة وجلال عند أرباب الطريق والمكاشفات وأهل المشاهدة ومخرجه من باطن القلب وله حرارة تزكي الجسد والروح ومعناه حاضر لا يغيب لا يشتمل عليه زمان ولا يحويه مكان منزه عن مشابهة الحوادث قريب من عبده في أي زمان ومكان . الإله هو ولا إله إلا هو وهو مصدر الإفتتاح والإيجاد والباء هو الله أحد . هو الأول والآخر . والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الحق . هو مصدر الجلال والجمال لأهل شهود النور الذاتي والمعنوي فلم يحتاجوا إلى غيره ولا إلى الأسباب والتسائج وهو مصدر الإكرام والأنعام لأهل شهود القيام في الكائنات بما احتاجوا إليه لظهورهم في العوالم الحسية . هو هو ولا مشهود غيره هو المحبوب الذي يستغنى بجنه ومعرفة عن كل ما سواه . هو نهاية النهايات ولا نهاية لكماله . وكل العوالم والكائنات والمعاني والدلالات تشير إليه « هو الله الذي لا إله إلا هو عائلته الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون . هو هو نهاية أملي وشاغل عقلي وربى هو الذي أحياني وأقامني ولولاه ما سرى في الحس والإدراك . فلم لا أرجع المملوك إلى مالكه إختياراً وحباً فأزدد وجوداً وحية وقرباً من ذي البقاء والقدم فلا أرد إلى أسفل سافلين بظلمة النظر إلى أهل الفناء والعدم . « فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقتني فهو يهديني . والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يبعثني ثم يحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين . رب هب لي حكماً وألخني بالصالحين » سبحانهك تخرج الحي من الميت . وتخرج الميت من الحي حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . فهو اسم الإشارة لذات واجب الوجود . لمراقبة حضوره وخوف عقابه . وهو الضمير الدال على اسم الله تبارك إسم ربك ذي الجلال والإكرام .

فورك رضي الله عنه يقول هو حرفان هاء وواو . فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهو آخر المخارج والواو تخرج من الفه وهو أول المخارج فكأنه يشير إلى ابتداء كل حادث منه وإنهاء كل حادث إليه وليس له ابتداء ولا إنتهاء . وهو معنى قوله سبحانه . « هو الأول والآخر » فقوله : هو الأول . إخبار عن قدمه وقوله : الآخر إخبار عن إستحالة عدمه . وهو الأول بإحسانه إليك بدياً والآخر بإتاحته لك وإدامته عليك لطفاً أبدياً فكل خير لك به نظامه وعليه تمامه قال الله سبحانه ﴿ تماماً على الذي أحسن ﴾ ، وقد حكى عن بعضهم أنه قال رأيت بعض السواهيين فقلت ما اسمك فقال هو قلت من أنت فقال هو قلت من أين جئت فقال هو قلت من تعني بقولك هو فقال هو فما سألته عن شيء إلا قال هو فقلت لعلك تريد الله قال فصاح وخرجت روجه . وقال أهل الإشارة إن الله تعالى كاشف الأسرار بقوله هو وكاشف القلوب بما عداه من الأسماء وقيل كاشف المحبين بقوله هو وكاشف المتيمين بقوله الله وكاشف العلماء بقوله أحد وكاشف العقلاء بقوله الصمد وكاشف العوام بقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفراً أحد . وقيل كاشف الخواص بالاهيته وكاشف خاصة الخاصة بهويته وكاشف العوام بأفعاله الحاصلة بقدرته .

في معنى اسمه « الملك »

إعلم أن الله سبحانه وتعالى يوصف بأنه الملك قال الله تعالى ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ ويوصف بأنه المالك قال الله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ويوصف بأنه مالك الملك . قال الله تعالى ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ ويوصف بأنه المليك . قال الله تعالى ﴿ عند مليك مقتدر ﴾ فالمالك مشتق من الملك . والمالك مشتق من الملك . والمليك مبالغة من المالك كالعليم مبالغة من العالم والمالك مبالغة من الممالك وأصل الملك في اللغة الشد والربط . ومنه قولهم ملكت العجين إذا بالغت في عجنه . ووجه ثان أنه مشتق من القدرة قال الشاعر :

ملكته بها كفي فأنهزت فعنقتها يرى قائم من دونها ما وراءها

ويقال ملكت كفي بالطعن إذا بالغ فيه ويقال لعقد المصاهرة الإملاك لأنه إرتبط بعقد التزويج وصلة ما بين الزوجين ، وأما حقيقة المالك عند أهل التحقيق فهو القدرة على الإبداع والإنشاء . وعلى هذا فلا مالك على الحقيقة إلا الله ، والعبد إذا وصف بالملك فلفظ الملك في وصفه مجاز ، وإن كان أحكام الملك في مسائل الشرع تكون على الحقيقة فإن كون اللفظ في الشيء توسعاً ومجازاً لا يمنع أن تكون أحكام ذلك المسمى في الشريعة على الحقيقة . كلفظ الإستنجاء في الإستنظاف توسع . ثم لا يمنع أن تكون أحكام الإستنجاء في الشريعة على الحقيقة .

الملك : الذي أوجد كل شيء وله التصرف المطلق في كل شيء ولا يحتاج إلى غيره مع إحتياج جميع المخلوقات إليه وذكره يورث الإنكال عليه والغنى وعدم الإحتياج إلى غيره .

وقول المخالفين في حد الملك أنه القدرة على الإطلاق لا يصح لأنه يجب على قضيتهم أن يكون الغاصب مالكا للمغضوب لكونه قادراً على النصب وهذا محال وقول من قال حقيقة الملك جواز التصرف في الشيء على الإطلاق احترازاً من الولي والوصي والوكيل لأنهم لا يتصرفون على الإطلاق بل يتصرفون بالإذن لا يصح لأن الصبي مالك على الحقيقة والمجنون والمحجور عليه ما كان على الحقيقة ولا يصح منهم التصرف فبطل ما قالوه هذا طرف من الكلام في معنى الملك والمالك مما يتعلق باللغة ومسائل الأصول فأما ما يتعلق من الكلام فيه بطرائق التذكير فعلى أقسام منها أن يقال أن العبد إذا تحقق أن الملك لله تعالى تنكب عن وصف الإدعاء وتبرأ من الحول والقوة في تسليم الأمر للملكه . ولم يعول على اختياره ولم يفزع إلى إحتياله عند طلب الخلاص من مهالكه . فلا يقول بي ولا يقول لي ولا يقول مني . ولهذا قال المشايخ : التوحيد إسقاط الياءات يريدون الإضافة إلى نفسه وقيل لبعض المشايخ أنك رب فقال أنا عبده وليس لي ملك فمن أنا حتى أقول لي .

فصل : ومن تحقق بملك سيده عاد جمال ذلك لنفسه بل شهد بذلك استغلال نفسه وفي معناه قيل :

وما ضربنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

وحكي عن شقيق البلخي أنه قال : كان ابتداء توبتي أني رأيت غلاماً في سنة قحط يمزح زهواً والناس تعلوهم الكآبة لمقاساة الجدوبة فقلت له يا هذا ما هذا المرح أما ترى ما فيه الناس من المحن ؟ فقال ما يحق لي حزن ولسيدي قرية مملوكة يدخر منها ما أحتاج إليه فقلت في نفسي إن هذا العبد لمخلوق ولا يستوحش لأن لسيدة قرية مملوكة فكيف يصح أن أستوحش وسيدي مالك الملوك فانتبهت وتبت .

فصل : وإذا ثبت أنه مالك مملك كما قال عز من قائل : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ يملك من عباده من

سبقت له عنايته وحققت له في عموم الأحوال رعايته فيملكه هواه ويعتقه من أسر نفسه ومناه . ويجرر عن رق البشرية ويخلصه من رعونة الإنسانية - وفي معناه قيل : من ملك النفس فحر ما هو . والعبد من يملكه هواه . وحكي أن بعض الأمراء قال لبعض الصالحين سلني حاجتك قال أولى تقول ولي عبدان هما سيداك قال ومن هما قال : الحرص والأمل فقد غلبتهما وغلباك وملكنهما وملكاك . وقال بعض أهل الإشارة في معنى قوله تعالى : ﴿ رب قد آتيتني من الملك ﴾ أنه أراد بهذا الملك علو النفس حيث امتنع من مراودة امرأة العزيز . وقد حكي عن بعضهم أنه قال كنت أمر بعسفان فوق بصري على امرأة جميلة فمال إليها قلبي فاستعنت بالله واتقيت ومررت فلما نمت تلك الليلة رأيت يوسف عليه السلام في المنام فقلت : أنت يوسف فقال : نعم فقلت الحمد لله الذي عصمك من امرأة العزيز فقال لي والحمد لله الذي عصمك من العسفانية .

فصل : ومن عرف أنه التوحد بالملك أنف أن تتذلل لمخلوق لأن المعرفة بالملكه توجب التجرد له في التقرب إليه وقصده . وفي معناه ما حكي عن الساجي في فصل ما يقول أيجمل بالحر المرید أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد . وقال بعضهم : من عرف الله لم يحتمل غنج^(١) المخلوقين ولا فتهم . وحكي عن بشر الحافي أنه قال رأيت أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في النوم فقلت له عظني يا أمير المؤمنين فقال لي : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً للثواب وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله فقلت : زدني يا أمير المؤمنين فقال :

قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قريب تصير ميتاً
عز بدار الفناء بيت فابن بدار البقاء بيتاً

فصل : ومن آداب من عرف أن الملك لله أن يثق بما يرجوه من الله ويأمله

(١) يضم الغين وسكون النون والمعنى لم يأنس لخلاعة المخلوقين واستغنى عنهم فلم يفتن بهم ولم ينجح إليهم في شيء وأنه مستغني بمالك الملك .

في جميع ما يتفق فيه ويفعله ويذره ويستعمله ويكون بما بيد الله أوثق مما في يده . قال سهل ابن عبد الله من لم يدبر فمولاه يدبره وكان الدقاق رحمه الله يقول : من آمن بالخلف لم يحتشم من القلف . وحكي عن بعضهم أنه قيل لبعض الفقراء حين دخل عليه ولم يجد شيئاً من المتاع في داره ليس لكم شيء فقال بلى لنا داران إحداهما دار أمن والأخرى دار خوف فما يكون لنا من الأموال ندخره في دار الأمن يعني بذلك إنفاقه في سبيل الله وقيل في بعض الكتب بشر من ادخر ماله بحادث أو وارث . وحكي عن بعض أهل المعرفة أنه قال كنت أسير في البادية مع القافلة فتقدمت الرفقة يوماً فرأيت امرأة تمشي بين يدي القافلة فقلت : إنها ضعيفة فسبقت القافلة لئلا تنقطع وكان معي درهماً فأخرجتها من جيبى وقلت لها خذيها فإذا نزلت القافلة فاطلبيني لأجمع لك شيئاً لتكثري مراكباً يملكك قال : فمدت يدها وقبضت شيئاً من الهواء وإذا في يدها دراهم فناولتني وقالت أخذت من الجيب وأخذنا من الغيب .

وقال بعضهم من إمارات التوحيد والثقة بالمعبود كثرة العيال على بساط التوكل ومن آداب من كان واثقاً بالله تعالى أن لا يحتشم من الإنفاق والبذل في سبيل الله تحقّقاً بأن الخلف منه تعالى معجل وجميل العقبى مؤجل . وحكي عن حاتم الأصم أنه كان صائماً يوماً فلما أمسى قدم إليه فطوره فجاء سائل فدفع ذلك إليه فحمل إليه في الوقت طبق عليه من كل لون من الأطعمة والحلاوة فاتاه سائل آخر فدفعه إليه ففتح له بصرة فيها دنانير في الوقت فلم يتمالك أن صاح : الغوث من الخلف . الغوث من الخلف وكان في جيرانه من يسمى خلفاً فتسارع الناس إليه وقالوا : لم تؤذي الشيخ حتى يصبح منك وحملوه إليه فقال : إني لم أعنيه وإنما عجزت عن شكر الله تعالى على ما يعجل لي من الخلف وذكر القصة .

* * *

في معنى اسمه «القدوس»

القدوس على وزن فعول وهو من القدس والقدس الطهارة والتسديس التطهير والأرض المقدسة المطهرة . ومعناه في وصفه تعالى يعود إلى استحالة النقائص في وصفه . وتنزهه من الآفات وذلك باستكمالها نعوت الجلال فمن تحقق معنى ذلك في وصفه علم أنه عزيز لا يرتقي إلى تصويره وهم . ولا يطمع في جواز تقديره فهم فلا تنبسط في ملكه بغير تقديره يد حدثان . ولا يقف مضى أحكامه على نصره أعوان تاهت العقول في قفار الحيرة عن الإحاطة بصمديته . كيف لا وهو مستحق لنعوت سرمديته متوحد بتقدم أزيته . وكلت الأبصار عند رؤيته عن إدراك حقيقته . ولم لا والجبروت حقه بإستحقاق الملكوت عينه وذاته .

ومن آداب من عرف هذا الإسم أن يطهر نفسه عن متابعة الشهوات وماله عن الحرام والشبهات . ووقته عن دنس المخالفات . وقلبه عن كدورة الغفلات . وروحه عن المضاجعات والمساكنات ، وسره عن الملاحظات والإلتفاتات . فلا يتذلل لمخلوق بالنفس التي بها عبده ولا يعظم مخلوقاً بالقلب الذي به شاهده ، ولا يبالي بما فقدته بعد ما وجده ولا يرجع قبل الوصول إليه بعد ما قصده فهو عن الأعراض والأدناس متعاون وبما يفوته من الأغراض وصحبة الأجناس متهاون . به يقول إذا قال . وبه يصول إذا صال . دلت نجوم عقله على ثبوت وجوده . وأضاءت أقمار علومه بتحقيق نعت شهوده . وطلعت شمس معارفه فأذنت بغنائها وخموده . تفرد عند أفعاله عن دعواه وتجرد في عموم أحواله

القدوس : المنزه عن صفات النقص والحدوث لا يدركه حس ولا يسبق إليه وهم أو يحيط به عقل ، وذكره يورث صفاء الباطن .

عن متابعة هواه . وأثر في جميع أوقاته متابعة رضاه .

فصل : ومن آداب من عرف أنه القدوس أن تسمو همته إلى أن يظهره الحق سبحانه من عيوبه وآفاته ويقدسه عن دنس عاهاته في جميع حالاته . فيحتال في تصفية قلبه عن كدوراته . ويرجع إلى الله تعالى بحسن الإستجابة في جميع أوقاته فإن من طهر الله لسانه عن الغيبة طهر الله قلبه عن الفيبة . ومن طهر لله طرفه عن النظر بالريية . طهر الله سره عن الحجة حكي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه مر بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد تقايا فنظر إليه وقال : بأي شيء أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله بهذا الغم فغسل فمه فلما أن أفاق السكران أخبر بما فعله إبراهيم بن أدهم فحجل الرجل وتاب وحسنت توبته فرأى إبراهيم بن أدهم فيما يرى النائم كأن قائلًا يقول : غسلت فمه لأجلنا فلا جرم طهرنا لأجلك قلبه . وفي الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم نظفوا أفواهكم فإنها مجاري القرآن وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال بني الإسلام على النظافة .

فصل : واعلم أن الحق سبحانه يطهر نفوس العابدين بحسن تأييده عن دنس المخالفات وإتباع الهوى ويطهر قلوب الزاهدين بيمين التسديد عن الرغبة في الدنيا واستشعار المنا . ويطهر أسرار العارفين بنور توحيده عما سوى المولى . فالعابدون متصفون بطاعة الله مقبلون على عبادة الله محترقون باستشعار الخلوص في تقوى الله والزاهدون مقيمون على الإكتفاء بوعد الله معرضون عما يوجب التهمة في ضمان الله ، والعارفون إن قاموا قاموا بالله وإن نطقوا نطقوا بالله وإن سكتوا سكتوا بالله فكيفما دارت أوقاتهم وتصرفت أحوالهم فالغالب على قلوبهم ذكر الله لاج لأسرارهم منه علم فطاح^(١) عن إحساسهم كل وصم^(٢) أذاقنا الله بما أذاقهم شمة ، وإنه ولي كل نعمة .

* * *

(١) ذهب .

(٢) مرض .

في معنى إسمه « السلام »

السلام إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن الكريم واختلفوا في معناه فمنهم من قال إن معناه ذو السلام والسلام بمعنى السلامة كاللذاذ بمعنى اللذاذة والرضاع بمعنى الرضاعة ومعناه يعود إلى تنزه الرب سبحانه عن الآفات وتقديسه عن سمات المخلوقات وهو بمعنى القدوس ، وقيل معناه ذو السلامة أي منه السلامة لعباده . ولهذا قيل إن معنى السلام أنه سلم المؤمنين من عذابه . وقيل إنه السلام أي ذو السلام على أوليائه : قال الله تعالى ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ وإذا قلنا إنه ذو السلام أي ذو السلامة من الآفات كان من صفات ذاته . وإذا قلنا إن المؤمنين يسلمون من عذابه كان من صفات فعله .

ومن آداب من عرف أنه السلام أن يسلم منه المؤمنون كما ورد في الخبر عن سيد البشر صلوات الله عليه أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وقيل لبعضهم : من البر؟ قال : الذي لا يضمم الشر . ولا يؤذي الذر . وحكي عن بعضهم أنه رأى إنساناً يغتاب رجلاً فقال : هل غزوت العام الروم فقال : لا فقال : وهل غزوت الترك والهند قال لا قال : وكيف تسلم منك الكفار ولم يسلم منك أخوك المسلم . وقيل إن أبا يزيد البسطامي حضر الجامع يوماً فوقف بجانب شيخ ركز عصاه له في الأرض فركز أبو يزيد عصاه . فوقعت على عصا الرجل وأسقطت عصاه فلما انصرف أبو يزيد من الجامع مضى إلى دار الرجل وقال : إنك احتجت أن تتحني إلى الأرض لتأخذ عصاك فتعنتت من أجلي

السلام : الذي سلم من كل عيب وبريء من كل آفة ويعطي السلام والأمان لمن التجأ إليه : وذكره يورث الأمان والعافية .

فاجعلني في حل . وقيل إن عثمان بن عفان رضي الله عنه عرك^(١) أذن غلام له لترك أدب حصل منه فقال الغلام آه قد أوجعتني يا مولاي فقال عثمان خذ أذني وإعركها فأبى الغلام فألح عليه وقال : لأن تقتص مني في الدنيا أحب إلى أن تقتص مني في الآخرة فعرك الغلام أذنه فقال عثمان زد فقال الغلام : يا أمير المؤمنين إن كنت تخاف من القصاص يوم القيامة فأنا أخافه أيضاً . وحسبك في هذا الباب ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه اقتص من نفسه » . وسئل بعضهم عن الورع فقال : هو أن تطالب نفسك بما يطالب به الشريك الشحيح شريكه فيناقشه في التقير والقطمير .

فصل : ومن آداب من تحقق بهذا الإسم أن يعود إلى مولاه بقلب سليم والقلب السليم هو الخالص من الغل والغش والحسد والحقد ولا يضممر للمسلمين إلا كل خير وخلص وكل صدق ونصح ويحسن الظن بكافتهم ويسيء الظن بنفسه . فيلاحظ أحواله بعين الإزدرا . وأقواله بعين الإفترا : يعتقد أنه شر الخلق . كما قيل إنه إذا رأى من هو أكبر منه سناً قال هذا خير مني لأنه أكثر مني طاعة وعرف الله قبلي وإن رأى من هو دونه في السن قال : هو خير مني لأنه أقل مني معصية . وقد قال بعض المشايخ : إذا ظهر لك من أخيك عيب فاطلب له سبعين باباً من العذر . فإن اتضح لك عذر . وإلا فعد على نفسك باللوم وقل : بس الرجل أنت حيث لم تقبل سبعين عذراً من أخيك ، وحكي عن معروف الكرخي أنه مر بإنسان يتصدق بماء وهو يقول : رحم الله من يشرب فأخذ معروف ذلك الماء وشرب . فقيل له : أليس كنت صائماً قال : بلى . كنت نويت أن أصوم ولكن قلت : دعوة مسلم لعلها تستجاب ومن إشارات من يكون سليم القلب أن ينصح المسلمين ولا ينطوي لهم على سوء وحيلة تخفى ويدعو لهم بظهر الغيب ويحسن إليهم ويظلم نفسه ويتنصف لهم ولا ينتصف منهم . وحكي أن بهلولاً كان الصبيان يوذونه ويرمون به بالحجارة وهو

(١) عرك الشيء طلكه وبابه نصر .

يقول : إن كان ولا بد فارموني بالصغار من الأحجار لثلا أحتاج إلى غسل الدم
فقبل له في ذلك فأنشد :

حسبي الله وتكلاقي عليه من نواصي الخلق طراً في يديه
رب راض لي بأحجار الأذى لم أجد بدأ من العطف عليه
فغسى يطلع الإله على فرح القوم فيدنين إليه

وقد قال بعض المشايخ : كن في التصوف ذنباً ولا تكن رأساً . فإن علل
الرأس كثيرة معناه سلم للناس التقدم عليك يطب لك العيش فمن رضي بدون
قدره رفعه الله فوق غايته . واعلم أن الناس يرضون منك باليسير ولهذا قالوا :
كيلوا على الناس من هذه الرخيصة يعني ما استسر به أشكالك من تسليمك لهم
تقدمهم عليك . وقد روي في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : أيعجز
أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا يا رسول الله ومن أبو ضمضم ؟ قال رجل
كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك . وسمعت
منصوراً المغربي يقول كان شيخ من المشايخ بالشام أو بالمغرب له أصحاب فجاءه
إنسان فقال إني أريد أن أخدم هؤلاء الفقراء فقال الشيخ ما اسمك فقال عبي
وكان يخدمهم وكل من له شغل كان يستعمله فيه فجرى يوماً بين هذا الشيخ
وبين شيخ آخر مسألة فتنازعا فيها فقال الشيخ للآخر تعالى نتحاكم إلى أحد
فقال : إلى من تريد فقال إلى عبي - على جهة الإستخفاف به والثقة بأن الصواب
فيما يقوله فتحاكما إليه فقال عبي : أي شيء قلتما فذكرا له ما قالوا فقال أخطأتما
جميعاً والصواب كيت وكيت . فقام الشيخ وقبل رأسه وقال أنت أحق بأن تكون
أستاذاً وأكرموه فقام وفارقهم وقال : إنما طاب العيش معكم حيث كنت عيباً
وكنت مستوراً فيكم .

* * *

في معنى إسمه « المؤمن »

المؤمن إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن الكريم - ومعناه المصدق فإن حقيقة الإيمان في اللغة هو التصديق ومعناه في وصفه تعالى تصديقه لنفسه . وهو علمه سبحانه وتعالى - بأنه صادق ويكون تصديقه لعباده هو علمه بأنهم صادقون ويكون أيضاً بمعنى تصديقه بوعده ووعيده وهو أن يفعل ما وعد به وأوعد . فعلى هذا يكون من صفات فعله ويكون معنى المؤمن من الأمان الذي هو الإجارة يقال آمنه يؤمنه إذا أجاره وذلك إذا أعطى الأمان لمن إستعاذ به فيكون هذا من صفات فعله فالعبد يؤمن بالله سبحانه . والحق تعالى يؤمن العبد ومن آداب من تحقق بهذا الإسم أن يخلص فيما يثبت من هذه التسمية فيصدق في إيمانه . وصدقه في الإيمان بتحقيقه بالدلائل والبرهان ، ثم ينظر فيما قال الناس في معنى هذه الصفة التي هي إيمان العبد فيأتي بجميع ما قيل في ماهية الإيمان من الاقرار بالمعرفة والخضوع وترك الإستكبار والمحبة وإجتنب الكبائر فإذا استوفى جميع ذلك من نفسه وقف عندالدعوى فإذا قيل له أمؤمن أنت يقول إن شاء الله فيكون قائماً بحق المعنى قاعداً عن وصف الدعوى . واعلم أن الموافقة في الأسماء لا تقتضي المشابهة في الذوات فيصح أن يكون الحق سبحانه مؤمناً والعبد يكون مؤمناً ولا يقتضي مشابهة العبد الرب ألا ترى أن الخلافين يشتركان في الإسم ولا يشبهان في المعنى : وما يتعلق بهذا الباب من طريق التذكير أن يقال : إن الملوك يأبون أن يجسر أحد من رعيتهم أن يتسمى باسم الملك والله سبحانه سمي نفسه

المؤمن : الذي لا إله بالتحقيق والثبوت غيره فمن آمن به أمن واستوفى عهده وأجره ومن لم يؤمن به لا ذمة له ولا عهد له وهو الذي ينصر رسله ومن دعا إلى الله وعمل صالحاً ويؤمن على دعائهم ودعوتهم ويشبههم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وذكره يورث الإيمان وعدم الخوف مما سوى الله .

المؤمن وسمى العبد مؤمناً وسمى عباده المؤمنين وهذا لطف منه سبحانه بهم .
وقيل ينادي غداً في القيامة منادٍ إن كل من هو سمي نبي من الأنبياء من المؤمنين
فليدخل الجنة فيبقى أقوام من المؤمنين فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن من لم
يوافق إسمه إسم نبي فيقول الله تعالى : أنا المؤمن وأنا سميتكم المؤمنين
فيدخلهم الجنة . ويحكى عن يحيى بن معاذ أنه قال في سناجاته إلهي سيقتي مسلماً
فتفاءلت به وقلت سلمت من عذابك وسميتني مؤمناً فتفاءلت به وقلت آمنت من
عذابك ورزقتني شبيهة وقلت الشيب نوري فتفاءلت به وقلت لا تحرق نورك
بنارك .

فصل : وإذا كان أحد معاني اسمه المؤمن أنه يؤمن عباده ويحيرهم فاعلم
أن إجارته وأمانه للعبد على قسمين مؤجل ومعجل فالمؤجل في القيامة في الجنة
قال الله تعالى ﴿ أولئك لهم الأمن ﴾ والمعجل على أقسام لكل عبد على حسب ما
يليق بوقته فمنهم من يؤمنه من خواطر الشيطان التي تقدح في الإيمان بما يتيح
لقلوبهم من واضح البرهان . ويتيح لأسرارهم من لائح البيان . حتى إذا
عارضهم بوارح الشكوك وناظرهم من هو في حكم المخالف في عقد الفقه
غيروا في وجه الشبهة وردوا بالحجج على أصحاب البدعة . قال الله تعالى :
﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ .
لا يتداخلهم شك ولا يتخالجهم ريب ولا تعرضهم مرية ولا تنازعهم شبهة
الناس في أسر التهمة وكرب الغمة وإمتداد الظلمة . وهم في روح اليقين والنور
المبين . وفي معناه أنشدوا :

ليلي من وجهك شمس الضحى وإنما الشارقة في الجو
فالناس في الظلمة من ليلهم ونحن من وجهك الضو
وكان الدقاق رحمه الله تعالى كثيراً ما ينشد :

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب
وأنشد بعضهم :

هي الشمس إلا أن الشمس غيبة وهذا الذي نعينه ليس يغيب

ومما يؤمن أوليائه منه هو اجس النفوس ودواعي الزلات . ونوازع
المخالفات حتى لا تدعوه نفسه إلى إرتكاب محذور . ولا يكون له إلى إقتحام
المخالفات ميل نفس ونوازع طبع . ويحكى عن أبي يزيد أنه قال :

كنت هممت أن أدعو الله سبحانه حتى يكفيني شهوات النساء . ثم قلت
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل عن ذلك فتركت هذا الدعاء . فمن
بركات اتباع السنة كفاني الله تعالى شهوة النساء حتى لا أميز بين امرأة تستقبلني
وجدار . ويحكى أن بعض الأكابر سئل كيف تصبر على العزوبة فقال قاسيت
مشقة ذلك سنة ثم إن الله سبحانه سهل ذلك حتى لم تبق لي مطالبة .

فصل : ومما يؤمن أوليائه منه خوف الفقر ورعب لحوق الضر حتى يكون
فارع الكف طيب النفس ساكن السر يثق بموعود ربه كما يثق أرباب الغفلة بمعلوم
النفس ومكاسبها . وسأل أبا يزيد رجل عن سبب معيشته . وكان قد صلى أبو
يزيد خلفه فقال إصبر حتى أعيد الصلاة التي صليت خلفك حيث شككت في
أرزاق المخلوقين . وقيل لبعضهم : من أين يأكل فلان ؟ فقال : من عرف خالقه
لم يشك في رازقه وإن خوف الفقر قرينه الكفر وإن حسن الثقة بالرب نتيجة
الإيمان .

يحكى عن أبي بكر الكتاني أنه قال منذ كذا سنة ما خطر ببالي ذكر الطعام
حتى يقدم إلي . وحكي عن بعضهم أنه قال : كنت أخدم الكتاني في المدينة
وكان يصوم فكنت أقدم إليه كل ليلة ما يفطر إليه وأمضي فكنت أرى فيه أثر
الضعف والنحول فراقبته ليلة فجاء إنسان ووقف عليه فسأله فأوماً إلى الطعام
فحمله الرجل ومضى ففقوت أثر الرجل وقلت له أخبرني عن القصة فقال هذا
الشيخ منذ ليال يعطيني كل ليلة رغيفين وكان ذلك ما أقدمه إليه فحملت إليه
طعاماً آخر وقلت هلا قلت لي حتى أحمل إليك شيئاً آخر فقال : كنت أنسى كل
ليلة أني لم أكل شيئاً .

* * *

في معنى اسمه « المهيمن »

إعلم أن المهيمن اسم من أسمائه تعالى نزل به نص القرآن في قوله ﴿ المؤمن المهيمن ﴾ واختلفوا في معناه فقال بعضهم : إنه بمعنى الرقيب الحافظ وقيل هو الأمين . وقال الكسائي : هو : الشهيد وقال المبرد : أصله المؤمن ثم قلبت الهمزة كما قالوا أرقت الماء وهرقه وإياك وهياك وأرجت وهرجت وبابه . وعلى هذا التأويل فهو بمعنى المؤمن فذكر على الأصل لأن مؤمناً كان في الأصل مومناً وقد جاء بعض هذا البناء على الأصل كقول القائل : وصاليات ككها يؤتفين . وكقول القائل : كساء مورنب أراد به مرنب وقد مضى بعض معنى المومن في وصفه وأما إذا كان بمعنى الرقيب والحفيظ والشهيد والأمين فمعناه ظاهر في وصفه وسيجيء بيان هذه الأسماء في موضعها إن شاء الله تعالى وقد قال العباس بن عبد المطلب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم : حتى احتوى بيتك المهيمن من خدف علياء تحتها النطق . قيل معناه حتى احتويت أنت أيها المهيمن من خدندف علياء وبيته شرفه . والعرب تقول فلان كريم البيت أي كريم الشرف والمهيمن في هذا البيت يراد به الأمين وكان صلى الله عليه وسلم أميناً وكان يسمى الأمين قبل النبوة وإذا قيل إنه بمعنى الشاهد فيكون معناه أنه الرائي والمدرك والعالم بالخفيات والمطلع عليها . ومن آداب من تحقق بهذا الاسم أن يكون مستحيماً من محل إطلاعه عليه محتشماً من رؤيته وهذا المعنى يسمى المراقبة في لسان أهل المعاملة ومعناه علم القلب بإطلاع الرب وقال أبو محمد الجريري من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة وكان

المهيمن : المطلع على أفعال مخلوقاته الذي له حق السيطرة عليهم وذكره بورث الخوف من الله ومراقبته ومعاملة الخلق بالحق .

الشيخ أبو علي الدقاق يحكي أن بعض الأمراء كان له وزير وكان بين يديه يوماً فسمع بعض الغلمان يحدث بعضاً فنظر الوزير إلى من يحدث فاتفق أن الأمير نظر إلى الوزير فخاف الوزير أن الأمير توهم بأنه نظر إلى ذلك الغلام بالريبة فجعل يتنظر إليه ليرى من نفسه أن ذلك حول فيه . فكان يدخل على الأمير كل يوم على ذلك الوصف حتى توهم الأمير أن ذلك فيه خلقة فإذا كان المخلوق يراعي من مخلوق كل هذه المراعاة فأولى بالعبء أن يستحي من ربه فيترك ما نهاه عنه لعلمه بأنه يراه .

وحكي أن إبراهيم بن أدهم كان يصلي قاعداً فجلس ومد رجله فهتف به هاتفاً أهكذا تجالس الملوك . وكان الجريري لا يمد رجله في الخلوة فقيل أنه ليس يراك أحد وقد خلوت بنفسك فهلا تمد رجلك فقال : حفظ الأدب مع الله أحق وفي معناه أنشدوا :

وآخر يرعى ناظري ولساني	كأن رقيباً منك يرعى خواطري
يسوؤك إلا قلت قد رمقاني	فما رمقت عيناي بعدك منظرأ
لغيرك إلا عرجاً بعناني	وما خطرت في السر منى خطرة
وأمسكت عنهم ناظري وجناني	وإخوان صدق قد سئمت حديثهم
وجدتك مشهودي بكل مكان	وما الدهر أسلو عنهم غير أني
ولاحظت معلوماً بغير عيان	فخاطبت موجوداً بغير تكلم

وإذا قيل أن معنى المهيمن هو الأمين فالأمين في وصفه يكون بمعنى كونه عدلاً في أفعاله ويعود ذلك إلى استحقاقه لصفات جلاله إذ كل ما يفعله فهو منه عدل ولا يخشى منه حيف لأن تقدير وجود القبيح منه محال .



في معنى اسمه « العزيز »

العزيز إسم من أسمائه تعالى ورد به القرآن والأخبار الصحيحة وأجمعت الأمة عليه وتكلموا في معناه فقال بعضهم معناه الغالب الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر يقال عز يعز إذا غلب بضم العين في المستقبل قال الله تعالى ﴿ وعزني في الخطاب ﴾ أي غلبي وفي المثل من عز بزاي من غلب سلب وقيل العزيز الذي لا مثل له يقال عز الشيء يعز بكسر العين في المستقبل أي صار عزيزاً يقال : عز الطعام في البلد إذ قل وجود مثله فإذا كان من يقل وجوده عزيزاً فالذي لا مثل له أولى أن يكون عزيزاً . وقيل العزيز في وصفه بمعنى القادر القوي . يقال : عز يعز بفتح العين في المستقبل إذا اشتد قال الله عز وجل ﴿ فعززنا بثالث ﴾ أي قوينا والأرض الصلبة التي لا تستقل عليها الإقدام تسمى عزازاً لقوتها وقيل العزيز الممتنع وهو الذي لا يوصل إليه يقال حصن عزيز إذا تعذر الوصول إليه فإذا قيل لما يتعذر الوصول إليه مع جوازه عزيز فالذي يستحيل الوصول إليه أولى أن يكون عزيزاً إذ لا حد له .

وقيل العزيز في وصفه تعالى هو المعز والفعيل بمعنى المفعل في كلام العرب كثير كالأليم بمعنى المولم . والوجيع بمعنى الموجه . وما أشبه ذلك فهذا الوجه الواحد في وصفه من صفات الفعل . وما ذكرنا قبله من صفات الذات هذا طرف مما قاله أهل اللغة وأصحاب الأصول في معنى اسمه العزيز على لسان أهل الظاهر . وأما على طريق أهل الإشارة فيجيء الكلام فيه على وجوه منها أن معنى العزيز هو الذي لا يدخر من خدعة عن خدمته شيئاً ولا يؤثر من عرفه هواه

العزيز : الذي لا نظير له والقوي الذي لا غالب له . وذكره يورث المعز والإنكال عليه والنصر .

على رضاه . فيقضي حقوقه فرضاً ولا يرى أحد لنفسه عليه حقاً وفي قريب من هذا المعنى أنشد بعضهم :

ويذكرها جاراتها فيزرنها وتعتقد عن إتيانهن فتعذر
فالعزير من يمنع فيشكر . وبيتلي فلا يشكو من يعرفه ولا يضجر . يستلذ
لحكيمته الهوان . ويستحلي منه الحرمان دون الإحسان . وفي معناه أنشدوا :

وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذا كان حظي منك حظي منهم
وكان الدقاق رحمه الله تعالى كثيراً ما يقول : إنما يستعذب الأولياء
البلوى . للمناجاة مع المولى . واعلم أن القلوب مجبولة على أن تتحمل المشاق من
الأكابر والأعز . والانتقاد إلى أحكام من تجل رتبته بمواطأة القلب حتم مستحسن
وهذا قيل إنما يعرفه عزيزاً من أعز أمره وطاعته فأما من استهان بأوامره فمن
المحال أن يكون متحققاً بعزة مولاه . وفي هذا المعنى ما حكى أن رجلاً قال لبعض
العارفين كيف الطريق إليه فقال لو عرفته عرفت الطريق إليه فقال أتراني أعبد
من لا أعرفه فقال المسؤول أو تعصي من تعرفه . وقيل لبعضهم ما علامة أنك
تعرفه فقال لا أهم بمخالفته إلا ناداني من قلبي مناد أستحي منه . وقيل لبعضهم
متى عرفته فقال ما عصيته مذ عرفته . وقيل العزيز من لا يرتقي إليه وهم طمعاً
في تقديره ولا يسموا إلى صمديته فهم قصد إلى تصوير . وقيل العزيز من ضلت
العقول في بحار عظمته . وحات الألباب دون إدراك نعمته وكلت الألسن عن
إستيفاء مدح جلاله . ووصف جماله . وفي معناه أنشدوا :

وكل من أغرق في نعمته أصبح منسوباً إلى العي

قال سيد الأولين والآخرين وخطيب المرسلين صلوات الله عليه وعلى آله
أجمعين بعد ما بالغ في ثنائه سبحانه وتعالى ونعت كبريائه : لا أحصي ثناء عليك
أنت كما أثنت على نفسك .

فصل : ومن آداب من عرف أنه العزيز أن لا يعتقد لمخلوق إجلاًاً ولهذا قالوا المعرفة حقر الأقدار سوى قدره . ومحو الأذكار سوى ذكره وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه . سمعت الدقاق يقول إنما قال ذهب ثلثا دينه لأن المرء بثلاثة أشياء قلبه ولسانه وبدنه . فإذا تواضع بلسانه وبدنه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد بقلبه ما حصل منه بلسانه وبدنه للغني لأجل غناه من التواضع لذهب دينه كله . وقيل إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين^(١) .

فصل : وإذا عرف أنه المعز لم يطلب العز إلا منه ولا يكون العز إلا في طاعته سبحانه وقال ذو النون المصري لو أراد الخلق أن يشبوا لأحد عزا فوق ما يشبهه اليسير من طاعته لم يقدروا . ولو اجتمع الخلق على أن يوجبوا لأحد ذلاً أكثر مما يوجبه اليسير من زلته ومخالفته لم يقدروا . وقد حكى أن رجلاً أمر بالمعروف هارون الرشيد فحنق عليه وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال أربطوه معها تقتله برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره . فقالوا اطرحوه في بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا فرثي في بستان وباب البيت مسدود فأخبر هارون بذلك . فأتى بالرجل وقال من أخرجك من البيت فقال الذي أدخلني البستان فقال ومن الذي أدخلك البستان قال الذي أخرجني من البيت . فقال اركبوه دابة وطوفوا به البلد وليقل قائل ألا إن هارون أراد أن يذل عبداً أعزه الله فلم يقدر . و حكى عن بعضهم أنه قال رأيت رجلاً في الطواف وبين يديه شاكرية - أي خدم قال القاموس والشاكري الأجير والمستخدم معرب جاك . انتهى - له يطردون الناس عنه فبعد ذلك بمدة رأيت إنساناً يتكفف على جسر بغداد ويسأل شيئاً قال فكنت أنظر إليه وشبهته بذلك الرجل فقال إيش تنظر فقلت شبهتك برجل رأيت في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال أنا ذاك الرجل إني تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فوضعني الله في موضع

(٢) المقصود أنه لا يصح للعبد التواضع والذل للغني استجداءً لماله ولكن يعامله بحسن الأدب الواجب للمسلم دون أن يذل نفسه له أو يشتغل به عن ربه أو يميزه على الفقراء الحاضرين معه .

يرتفع الناس فيه قال الله سبحانه تعز من تشاء وتذل من تشاء فليس
أعزاه لعله ولا إذلاله لعله بل هما حاصلان بالقضا والمشيئة صادران عن الإرادة
والقضية ويليق بهذا الباب أن نذكر طرفاً من معنى قوله تعالى ﴿ من كان يريد
العزة فله العزة جميعاً ﴾ وقوله والله العزة ولرسوله وللمؤمنين وكيف اجمع بينها
فإن إحدى الآيتين توجب انفراده تعالى بالعزة . والثانية تشير إلى إن لغيره عزة
ولا منافاة بينها بالحقيقة لأن العز الذي للرسول وللمؤمنين فهو لله تعالى ملكاً
وخلقا وعزته سبحانه له وضعاً فإذا العز كله لله تبارك وتعالى



باب

في معنى إسمه « الجبار »

الجبار إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وتكلم الناس في معناه فمنهم من قال هو مأخوذ من قولهم نخلة جبار إذا فاتت الأيدي قاله ابن الأنباري وغيره فيكون في وصفه أنه لا تناله يد جائرة ولا تنازعه معارضة بل له العظمة والجبروت والعزة والملكوت فيكون هذا من صفات ذاته لأنه إخبار عن وجوده على وصف السمو والجلال وقيل الجبار هو المتكبر والجبروت هو التكبر يقال جبار بين الجبرية إلا أن التكبر في وصف الخلق مذموم وفي وصف الله سبحانه وتعالى محمود وهذا أيضاً من صفات ذاته . لأن تكبره هو إستحقاقه لصفات العلو وتقده عن النقائص ولوجوده هو كذلك . وقيل الجبار من قولهم جبرته على الأمر وأجبرته أي أكرهته وأجبرته في الإكراه أكثر من قولهم جبرته فيكون على هذا أنه يحصل مراده من خلقه ولا يجري في سلطانه إلا ما يريد شاء الخلق أم أبوا أو الإكراه من صفات الفعل وقيل إن الجبار من قولهم : جبرت الكسر إذا أصلحته يقال : جبرت العظم وأجبرته . وجبرت أكثر في الإصطلاح من أجبرت قال الشاعر:

قد جبر الدين الإله فجبر

وعلى هذا يكون من صفات فعله . والإسم إذا احتمل معاني مما يصح في وصفه فمن دعاه بذلك الإسم فقد أثنى عليه بتلك المعاني فهو الجبار على معنى أنه عزيز متكبر محسن إلى عباده لا يجري في سلطانه شيء يخالف مراده . فأما آداب من عرف أنه لا تناله الأيدي لعلو قدره فهو أن يتحقق بأنه لا سبيل إليه

الجبار : الذي علا فوق خلقه وقهرهم على ما أراد ولا يفلت من عقابه ظالم جبار وذكره يورث الخوف من الله والحفظ من ظلم الجبابة .

ولا بد له من الوقوف بين يديه فلا يصيب العبد منه إلا لطفه وإحسانه اليوم
عرفانه . وغدا غفرانه . ثم ثوابه وامتنانه وعفوه ورضوانه وأنشدوا :

فلا نبيل إلا ما تزود ناظر ولا وصل ألا بالخيال الذي يسري
وقلن لنا نحن الأهلة إنما نضيء لمن يسري لنا ولا تقري

فصل : وإذا علم أن الجبار بمعنى مصلح الأمور . فوض أموره إليه .
وتوكل في جميع أحواله عليه إن كان خيراً علم أنه مسديه ومتحفه . وإن كان
ضراً علم أنه ينجيهِ منه ويكشفه . لم يحنث من اختلال أحواله وقلة ماله . وكثرة
عياله . وضعف احتياله . ثقة بلطفه وأفضاله واستكانه إلى جوده وكريم نواله .
وحسن أفعاله . وقد حكى أن رجلاً كان كثير العيال وأنه ضاقت عليه أسباب
المعيشة فهم أن يهرب عنهم فاستقبله شخص فقال له هل تأجرتني على أن تسقي
طيراً لي في القفص فترويه وتأخذ مني ديناراً فاسترخص الرجل ذلك وأجابه إليه
فدله على بئر وقال تستقي من هذا البئر وتروي هذا الطائر فلم يزل الرجل
يسقي الطائر طول نهاره إلى المساء والطائر لم يرو فلما أمسى ضاق صدر الرجل
فقال له ذلك الشخص إني لست ببشر وإنما أنا ملك بعثني الله إليك ليريك
ضعفك أنك لم تقدر أن تروي طائراً . فكيف ترزق عيالك إرجع إليهم وانتظر
الرزق من الله تعالى فإنه هو الرزاق لا أنت . وحكى عن بعض الصالحين أنه
سئل عن سبب توبته فقال إني كنت رجلاً دهقاناً (الدهقان يطلق على رئيس
القرية) فاجتمع عليّ أشغال ليلة من الليالي كنت أحتاج إلى أن أسقي زرعاً لي
وكنت حملت حنطة إلى الطاحونة فوثب حماري وضل فقلت إن اشتغلت بطلب
الحمار فات سقي الزرع . وإن اشتغلت بالسقي ضاع الطحين والحمار وكان
ذلك ليلة الجمعة وبين قريتي وبين الجامع مسافة بعيدة فقلت إترك هذه الأمور
كلها وامضي إلى القصبه^(١) لأدرك غداً صلاة الجمعة . فمضيت وصليت فلما

(١) القصبه المدينة قال في المختار قصبه السواد مدينتها .

انصرفت إجتزت بالزرع فإذا هو قد سقي فقلت من سقى هذا ففيل إن جارك أراد أن يسقي زرعه فغلبته عيناه وانفتق السد فدخل الماء زرعك . فلما وافيت باب الدار إذا أنا بالحمار على المعلق فقلت من رد هذا الحمار فقالوا صال عليه الذئب والتجأ إلى البيت فلما دخلت الدار إذا أنا بالدقيق موفوف هناك فقلت كيف سبب هذا فقالوا إن الطحان طحن هذا بالغلط فلما علم أنه لك رده إلى المنزل فقلت ما أصدق ما قيل من كان لله كان الله له . ومن أصلح لله أمراً أصلح الله أموره فتركت الدنيا وتبت إلى الله تعالى .

فصل : وإذا علم أنه يجبر الخلق على مراده وعلم أنه لا يجري في سلطانه ما يأباه ويكرهه ترك ما يهواه وإنقاد لما يحكم به مولاه فيستريح عن كسد الفكرة وتعب التدبير وفي بعض الكتب عبدي تريد وأريد فلا يكون إلا ما أريد فإن رضيت بما أريد كفيتك ما تريد وإن لم ترضى بما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد قد قيل :

سيكون السذي قضي سخط العبد إم رضي
فدع الهم يا فتى كل هم سينقضي

وقيل :

ملكنت نفسي وكنت عبداً فزال رقي وطاب عيشي
أصبحت أرضى بحكم ربي إن لم أكن راضياً فأبش

في معنى اسمه « المتكبر »

المتكبر إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وتكبره وكبرياؤه ورفعته وعلاه ومجده وسناؤه وعلوه وبهاؤه كل ذلك أخبار عن إستحقاقه لنعوت الجلال وتقديسه عن النقائص والآفات وكل ذلك يعود إلى ذاته ووجوده على ما وصف والتكبر في صفة الخلق مذموم لأن الخلق محل النقص فإذا تكبر تكلف أن يتصف بغير ما يليق بنعته ومن عرف علوه سبحانه وكبرياه لازم طريق التواضع وسلك سهيل التذلل . وقد قيل هتك ستره من جاوز قدره وفي بعض الحكايات أن أميراً عرضت عليه جارية بمائة ألف درهم فاحضر الثمن فلما نظر الأمير إليها استكثر الثمن وقال إن شراء مملوكة بهذا الثمن لغال فقالت الجارية إشتريني يا أمير المؤمنين فإن في مائة خصلة كل واحدة منها تساوي أكثر من مائة ألف درهم فقال وما ذاك ؟ فقالت أدناها أنك أن أشتريتي وقدمتي على جميع عبيدك لم أغلظ في نفسي وعلمت أي مملوكة فاشتراها وحكي أنه رفع إلى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه أن إنك اتخذ خاتماً اشتري له فصاً بألف درهم فكتب إليه أما بعد فلقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم فبعه وأشبع به ألف جائع واتخذ خاتماً من حديد صيني واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه . وقد قيل الفقير في خلقه أحسن منه في جديد غيره ولا شيء أحسن على الخدم من التواضع بحضرة السادة وفي معناه أنشدوا :

المتكبر : المتعالي عن صفات الخلق لم يلد ولم يولد منفرد بالكبرياء ولا يتصف به غيره بذلك من تكبر ويقصمه ولا يبالي بأحد فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء وذكره يعين على مغالبة الشهوات وترك المنكرات وهب الله لذاكره والذرية الطيبة حيث تعالى الله أن يكون له صاحبة أو ولد أو يشتهي شهوة من الشهوات أو يتداخل في شأنه غيره فهو واحد لا يحتاج إلى أحد أو أن يتحكم فيه أحد أو يشاركه في فعله وله الخلق جميعاً .

ويظهر في الهوى عز الموالى فيلزمى له ذل العبيد
فصل : وإن الله سبحانه يتفضل على عباده ويتعزز على قوم من خواص
عباده فيجعل عيش أسرارهم بتكبره أكثر من عيش قلوبهم بتفضله وفي معناه
أنشدوا :

أعز من مدرك التمني ونيل ملك بلا تعني
قول محب لذي جفاء يهيم فيه تنح عني

وسئل يحيى بن معاذ عن المحبة فقال هي ما لا يزيد بالبر ولا ينقص
بالفجا . ويحكى عن الشبلي أنه جن مرة فحبس في المارستان فدخل عليه قوم من
إخوانه فقال من أنتم فقالوا أحبابك فأخذ يرميهم بالحجارة ففروا ومروا فقال يا
كذبة لو صدقتم في هواي ما هربتم من بلاي .

فصل : أعلم أن من أخلص في وده وصدق في حبه كان إستلذاذه بمنعه
أكثر من إستلذاذه بعطائه فإن كل أحد بذكره وهو بقربه وإنما المخلص في عقده
وصدقه من لا يفتر عن أداء حقه وإن كان يبتليه ويعذبه . وحكي أن الشبلي كان
في داره ديك يصيح بالليل فأخذته ليلة وشد قوائمه وطرحه في بيت فلم يصح
تلك الليلة فلما أصبح قال له يا مندىع إنما كنت تذكره من رأس العافية فلما
أصابك البلاء سكت ولم تذكره وأنشدوا :

يا مدعي الحب لمولاه من ادعى صحح دعواه
من ادعى دعوى بلا شاهد يوشك أن تبطل دعواه

* * *

في معنى اسمه « الخالق »

إعلم أن الخالق اسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وانعقد عليه الإجماع واختلفت الناس في معناه والصحيح أن الخالق هو المخترع للأعيان وأن الخلق هو الإبداع والإختراع ومن الناس من قال الخلق هو التقدير قالوا والعرب تسمي الإسكاف خالقاً لأنه يقدر الأديم وقال الشاعر :

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

ويقال فرته أيدي الخوالق يعني الأساكفة ومنهم من قال أن الخلق بمعنى التصوير قال الله تعالى وإذ تخلق من الطين أي تصور . ومنهم من قال الخلق لفظ مشترك في معانٍ فيكون بمعنى التصوير ويكون بمعنى التقدير ويكون بمعنى الإختراع ويكون بمعنى الكذب قال الله تعالى^(١) ﴿ وَتَخْلُقُونَ أَفْكَأً ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأُولِينَ ﴾ يعني كذب الأولين وزعم الجبائي أن الله تعالى يسمى خالقاً على المجاز وغيره يسمى خالقاً على الحقيقة وهذا خطأ بين من قوله والصحيح أن الخلق هو الإختراع وما عدها مجاز ولا خالق إلا الله عز وجل ، والذي يدل على صحة هذا وفساد ما عدها من الأفاويل أنه لو كان الخلق بمعنى التقدير لكان كل مقدر خالقاً ولما كان الخياط يقدر والبنا يقدر وغيرهم قد يحصل منه التقدير ثم لا يسمى واحد منهم خالقاً علم أنه ليس معنى الخلق معنى التقدير ولا يجوز أن يكون الخلق بمعنى التصوير لأن المصور على الحقيقة هو الله لأن القول بالتولد

الخالق : الذي أظهر الموجودات بقدرته من غير معين . وقد كل شيء منها بمقدار معين بارادته ولم يعي بخلق السموات والأرض وهو القادر على أن يخلق أمثاله وذاكره بحسن خلقه وخلقه ويستنير قلبه وقالبه .

(١) قال الجلال إلا خلق الأولين أي إختلافهم وكذبهم وفي قراءة بضم الخاء واللام أي ما هذا الذي نحن عليه من أن لا بعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم .

باطل . فما يجعل في العين من الصور ليس بكسب للمخلوق ولا بفعل له وإنما يسمى الكذب خلقاً على المجاز تشبيهاً بالإبداع لأن الكاذب يخبر عما لا أصل له كما أن المخترع يوجد ما لم يكن عيناً فيجعله عيناً ومن قال إن الله تعالى يسمى خالقاً على المجاز وغيره يسمى خالقاً على الحقيقة فكفاه خزيماً بهذا القول وإجماع المسلمين يكفي في الدليل على فساد قولهم وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ أي تصور فإنما أطلق هذا اللفظ على التوسع وكذلك قوله تعالى ﴿ فِتْبَارِكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

فصل : ومن شرط الاعتقاد أن يتحقق العبد أنه سبحانه خالق الأعيان والآثار والجواهر والأعراض لا يخرج حادث عن أن يكون مخلوقاً له فيقتضي هذا تبرأ العبد عن حوله وقوته ورجوعه إلى الله تعالى بصدق الإستعانة ودوام الإستكانة في سكونه وحركاته فإن من صحت بالله إستعنته وجب من الله تعالى معونته ، ومن آداب من عرف أنه الخالق أن يعمن النظر في إتقان خلقه لتلوح لقلبه دلائل حكمته في صنعه . فيعلم أنه خلق من نطفة بشراً ركب أعضائه ورتب اجزاءه . وقسم تلك القطرة فجعل بعضها نخاً وجعل بعضها عظماً وبعضها عروفاً وبعضها أعصاباً وبعضها شحماً وبعضها لحماً وبعضها جلدأً وبعضها شعراً ثم ركب كل عضو على ترتيب يخالف صاحبه وخص كل جزء بتركيب لا يشبه صاحبه فتيبارك الله أحسن الخالقين . قال الله سبحانه ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ ثم أنه يقسم الطعام الذي يأكله والشراب الذي يتناوله على هذه الأجزاء ويوصله إلى هذه الأعضاء فيجعل لكل عضو مما يتناوله نصيباً مقدراً فسبحان من يعلم هذا الذي يخلقه كيف يخلقه . وحكي عن بعضهم أنه قال كنت مع الشبلي ففتح عليه بمنديل حسن فمر بكلب ميت ملقى على الطريق فقال لي احمل ذلك الكلب الميت وكفته في هذا المنديل وادفنه وسر قال فجعلت الكلب في ذلك المنديل وطرحته في موضع وغسلت المنديل وعدت إليه فقال لي قد فعلت ما أمرتك به فقلت لا فلم يقل لي شيئاً فقلت أيها الشيخ إيش السبب فيما كان السبب فيما أمرتني فقال لما مررت بتلك

الجيفة استقدرته واستبقحته فنوديت في سري أليس قد خلقناه فقلت لك ما قلت
وفي خبر مسند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخي نوحاً كان
اسمه يشكر ولكن لكثرة بكائه على خطيئته أوحى الله إليه يا نوح كم تنوح
فسمي نوحاً فقبل يا رسول الله أي شيء كانت خطيئته فقال أنه مر بكلب فقال
في نفسه ما أقبحه فأوحى الله إليه يا نوح أخلق أنت أحسن من هذا . ويحكى
أن سنياً كان يناظر معتزلياً في مسألة القدر فقطف المعتزلي تفاحة من شجرة فقال
أليس أنا فعلت هذا فقال السني له إن كنت أنت فعلته فرده إلى ما كان عليه
فافحم المعتزلي وانقطع وإنما لزمه ذلك لأن القدرة التي يحصل بها الإيجاد لا بد
من أن تكون صالحة للضدين فلو كان تفريق الأجزاء من جهته لكان قادراً على
وصلها .

فصل : ومن آداب من عرف أنه الخالق المنفرد بالإيجاد أن لا يحدد
الكسب ولا يطوي الشرع لأنه ليس بأن يخلق الحق تعالى شيئاً ما يجب أن يكون
للعبد حجة فيما يطالبه به من مراعاة حقوقه ويحكى أن بعض الأكابر قيل له ما
أعجب قول الملائكة حيث تجاسروا على أن قالوا الله سبحانه أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء فقال له وما عليهم هو أنطقهم فبلغ قوله يحمي بن معاذ
الرازي فقال هو أنطقهم ولكن أنظر كيف أخرسهم بين رحمة الله أن وجود الخلق
من قبل الحق سبحانه ثم لا يكون عذر للعبيد في سقوط اللوم عنهم .

* * *

في معنى إسمه « الباري المصور »

إعلم أنه ورد به نص القرآن قال الله تعالى : ﴿ هو الله الخالق الباريء المصور ﴾ يقال برأ الله الخلق تبرؤهم براءً والبرية الخلق بغير همز وإن كان أصله الهمز إتفاقاً منهم وإجماعاً كما تركوا الهمزة من الذرية والنبى وما جرى مجراه . وقد قيل إن البرية من البرا وهو التراب والعرب تقول بغية البرانعي التراب ويقال : برأت من المرض أبرأ وبرئت من المرض أيضاً وبرئت من فلان من دينه وبرى الرجل من شريكه إذا فارقه وبريت القلم بغير همز . وأما المصور فمن التصوير وهو تمييز الشيء على صورة يقال صورته إذا جعله على صورة . وصور الأمر أي قدره ويقال صاره يصيره ويصوره إذا أماله هو من قوله فصرهن إليك . ورجل صير شير إذا كان ذا صورة وشارة حسنة والصور جمع صورة وعليه يحمل قوله تعالى ونفخ في الصور أي في الصور على بعض التأويلات . والصور أيضاً هو القرن الذي ورد به الخبر أنه ينفخ فيه الملك والله تعالى مصور الخلق ومقدرهم ومدبر العالم ومعيدهم . وإذا عرف العبد أن الله تعالى برأه من البر الذي هو التراب وأنه لم يكن شيئاً ولا عيناً فبجعله شيئاً وعيناً فبالحرى أن لا يعجب بحاله ولا يدل بأفعاله . بل يتهيج بصفو حاله وقد أشكل عليه حكم ماله . وكيف لا يتواضع من يعلم أنه في الإبتدا نطفة وفي الإنتها جيفة . وفي الحال صريع جوعه . وأسير شعبه . وجماله وحسنه يختلف في أطواره في قميص إن

البارىء : الذي خلق الخلق لا على مثال سبق تعلمه أو سبب يتقيد به خلق الأجسام وبرأ النسمة والروح وهو قادر على إيجاد الأشياء من العدم وربك يخلق ما يشاء ويختار وذكره يفيد من تقطعت بهم الأسباب واحتجبت عنهم مطالب الخير من حاجات الدنيا والآخرة .

المصور : المبدع للصور والمخترعات وأنشأ خلقه على صور مختلفة وذكره يفيد من قصر إدراكهم وانحط فهمهم .

أمسك عن الأكل ساعة تغير عليه خلوقه وإن عرق في سعيه سطع بغير المستطاب
صنان إبطه ورائحة جلده ثم إذا شاهد نقص نفسه عرف جلال ربه قال الله
تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وقال تعالى ﴿ بل الإنسان على نفسه
بصيرة ﴾ وأحد ما قيل في قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو أن تفكر
فتعلم كيف زين العضو الذي لا يزال ظاهراً على مجرى المادة من أعضائك .
وهو وجهك وستر الوحشة منك ، وفيه تقوية للأمل والرجاء بأن يديم معك هذه
السنة في إسداء النعم وإكمال الكرم فإن من ستر في الحال منك المساوىء لحقيق
بأن لا يفضحك على رؤوس الأشهاد يوم التناد . وفي بعض الحكايات أن بعضهم
رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أقامني وأعطاني كتابي فمررت بسية
فخرجت أن أقرأها فقال لي لا بد من قرائتها فقلت إلهي لا تفضحني . فقال
الوقت الذي عملتها فيه ولم تستح ما فضحتك أفأفضحك الآن وأنت تستحي
وقال بعضهم لما قال تعالى ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا
تبصرون ﴾ نبههم على حسن الخلق بما دلمهم على صفة الأرض وذلك أنه يلقي
عليها كل وحشة فتخرج كل زهرة وخضرة . وهكذا المؤمن ينبغي أن يكون
متأنساً غير متوحش متحملاً للجفا غير متقم لا يقابل بالجفا إلا قائل الجافي
بالإحتمال وجميل الأغضا . يحكى عن بعضهم أنه كان يسيء القول في رجل
والرجل يسمع ويسكت فضاق صدر هذا الرجل فقال له إياك أعني فقال له
الرجل وعنك أحلم .

فصل : وقد قال تعالى ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ لم يقل لشيء من
المخلوقات أنه أحسن صورته إلا للإنسان تخصيصاً له من بين المخلوقين وهكذا
قال في آية أخرى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ وهذا أيضاً مما لا
يشاركة فيه غيره . وقد ورد في القصص والآثار أن الله تعالى خلق لجبريل ستمائة
جناح كلها مرصعة بالياقوت والدر والجلجل الذهب محشوة . بالمسك لكل
جلجل صوت لا يشبه الآخر وإن إسرافيل إذا أخذ في تسبيح عطل على الملائكة
تسبيحهم بحسن صوته وطيب نغمته وإن نور العرش لو بدا لصار نور الشمس

بالإضافة إليه كنور السراج بالإضافة إلى نور الشمس إلى غير هذا من أوصاف المخلوقات ثم أنه سبحانه لم يقل لشيء منها أحسن صورته ولا قال لشيء إنى خلقته في أحسن تقويم إلا لهذا الشخص المخلوق من سلالة من طين ثم دع هذا الذي هو عائد إلى الخلقه وانظر إلى قوله تعالى ﴿يَجِبُهُمْ وَيَجْبُونَهُ﴾ هل قال هذا الملك مقرب أو مخلوق على جمال الصورة مركب . كلا إن هذا لأولاد آدم خاصة خصوصية . ولهم بها على أمثالهم مزية . فضلاً من الله ونعمة . وإحساناً بدأهم به ومنة عليهم ورحمة .

فصل : واعلم أن حسن التصوير وإن كان في ظاهر الخلق فإن حقيقة ذلك أتم في باب الخلق فإن الله تعالى أحسن خلق الأكثرين وقليل من حسن خلقه وإنما يمتاز العوام من البهائم بتسوية الخلق . ويمتاز الخواص من العوام بتصفية الخلق . وكما أن الآدمي يفارق البهائم بتركيب القامة وترتيب الأعضاء فالخواص تباين العامة بحسن الخلق وخلوص الصفة . ولم يمن الله سبحانه على رسوله بشيء كما منَّ عليه بحسن خلقه ألا ترى كيف أننى عليه بقوله ﴿وإنك لعلي خلق عظيم﴾ والإنسان مستور بخلقته بين أمثاله . مشهور بخلقته عن أشكاله .

يحكى عن يحيى بن معاذ أنه قال : أنا واحد من الناس إذا سكت . واحد فيهم إذا نظقت . هكذا يحسن للمرء أن يكون واحداً من الناس من حيث الصورة والخلق واحداً فيهم من حيث الخلق فسبحان من ركب من قطرة واحدة نسمة^(١) وأوجد فيها بكمال حكمته وشمول قدرته صورة . ثم كما لا تشبه صورة صورة لم يشبه خلق خلقاً .

ويحكى أن بعض الأمراء سأل ندماء عن شر الأشياء فقال بعضهم المرأة السوء . وقال بعضهم الجار السوء . وقال بعضهم الخلق السوء . فتواضعوا أن يتحاكموا إلى أول من يلقونه إذا خرجوا من البلد فخرجوا من البلد فاستقبلهم سوادى معه حمار عليه جرار من خزف فأرادوا أن يمتحنوا الرجل فقالوا لم لا

(١) أي نفساً .

تسلم علينا فقال لهم الراكب ينبغي أن يسلم على الرجل فقال بعضهم لبعض إنه يشبه أن يكون حكيماً فقالوا له وقعت لنا مشكلة فأردنا أن نتحاكم إليك فيها فقال لهم إحتفظوا حماري إذاً لئلا يشتغل قلبي وقعد . فذكروا له المسألة فقال شر الثلاثة الخلق السوء لأن المرأة يمكن أن يتخلص منها بالطلاق والجار السوء يرجى الخلاص منه بالغيبة والفراق والخلق السوء معك أينما كنت فاستحسن الأمير ذلك وقال سل حاجتك فقال الرجل : إني لا أريد أن أتحمك عليك في خزائنك ولكن أسألك حاجة لو قضيتها نفعتي ولم تضرك فقال وما هي فقال إن النيروز والمهرجان قريب منا والناس يبعثون إليك الهدايا ويتحفونك بها فناد في البلد إني لا أقبل من أحد هدية إلا مع جرة من عملي لأبيع ذلك بحكمي . فاستحسن الأمير ذلك وأجابته إليه وأمر حتى نودي في البلد بما قال فكل من طلب منه جرة قال لا أبيع إلا بدينار واحدة فكان الناس يشترون . وكان للأمير وزير فارسي فقيل له إن هذا الرجل يبيع جرة بدينار فقال إنها تساوي نصف درهم فليأخذ منا درهماً أو درهين . فأتاه الرسول وأخبره بقول الوزير فقال الرجل لا تشتري إن لم ترد فأعاد عليه الرسول في اليوم الثاني فقال تعالى وخذ الدينار فقال لا أبيع إلا بمائة دينار فحرد الوزير وقال بالأمس لا أعطيك ديناراً واليوم أعطيك مائة فقال لا تشتري إن لم ترد . فصبر ذلك اليوم . فلما كان اليوم الثالث لم يجد بدأً من الجرة فأرسل إليه وقال تعالى وخذ الذهب فقال لا أبيع إلا بألف دينار ، فزاد غضبه وأبى أن يشتري فلما كان الغد كان ذلك يوم العيد وكانت العادة لم يرسل أحد هدية قبل الوزير فبقي الوزير حائراً . فأرسل إلى الرجل وقال له تعالى وخذ ما تريد فقال لست أبيع الجرة فإلح عليه كل الإلح فأبى فقال على كل حال إيش تريد فقال لا أبيع ولا أعطيك الجرة إلا بشرط واحد تحملي علي رقبتك والجرة بيدي وتمري إلى مجلس الأمير . ففعل ذلك إذ لم يجد بدأً من إرسال الهدية . فلما وقع بصر الأمير عليه نادى بالفارسية يا أمير حتى الأونان كواي معناه سوء الخلق الحمل الثقيل . فاستحسن الأمير ذلك فعزل الوزير وولاه الوزارة بدله وسلم إليه ماله وملكه

* * *

في معنى اسمه « الغفار »

ومن أسمائه الغافر والغفور والغفار فالغفور للمبالغة والغفار أشد مبالغة من الغفور والمصدر منه المغفرة . يقال غفر يغفر مغفرة وغفراً وغفراناً فهو غافر وغفور على الكثرة وغفار على المبالغة ومعنى الغفر الستر والتغطية ويقال لجنة الرأس المغفر لأنه يستر الرأس وغفر الثوب زبره^(١) .

ويقال جاء القوم جماً غفيراً ، وجما الغفير أي جماعتهم . ومغفرة الله تعالى للعبد ذنوبه ستره وعفوه فالله تعالى يغفر ذنوب عباده بفضله ورحمته لا باستحقاقهم ذلك باكتسابهم التي هي طاعتهم أو توبتهم عن زلاتهم . وغلط مخالفاً أهل الحق في مسألة المغفرة من وجهين : أحدهما أنهم قالوا غفران الكافر والفاسق من غير إيمان وجد منهم غير جائز في الحكمة والثاني قولهم إن غفران التائب من الذنب في الحكمة واجب وقال أهل الحق غفران الزلة من الله تعالى جائز لمن شاء إذا شاء كما قال الله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك من يشاء ﴾ والله تعالى يغفر الذنوب ويستر العيوب ويكشف الكروب ويكفي الخطوب كل ذلك فضلاً من الله وإنعاماً ولطفاً وإكراماً . وفي بعض الأخبار . عبدني لو أتيتني بقراب الأرض ذنباً لأتيتك بقراب الأرض مغفرة ما لم تشرك بي . وفي خبر مسند أن رجلاً يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق التفت وإذا بلغ ثلثي الطريق التفت فيقول الله تعالى ردوه . ثم يسأله ويقول لم التفت فيقول يا

الغفار كثير المغفرة . يستر المعصية على عبده ويغفرها له كلها توجه إليه ولا يجوز الإستغفار إلا له كما أنه لا يأخذ بالذنب أو يغفره إلا هو وهو ذكر أهل التوبة ويفرج الله به المهموم .

(١) زبر الثوب كزغبره لفظاً ومعنى وهو ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخبز .

رب لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك « وربك الغفور ذو الرحمة » فقلت لعلك أن تغفر لي فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك « ومن يغفر الذنوب إلا الله » فقلت لعلك تغفر لي فلما بلغت ثلثي الطريق تذكرت قولك قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . فازددت طمعاً . فيقول الله تعالى : اذهب فقد غفرت لك .

قال الله تعالى ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ كأنه قال من أرخى عمره في الزلات . وأفنى حياته في المخالفات . وأبلى شبابه في البطالات . ثم ندم قبل الممات . وجد من الله العفو عن السيئات . لأن قوله « ثم » يقتضى التراخي كأنه قال من لم يتب في الحال ولكن في آخر العمر وقيل إن رجلاً كان يقول إلهي أبطأت إلهي أبطأت . فهتف به هاتف لم تبطء إنما أبطأ من مات ولم يتب . وقوله تعالى ﴿ يعمل سوءاً ﴾ أخبار عن الفعل وقوله ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ إخبار عن القول كأنه قال الذين زلنهم أفعال توبتهم أقوال . ولقد سهل عليك الأمر من رضي عنك بمقالة وقد عملت ما عملت ثم أنظر إيش قال في قوله يجد الله طلبوا المغفرة فوجدوا الله أي نكتة لمن يعقلها . ليس العجب من السيارة حيث طلبوا الماء ليشربوا فوجدوا يوسف . إنما العجب من عاص طلب المغفرة فوجد الله تعالى . وجاء في بعض الأخبار أن رجلاً في الزمن الأول قتل تسعة وتسعين رجلاً بغير حق فجاء إلى بعض العلماء فقال ما تقول فيمن قتل تسعة وتسعين رجلاً بغير حق . فقال العالم إنه في النار فغضب الرجل وقتل العالم ثم أنه بعد مدة ندم فجاء إلى عالم آخر فقال ما تقول فيمن قتل مائة رجل بغير حق ثم تاب فهل يقبل الله توبته . فقال نعم . فقال أنا ذلك الرجل فما تأمرني به . فقال له العالم : سبيلك أن تمضي إلى البلد الفلاني فإن الله تعالى يقبل توبك هنالك . ومضى الرجل فمات في الطريق فتخاصم ملايكة الرحمة وملايكة العذاب في قبض روحه فبعث الله ملكاً وقال له امسح الأرض التي قطعها والتي بقيت وإنظر إلى أي البلدين هو أقرب فنظر الملك فوجده أقرب إلى أرض التوبة بشير فأمر الله به إلى الجنة .

في معنى اسمه « القهار »

القهار : إسم من أسمائه تعالى . ورد به نص القرآن بأنه قاهر وأنه قهار قال الله تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ هو الله الواحد القهار ﴾ واختلف أهل الحق في معنى القهار هل هو من صفات الذات أو من صفات الفعل فقال قوم إنه من صفات الذات وهو بمعنى المبالغة من القاهر ومنهم من قال إنه من صفات الفعل ومعناه الجبار الذي يحصل مراده من خلقه شاءوا أو أبوا رضوا أم كرهوا وأما الإشارة فيه فمن علم أنه القهار خشي بغته مكره وخاف فجأة قهره . فيكون وجلا بقلبه . منفرداً عن قومه مستديماً لخدمة ربه . مفارقاً لخلطائه وصحبه . كما قيل :

فريد عن الخلان في كل موطن إذا عظم المطلوب قل المساعد

فصل : واعلم أن الله سبحانه قهر نفوس العابدين وقهر قلوب العارفين وقهر أرواح المحبين . فنفس العابد مقهورة بخوف عقوبته . وقلب العارف مقهور بسطوة قربته وروح المحب مقهورة بكشف حقيقته . فالعابد بلا نفس . لإستيلاء سلطان أفعاله عليه . والعارف بلا قلب لإستيلاء سلطان إقباله عليه . والمحب بلا روح لإستيلاء كشف جلاله وجماله عليه .

فصل : واعلم أن قهر الحق سبحانه وتعالى للأغيار بتنغيص أحوال الدنيا . وأن قهره الأحباب باختطاف الأسرار عما سوى المولى . فليس لهم مع مخلوق قرار . ولا للأغيار عندهم مقدار . طلعت شواهدهم عند شهوده .

القهار الذي يقهر ولا يقهر : وهو ذكر من أراد قهر النفس . والعدو والشيطان وهو نافع من داء الكبير .

وبادت^(١) سرائرهم عند ظهوره . فهم محو فيما هنالك الأشباح موجودة .
والأرواح مفقودة . وفي معناه أنشدوا :

محوت إسمي ورسم جسمي وغبت عني ودمت أنتما
وفي فنائي فني فنائي ففي فنائي وجدت أنتما
فأنت مني خيال عيني وحيث ما كنت كنت أنتما

فصل : واعلم أن الله تعالى قهر جميع عباده بالموت الذي ليس لأحد عنه
مخيد لم ينج منه نبي مرسل ولا صفي مفضل . ولا ينجو منه ملك مقرب .
ضاعت عند ذلك صولة المخلوقين وبادت عند سطوته قوى الخلائق أجمعين .
ويقال إن الله تعالى يذيق ملك الموت طعم الموت فيقول عند الفزع وعزتك لو
علمت أن طعم الموت يكون مثل هذا ما قبضت روح أحد وناهيك من قهره
للعباد أنه يقبض أرواح جميع المخلوقين ثم يقول لمن الملك اليوم فيرد على نفسه
الله الواحد القهار فأين سلطان الجبابرة عند ذلك وأين ولاية الأكاسرة فيما هنالك
وأين الأنبياء والمرسلون وأين الملائكة المقربون وأين السفارة الكاتبون وأين آدم
وذريته وأين أهل الجحود والاحاد وأين أهل التوحيد والزهاد زهقت النفوس

(١) وبادت أي ذهبت وانقطعت .

وبليت الأرواح^(١) وبقي الذي لم يزل ولا يزال وفي بعض الحكايات أن بعض خلفاء بني العباس كان له غلام صاحب جيش له وأنه تملك خمسة آلاف غلام

(١) والأرواح لا تبلى إنما تغيب عن وجودها فلا تستطيع الجواب عند الصعقة وقد صعق موسى عليه الصلاة والسلام عندما قال « رب أرنى أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن أستقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً » والصعق ليس معناه الإمامة جسداً وروحاً وإنما يغيب عن وجوده كذلك عند التفخة يصعق من في السموات والأرض وليس معنى ذلك فناء الأرواح ثم إيجادها ثانية قال تعالى ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ ويستدل على ذلك أيضاً بما رواه البخاري ومسلم وكثير من أصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين : وقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم اليهودي فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لا تخبروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأفانق أو كان فيمن استثنى الله تعالى . وفي الحديث إشارات :

- ١ - أن الصعق لم يميت الجسد أو الروح .
- ٢ - أنه لو كانت الروح يفنيها الله معناها إفناء الكل حتى لا تكون وبذلك تخلق من جديد وليس في القرآن ما يشير إلى ذلك إنما الموت للأجساد وإعادة ثانية من أصل لها قال تعالى ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ .
- ٣ - إنباء المصطفى عليه الصلاة والسلام بأن موسى عليه الصلاة والسلام لن يصعق ثانية لأن الوحي أنبأه بذلك لأنه خصوصية له .
- ٤ .. أنه عليه الصلاة والسلام ذكر هذه الخصوصية لموسى تأديباً للمسلمين ورعاية وإجلالاً للمرسلين والنيبين ومجادلة لأهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة حتى لا تحفوا القلوب .
- وقوله عليه الصلاة والسلام في موضع آخر : « لا تفضلوني على يونس ابن متى » وهذا يريد به إظهار فضل يونس بن متى في موقف من مواقفه المجيدة مع أنه صلى الله عليه وسلم بلغ بأنه أفضل خلق الله . ولكن إظهار فضيلة لرسول أو نبي إنما هي لتأديب المسلمين ولئلا يحقروا رسولاً أو نبياً بالجدل أو الإفتخار الموجب للمعاندة .
- ٥ - قال الله تعالى ﴿ فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ وليست من شاء الله محددة بواحد أو أكثر إنما من الله بها على من يشاء وقوله تعالى ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ وقد يقوفا هؤلاء المستنون من الصعق لله الواحد القهار نيابة عن جميع الخلائق لأنهم مفردون وموحدون أو أن يقوفا الحق وهم مؤمنون ومتلذذون من تقرير الحق بالحق لذاته .
- ٦ - قال الله تعالى ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق . يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ وهذه الآيات تشير إلى أن الكافرين والمشركين والفاسقين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم أو الاستنصار لأحد وعلماً باليقين أن مالك الملك هو الواحد القهار الذي قهرهم في هذا الموقف وهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء وهذا تقرير للواقع أنه الواحد القهار باليقين الذي حصل وأنه مالك الملك فالحال والمقال من شهود الحق يجيب لله الواحد القهار وليس في هذه الآيات ما يشير إلى إفناء الروح كما شاع عند كثير من المسلمين .

فقربت وفاة هذا الخليفة فأحضر أركان الدولة لأخذ البيعة لبعض أولاده وكان هذا صاحب الجيش قائماً على رأسه وكانوا على بهو فنظر هذا الخليفة إليه فخاف صاحب الجيش أنه نظر سخط فرجع القهقري فسقط من ذلك البهو وانصدت عنقه من هيبة نظر الخليفة . فتوفي الخليفة في ذلك الوقت والساعة فوضعوه في بيت وتشاغلوا عن دفنه بأخذ البيعة لولي عهده فلما رجعوا إليه وجدوا الفأره قد فقأت عينه التي نظر بها إلى ذلك الغلام .

فسبحان من قهر عباده بما شاء من خلقه . وفي القصص أن عمرواً خرج بعسكره وكان معسكره أربعة فراسخ في أربعة فراسخ فقال لإبراهيم عليه السلام . قل لهذا الرب الذي تدعوه حتى يخرج لمحاربتي فقال إبراهيم إلهي تسمع ما يقول هذا الكلب فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أرسل عليه أضعف بعوضة خلقتها فعرض جبريل جيش البعوض فوجد بعوضة عرجاء شلا فسلطها الله عليه وقال لها أمهليه ثلاثة أيام كل ذلك إبلاء للعذر وإبقاء للمكر فكانت البعوضة تنتقل على وجهه من جانب إلى جانب فلم يقلع عن غيه فصعدت البعوضة إلى دماغه وكانت تأكل دماغه حتى وضع عند رأسه مرزبة وكان كل من يدخل عليه يأمره أن يضرب بها على دماغه عشر مرات . وكان يجهد في ذلك راحة حتى هلك . قال الله سبحانه ﴿ وإن جنودنا لهم الغالبون ﴾

* * *

في معنى اسمه « الوهاب »

إعلم أن الواهب والوهاب من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن في قوله العزيز الوهاب وانعقد عليه الإجماع . يقال وهب وهبا وهبة فهو واهب ووهاب على الكثرة ومعناه المعطي وهو من صفات الفعل والله تعالى جزييل العطاء جميل الهبة والحبا كثير اللطف والإقبال . عظيم المن والنوال يعطي قبل السؤال . ويسمع خصائص الأفضال . وجاء في القصة أن موسى صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه إني أرى في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم من هم قال تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى اشتاق موسى إلى لقائهم فقال إنك لا تراهم . ولكن إن شئت أسمعك أصواتهم فنادى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم في أصلاب آبائهم فقالوا لبيك ربنا فقال تعالى يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني . ومن تحقق بأنه الوهاب لم يحتشم من الفقر ومقاساة الضر ويرجع إليه في كل وقت يحسن القصد . ويحكى أن الشبلي سأل بعض أصحاب أبي علي الثقفى أي إسم من أسمائه يجري على لسانه أكثر فقال الرجل اسمه الوهاب . فقال الشبلي لذلك كثرة ماله . ويحكى عن بعضهم أنه قال كنت جالساً في جماعة فوقف علينا سائل وسأل شيئاً فلم يعطه أحد شيئاً فبكى ذلك الرجل بكاءً شديداً فرق له قلبي فقلت له تعالى حتى أعطيتك شيئاً فقال إني لم أبك لما توهمت ولكن ذكرت ذل من يفتقر من رحمة الله كيف حاله ومضى . فلما كان بعد أيام إذا نحن بإنسان عليه ثياب حسنة وقف علينا وسلم وقال تعرفوني فقالوا ولا نتكرك فمن أنت فقال أنا السائل الذي رددتموني في ذلك

الوهاب : كثير العطاء لا تنفد خزائنه يمنح من يشاء بلا سبب إلا سبق جوده وكرمه وذكره بورغنى الدنيا والآخرة .

اليوم فرجعت إلى ربي فسألته النعماء فأغثناني وأعطاني وأحسن إنعامي ومن الذي يحتاج منكم إلى شيء قلنا لا يخلو منا واحد إلا وله شيء لك الفضل .

وحكي عن بعضهم أنه قال رأيت شيخاً عربياً في الطواف وهو يقول :

أما تستحي يا خالق الخلق كلهم أناجيك عربياً وأنت كريم
وترزق أبناء الخنازير والزنى وتترك شيخاً من سراة تميم

فقلت له ألا تعلم أنه لا يخاطب بمثل هذا فقال إليك عني فإني أعلم به معك ومضى . فلم ألبث أن جاء وعليه جبة خز وهو يتبختر فلما رأني قال ألم أقل لك أنا أعلم به منك قبضت منه جبة خز .

فصل : ومن تحقق أنه الوهاب لم يرفع حوائجه إلا إليه . ولم يتوكل على أحد إلا عليه فرجعت إلى ربي فسألته النعماء فأغثناني وأعطاني وأحسن إنعامي ومن الذي يحتاج منكم إلى شيء قلنا لا يخلو منا واحد إلا وله شيء لك الفضل .

والتذلل . حكي عن بعضهم أنه قال كنت في بيت المقدس في المسجد فرأيت إنساناً ملتصقاً بعبادة قائماً فسمعتة يقول إن أطعمتني الخبز والطعام الفلاني والعصيدة وإلا كسرت قناديلك . قال فقلت إنا لله إما مجنون وإما ولي مدل . قال وعاد إلى حالته ونام وإذا أنا بحمال معه ما أشار إليه فوضعه بين يديه فاستوى الرجل فأكل منه شيئاً وحمل الرجل الباقي ومضى . قال فقوت أثره وسألته عن القصة فقال : إني رجل حمال تشهى على صبياني هذا منذ زمان فأصلحته اليوم فأغفأت إغفأة فرأيت كأن قائلاً يقول لي ولي من أوليائنا في المسجد إشتهى هذا فأحمله إليه ثم أحمل ما فضل إلى صبيانك . وإعلم أن من صح توكله عليه لم يرفع حوائجه إلا إليه .

* * *

في معنى اسمه « الرزاق »

الرزاق إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وانعقد عليه الإجماع ومعناه المبالغة من الرزاق وحقيقة الرزق ما كان معه الإنتماع به مهياً له وهو مصدر رزقه يرزقه رزقاً فهو رازق فكل ما يمكن أن ينتفع به فهو في ذاته رزق وينقسم إلى حلال وحرام وشبهه فما كان موافقاً للأذن فهو حلال وما كان بعكسه فهو حرام ويبطل قول المخالفين أنه الملك لوجوب القول بأن الله سبحانه رازق الطير والبهائم والسباع ولا ملك لها ومن عرف أن الله هو الرزاق أفردته بالقصد إليه وتقرب إليه بدوام التوكل عليه قال الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقيل لبعضهم من أين يأكل فلان فقال مذ عرفت خالقه ما شككت في رازقه .

وجاء رجل إلى حاتم الأصم فقال : من أين تأكل فقال من خزائنه فقال الرجل يلقي عليك الخبز من السماء فقال لو لم تكن الأرض له لكان يلقي على الخبز من السماء فقال الرجل أنتم تقولون الكلام فقال أنه لم ينزل من السماء إلا الكلام فقال أنا لا أقوى على مجادلتك فقال لأن الباطل لا يقوم مع الحق .

وقيل لبعضهم من أين تأكل فقال من خزائن ملك لا تدخلها اللصوص ولا يأكلها السوس ودخل حاتم الأصم على امرأته فقال إني أريد أن أسافر فكم تحتاجين من النفقة حتى أضعها لك فقالت بقدر ما نخلف من الحياة فقال حاتم وما يدريني كم تعيشين فقالت له كله إلى من يعلمه فلما خرج حاتم إلى السفر

الرزاق : المتكفل بأرزاق مخلوقاته يطعم ولا يطعم « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » يبسط ويقدر كيف يشاء وكل شيء بيده خزائنه يفتح للمتوكلين أبواب جوده . وذكره يورث الإتكال على الله ويرزق من حيث لا يحتسب .

دخل النساء عليها يظهرن الإهتمام لشأنها وأنه تركها بلا نفقة فقالت تلك المرأة أنه كان كميالاً للرزق ولم يكن رزاقاً .

فصل : واعلم أن الله سبحانه خص الأغنياء بوجود الأرزاق وخص الفقراء بشهود الرزاق وأن من سعد بوجود الرزاق ما ضره ما فاته من وجود الأرزاق ومن عرف أنه هو الرزاق رجع إليه فيما يسبح له من جليل خطب ودقيق شغل لأنه علم أنه لا شريك له في رزقه كما لا شريك له في خلقه وقيل إن موسى عليه السلام قال يوماً في مناجاته إنه لتعرض لي الحاجة الصغيرة أحياناً أفاسئله منك أم أطلبها من غيرك فأوحى الله تعالى إليه لا تسأل غيري وسلي حتى ملح عيبيك وعلف شائك . وسمعت الشيخ أبا علي يقول من علامات المعرفة أن لا تسأل حوائجك قلت أو كثرت إلا من الله تعالى مثل موسى اشتاق إلى الرؤية فقال أرني أنظر إليك وأحتاج مرة إلى رغي فقلت رب أني لما أنزلت إلى من خير فقير طلب القليل . والكثير من الله . ويحكى عن حماد بن مسلمة أنه قال كان في جوارري امرأة أرملة لها أيتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت صوتها تقول يا رفيق أرفق قال فخطر ببالي أنها أصابته فاقة فصبرت حتى احتبس المطر فحملت معي عشرة دنانير ودققت عليها الباب فقالت حماد بن مسلمة فقلت نعم حماد كيف الحال فقالت خير وعافية احتبس المطر ودفى الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير واصلحي بها بعض شأنك قالت فصاحت بنية لها خماسية^(١) لا نريد يا حماد أن تكون بيننا وبين ربنا واسطة ثم قالت لأمها لما رفعت صوتك بإظهار السر علمت أن الله يؤدبنا بإظهار الرفق على يد مخلوق .

فصل : ومن الناس من تسموهمهم فلا يطلبون منه الحوائج الخمسية ويحكى عن الشبلي أنه أرسل إلى ابن يزدانيال أن أبعث إلينا شيئاً من دنياك فكتب إليه ابن يزدانيال سل دنياك من مولاك فكتب إليه الشبلي دنياي حقيرة وأنت حقير وإنما أطلب الحقير من الحقير وألا طلب من مولاي غير مولاي .

(١) خماسية . طولها خمسة أشبار .

ويحكى عن امرأة يحيى بن معاذ أنها قالت ليحى لقد قضيت العجب من بنيتنا هذه انها طلبت منى شيئاً تأكله مع الخبز فقلت لها سلى من الله فقالت أنا استحي من الله أن أسأل منه ما آكل فشتان بين من هي صبية بلغ من حسن أدها أن تستحي أن تسأل من الله مباحاً من الحلال وبين من هو شيخ طعن في السن لا يستحي من الله وهو يراه على محذور عنه نهاه لكنه يختص برحمته من يشاء ويفعل في بريته ما يريد قال سبحانه ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ فمنهم من يرزقه لطائف التوحيد وخصائص التوفيق ومنهم من يجرمه ذلك ويربطه بالخذلان وسوء الحرمان فنعوذ بالله من ذلك .

فصل : واعلم أنه يرزق الأرواح والسرائر . كما يرزق الأشباح والظواهر . وأرزاق القلوب . الكشوفات والمعاني كما أن أرزاق الأجساد الغذاء والأحاطي . يحكى أن رجلاً كان يخدم سهل بن عبد الله فأصابه الجوع فقال يا أستاذ القوت فقال سهل الله الحي الذي لا يموت ثم قال له بعد مدة يا أستاذ لا بد من القوت فقال سهل لا بد من الله الحي الذي لا يموت وقيل لبعضهم أي شيء القوت فقال ذكر الحي الذي لا يموت وفي معناه أنشدوا :

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها فكم تلبت النفس التي أنت قوتها
والحق سبحانه وتعالى يقبض أرزاق الظواهر ويضيئها على قوم ويسطها
على قوم آخرين كذلك سته في أرزاق القلوب يرددها بين قبض وبسط وقبول
ورد . وإنما يعطيهم إذا شاء ما شاء كما شاء لا بعله استحقاق ولا بسبب إيجاب
قيل أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يوماً في مناجاته إلهي إني جائع فأوحى الله
إليه إني أعلم ذلك فقال أطمعني فقال سبحانه إلى أن أريد . وكما أن للظواهر
طعاماً وشراباً كذلك للسرائر طعام وشراب قال أهل الإشارة في قوله تعالى
والذي هو يطعمني ويسقين لم يشر إلى طعام معهود ولا إلى شراب مألوف وإنما
أشار إلى طعام المعرفة وشراب المحبة وأنشدوا :

شربت الحب كأساً بعد كأس فلا نغد الشراب ولا رويت

وأنشدوا أيضاً :

سقاني شربة أحيي فؤادي فلا أسلو إلى يوم التناد
وقال بعضهم : دخلت على داود الطائي فرأيتَه منبسِطاً وكنْتُ إذا دخلت
عليه أراه منقبضاً فقلت أي شيء جالك فقال سقاني البارحة شراب أنسه فأردت
أن أجعل اليوم يوم عيد فقلت أتأذن لي أن أحمل إليك طعاماً حتى تفطر فقال
لست أشير إلى هذا وشتان بين شراب يدار على الكف وشراب يكون في موجب
لطف وروية كشف وأنشدوا :

فاسكر القوم دور كأس وكان سكري من المديتر

* * *

في معنى اسمه « الفتح »

الفتح إسم من أسمائه تعالى ورد به الخبر ونص القرآن كقوله تعالى ربنا افتح (أي أحكم) بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين (أي الحاكمين) . فيكون ذلك في وصفه بمعنى القضا والحكم والعرب تسمي الحاكم الفتح لأنه يفتح بقضائه ما انغلق من خصومتهم ويكون الفتح في وصفه الذي يفتح لهم ما انغلق من أبواب الرزق وتفاصرت عنه حيلهم ويقال فتح لهم باب الخير وفتح عليهم باب العذاب قال الله سبحانه فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ﴾ والفتح في اللغة ضد الغلق والمفتاح الآلة التي بها يفتح الغلق وجمعه مفاتيح وهو المفتاح أيضاً وجمعه المفاتيح وإذا علم العبد أنه هو الفتح والقاضي بين عباده تجنب سبل الظلم وتنكب عن جميع الجور تحقّقاً بأنه يحاسب على الصغير والكبير ويطلب بالنقير والقطمير .

يحكى عن بعض الصالحين أنه قال لولده يوماً لي إليك حاجة فقال وما هي قال أن تقول لي بالمساء كل ما قلته بالنهار فتكلف الابن ذلك اليوم وحفظ ما قاله للناس وأعاد إلى أبيه . فلما أصبح قال له أبوه مثل ذلك فقال له الابن عذبي بما شئت ولا تكلفني هذا فيإني لا أطيقه فقال الأب يا بني إذا كنت لا تطيق محاسبة أبنك ليوم واحد مع هذا اللطف . فكيف تطيق محاسبة عمرك يوم لا يسمع من الجواب إلا ما كان صادقاً ويقال أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة ينادي أن الله تعالى يقول أنا ظالم إن جاوزني اليوم ظلم ظالم فإذا علم العبد أنه

الفتح : الذي لا يفتح أبواب الخير ولا يوصد أبواب الشر إلا هو ولا يفصل بين الحق والباطل إلا هو حكمه العدل وقوله الفصل وذكره يورث النصر على الأعداء ويهدي إلى الحق ومعرفته .

مسئول عن جميع أفعاله وأقواله استعداد لذلك اليوم فلا يعمل ما يخاف عليه العتاب ويخشى لأجله العقاب .

وقد روي في الخبر أنه لا يزول قدم عبد من مكانه حتى يسئل عن ثلاث يقال له شبابك فيما أبليت . وعمرك فيما أفنيت وما لك من أين جمعت وفيما أنفقت . وفي هذا المعنى تسلياً للمظلومين . وتفريجاً لكربة المتحنيين ووعيداً شديداً على الظالمين قال ابن عباس في معنى قوله سبحانه ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ . ما نزلت هذه الآية إلا وعيداً للظالم وتسلية للمظلوم وأما من علم أنه الفتاح للأبواب الميسر للأسباب الكافي للخطوب المصلح للأمر فإنه لا يتعلق قلبه بغيره ولا يشتغل بدونه فكره يعيش منه بحسن الإنتظار ولا يزداد بلاء إلا ويزداد بره ثقة ورجاء كييقوب عليه السلام قال لبنيه بعد ما طال الأمد وتمادت الغيبة ورعوا غير مرة خائبين « يا بني إذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله » .

ويحكى عن بعض الفقهاء أنه كان يأتي كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد ما كان يطوف ما شاء الله . ويخرج من جيبيه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد أيام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات . فجاء بعض من كان يرمقه ونظر في الرقعة فإذا فيها « وأصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » فكان الرجل إذا أصابته الفاقة صبر ولم يظهر حاله لمخلوق حتى مات .

فصل : واعلم أنه يفتح للنفوس بركات التوفيق . وللقلوب نزوات التحقيق فتتوفيقه تنزير النفوس بالمجاهدات . وبتحقيقه تنزير القلوب بالمجاهدات .

فصل : ومن آداب من علم أنه الفتاح أن يكون حسن الإنتظار لوجود لطفه . دائم الترقب لحصول فضله . مستديم التطلع لنيل كرمه . تاركاً للإستعجال عليه ساكناً تحت جريان الحكم عالماً بأنه لا يقدم ما حكم بتأخيره ولا يؤخر ما حكم بتقدمه .

ويحكى أن رجلاً كان يؤذن لأمر المؤمنين علي رضي الله عنه في مسجده . وكانت تخرج من دار علي رضي الله عنه جازة تستسقي بالغدوات فكان المؤذن يقول لها كل يوم يا فلانة إني أحبك . فشكت يوماً إلى علي رضي الله عنه وقالت إن المؤذن يقول لي كل يوم إني أحبك فقال علي رضي الله عنه قولي له وأنا أيضاً أحبك فأيش بعد هذا فقالت الجارية للمؤذن ذلك فقال المؤذن إذا نصبر حتى يحكم الله بيننا فذكرت ذلك لعلي رضي الله عنه فدعا بالمؤذن وسأله عن القصة فأخبره بالصدق فقال علي رضوان الله عليه خذ بيدها واحملها إلى بيتك فقد حكم الله بينكما . وقيل (١) إن رجلاً باع جارية فندم واستحى أن يقول ذلك للناس وأن يعود إلى المشتري فكتب على كفه حاجته ورفع يده إلى السماء ولم يقل بلسانه شيئاً فرأى المشتري في المنام أن قلبه ولينا مشغول بالجارية . فردها عليه وأجرك عليّ فلما أصبح الرجل حمل الجارية إلى البائع ودق الباب عليه فقال من أنت فقال مشتري الجارية مع الجارية : فقال أصبر حتى أخرج اليمن فقال أردتها بلا ثمن فقد رضيت بما يعطيني الله بها من الأجر . وروي أن رجلاً من الفقرا طاب قلبه يوماً فخرج في وجهه وطلب بلاد الروم من غير قصد فأسر وأقيم للبيع فيمن يزيد . والرجل في سكره فأفاق ورأى نفسه على تلك الحالة فقال :

أقامني جبك فيمن يزئد	في صفة الذل ونعت العبيد
ما ضرني مبتاع أم مشتري	في حبكم لأن أمري رشيد
مولاي ولهي بلغ ما ترى	فكيف نمدح غيركم يا حمد
قد حضر البائع والمشتري	عبدك موقوف فماذا تريد

قال فتغافلوا عنه في تلك الحالة ومضى الرجل على وجهه وخرج من بلاد الروم إلى بلاد الإسلام ولم يقل له أحد شيئاً .

* * *

(١) تقدمت هذه الحكاية .

في معنى اسمه « العليم »

العليم إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وهو عالم وعليم وعلام والتوقيف في أسمائه تعالى معتبر والأذن في جوازها منتظر فلا يسمى إلا بما ورد به الكتاب والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة ولهذا لا يسمى عارفاً ولا فطناً ولا عاقلاً ولا دارياً ولا ذكياً ولا شاعراً ولا إماماً . وإن كان الجميع بمعنى واحد وعلمه سبحانه نعت من نعوته . ووصف مختص بذاته ليس بمكتسب ولا ضروري دل على ثبوته شهادة أفعاله المحكمة فإذا ثبت ذلك فمن شأن من تحققه أن يكون مكتفياً بفعله عند جريان حكمه ساكناً عن تدبيره وتقديره فارغاً عن اختياره واحتياله قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . ولما أن تعرض جبريل للخليل صلوات الله تعالى عليهما وهو في الهواحين رمي من المنجنيق قال له هل لك من حاجة . فقال أما إليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي . وقيل أن رجلاً قال لبعض الموفقين أیطلب الرجل الرزق فقال إن علم أين هو فليطلب . فقال أيسأل الله تعالى فقال إن علم أنه نسبه فليذكره قال فما الحيلة قال ترك الحيلة . ومن آداب من علم أن الله تعالى عالم الخفيات خبير بما في الصدور عليم بما في الضمائر والسرائر من الخطرات . لا يخفى عليه شيء من الحوادث في جميع الحالات فبالحرري أن يستحي عن موضع إطلاعه ويرعوي^(١) عن الإغترار

العليم : الذي وسع علمه كل شيء ولا يغرب عن علمه مثقال ذرة ولا تخفى عليه خافية ولا يعلم مقدار عظمتة إلا هو . ولا نهاية لكماله . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . خلق العلماء والتعلمين ومددهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ويكشف لهم ما شاء من أسرار العلوم وذاكره يفتح الله عليه ويخاف ربه « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

(١) إرعوى عن القبح مثل ارتدع .

بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومعالجة مكره . قال الله تعالى ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم . . ﴾ الآية . وفي بعض الكتب إن لم تعلموا أني أراكم فالخلل إيمانكم وإن علمتم إنني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم .

فصل : ومن آدابه أن لا يعارض مخلوقاً فيما يحتاج إليه من مطالبه إكتفاء بعلمه فإنه إن ساكن بقلبه مخلوقاً عوتب في الوقت إن كان له عند الله قدر . يحكى عن إبراهيم الخواص أنه قال كنت في البادية وكنت قد تبت فسمعت نباح كلب من بعيد فأصغيت إليه وأخذت نحو ذلك الصوت وقلت في نفسي أمشي نحو نباحه لأوافي العمارة فإنه لا يكون إلا في عمارة فلم ألبث أن صفعني شخص من ورائي ولم أره فوق علي البكاء وقلت إلهي هذا جزء من توكل عليك قال فهتف بي هاتف ما دمت في خفارتنا كنت عزيزاً وإنما صفعت لأنك دخلت في خفارة كلب وهذا رأس من صفعك فنظرت فإذا برأس مقطوع بين يدي . ويحكى عن الخواص أيضاً أنه قال كنت جائعاً في الطريق فوافيت الري فخطر ببالي أن لي بها معارف فإذا دخلتها أضافوني وأطعموني قال فلما دخلت البلد رأيت منكراً احتجت أن أمر فيه بالمعروف فأمرت بالمعروف فأخذوني وضربوني فقلت في نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت في سري إنما أصابك ذلك لأنك سكنت إلى معارفك بقلبك وقلت أنهم يطعموني إذا دخلت البلد . ويحكى عن بعضهم أنه قال كنت جائعاً فقلت لبعض معارفي إنني جائع فلم يفتح لي من قبله بشيء فمضيت فوجدت درهماً ملقى على الطريق فرفعتة فإذا فيه مكتوب أما كان الله عالماً بجوعك حتى قلت لضعيف إنني جائع . ويحكى عن أبي سعيد الخراز أنه قال خرجت وقتاً في البادية وكنت جائعاً فدخلت الكوفة وكان لي بها صديق يقال له الحواري وكان يضيفني إذا دخلت الكوفة فأتيت حانوته فوجدته غائباً فدخلت مسجداً بقرب حانوته أنتظر رجوعه وقلت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين المتوكلين وقعدت مستنداً إلى إسطوانة أنتظر الحواري قال فدخل داخل فقال

الحمد لله رب العالمين وسبحان من أخلق الأرض من المتوكلين وسلام علينا وعلى
جميع الكذابين يا أبا سعيد يا مدعي التوكل التوكل في الصحاري والبراري .
ليس التوكل الجلوس على البواري تنتظر الحواري قال فالتفت فلم أجد
أحدًا . وهكذا سنة الله مع خواص عباده لا يسامحهم في خطرة ولا يتجاوز عنهم
في لحظة يطالبهم بالكبير والصغير . ويضايقهم بالنقير والقطمير وأما الذين
خست رتبتهم وقلت قيمتهم . فيذرهم بإمهاله يغترون . وفي غفلاتهم ينهمكون
حتى إذا أخذهم بغتة أهلكهم مرة ونعوذ بالله من ذلك .

* * *

في معنى اسمه « القابض الباسط »

إعلم أنها أسمان لله تعالى ورد بهما الخبر ونطق بهما لفظ الكتاب وهما من صفات فعله قيل معناه قابض الأرواح عن الأشباح عند الممات وباسط الأرواح في الأجساد عند الحياة وقيل معناه أنه يقبض الصدقات من الأغنياء يعني يقبلها ويسط الأرزاق للفقراء يعني يعطيها ويهبها وقيل يقبض القلوب أي يضيقها ويوحشها ويسط القلوب أي يبهجها ويؤنسها وقيل يقبض الرزق أي يضيقه ويسطه أي يوسع . واعلم أن القبض والبسط على إصطلاح أهل المعرفة في مخاطبتهم نعتان يتعاقبان على القلوب فإذا غلب على قلب عبد الخوف كان بعين القبض وإذا غلب على قلبه الرجا صار من أهل البسط يحكى عن الجنيد أنه قال الخوف يقبضي والرجا يسطني والحق يجمعني والحقيقة تغرقني وهو في ذلك كله موحشي غير مؤسني بحضوري بذوق طعم وجودي فليته غيبي عني^(١) وأفناني مني .

القابض : الذي ملك زمام كل شيء يقبض ويسط كيف يشاء يقبض العقل فلا يفهم والقلب فلا يغتم والصدر فلا يفرح والرزق فلا يمنح والروح فلا تسرع والنفس فلا تمرح ولا يفر من حكمه وقضائه خلق من خلقه حكيم في فعله . تقدر . أعراف . بييده . وهو ذكر نافع للخائفين من الأعداء ليقبض الله أيدي أعدائهم . تصل إليهم بأذى والأولى ذكره مع اسمه تعالى الباسط . الباسط . الذي يسط الرزق لمن يشاء من عباده وكل شيء عنده بمقدار ومن ذكره يؤتبه الله بسطة في الرزق والعلم والعدل في الحكم وفي كل شيء في نفعه في الدنيا والآخرة .

(١) وفي كلام سيدي إبراهيم الدسوقي في هذا المعنى إذ كان يصل على النبي صل الله عليه وسلم هذه الصلاة - اللهم صل على الذات المحمدية اللطيفة الأحذية شمس ساء الأسرار ومظهر الأنوار ومركز مدار الجلال وقطب فلك الجمال . اللهم بسره لديك وسيره إليك آمن خوفاً وأقل عثرتي وأذهب حزني وحرصي وخذني إليك مني وارزقني الفناء عني ولا تجعلني مفتوناً بنفسي محجوباً بحسي واكشف لي عن كل سر مكتوم يا حي يا قيوم .

فصل : فإذا كاشف الحق سبحانه عبداً بنعت جماله بسطه وإذا كاشفه بوصف جلاله قبضه فالبسب يوجب أيماشه والبسط يوجب إناسه واعلم أنه يرد العبد إلى أحوال بشريته فيقبضه حتى لا يطيق رده ويأخذه مرة عن نعوته فيجد لتحمل ما يرد عليه قوة وطاقة . يحكى عن أبي عثمان الحيري أنه كان عند أبي حفص أستاذه فمد يده إلى زبيب فأخذ أبو حفص على حلقه واسترده منه فلما سكن أبو حفص قال له أبو عثمان يا أستاذ أنا أعلم أنه ليس للدنيا عندك حظ فكيف ضايقتني في زبيبة فقال أبو حفص من ذا يتق بقلب لا يملكه صاحبه . ويحكى عن بعضهم أنه قال كنت مع الخواص في سفر فنزلنا تحت شجرة فجاء أسد فربض بقربنا ففزعت فزعاً شديداً وعلوت الشجرة وقعدت على غصن إلى الصباح من خوف الأسد وقام الخواص ولم يحفل به فلما كان الليلة الثانية نزلنا في مسجد فنام الخواص فوقع على وجهه بقعة فضج فقلت إن هذا عجباً لم تحتشم البارحة من الأسد وفزعت الليلة من البقعة فقال إن البارحة كنت مأخوذاً عني واللييلة أنا مردود عليّ . فلهذا جزعت . ويحكى عن الشبلي أنه قال من عرف الله حمل السموات والأرضين على شعرة من جفن عينيه ومن لم يعرف الله لو تعلق به جناح بعوضة لضج فحمل هذا منه على حالتي القبض والبسط . وقال بعض أهل المعرفة إذا قبض قبض حتى لا طاقة وإذا بسط بسط حتى لا فاقة^(١) .

فصل : واعلم أن الله يقبض الصدقات من الأغنياء ويقبلها لثلاثين الغني على الفقير ويسط الرزق للفقير لثلاثين لثلاثين مئة من الأغنياء ليكون دفع الغني

(١) والقبض والبسط حالين يهذب بهما الله الذاكرين ويفتح بهما عليهم أبواب العلم والحكمة فإذا هجم القبض على أحد يهجم على صدره من أبواب الجلال وحكمه الكبير المتعال وتكثر الخواطر في إضاح مستقبل المخاطر فيشتد خوف العبد من الله تعالى ويتذوق حكمة لا يتذوقها إلا من هذا الباب وهو عند ذلك القبض يرى أضلاعه لا تطيق صدره يكاد يتمزق من الضيق فإذا اشتد عليه الحال لطف الله به عند ذلك المقدار الذي يطيقه فيعرج صدره بالبسط إذ يهجم عليه خواطر الحق بايقاظه للنعم التي أعدها الله لأحبابه ويتعلم عن صاحب الإكرام وعود الأنعام ويغرقه في بحار من البسط لا يسعها إلا صدره ولو فتحت للخليقة لسرتها ورنحتها فلماذا هجم عليه حال الدلال أخافه الله من مكروه حتى يصل إلى الاعتدال ويهجم عليه بعد ذلك أحوال القبض وهكذا دواليك تتناوب عليه أحوال القبض والبسط وهو يترقى من إنتقال إلى إنتقال ومن قبض إلى قبض ومن بسط إلى بسط فهذه تربية الله لأحبابه من المختارين من عباده .

غير الله وكان الإشارة إلى الجملتين إفراد القلب لله عن غير الله وتصفية السر عما سوى الله فالغنى ينبغي أن لا يذل على الفقرا بل يذل لله والفقير يجب أن لا يذل لغير الله بل يشتغل بالله تعالى .

فصل : وكان الدقاق رحمه الله تعالى يقول القبض حق الحق منك والبسط حظ العبد منه ولأن تكون بحقه منك أتم من أن تكون بحظك منه وينبغي أن يتجنب الضجر في وقت نهضه وتتجنب ترك الأدب في حال بسطه . وفي بعض الحكايات أن بعضهم قال فتح عليّ باب من البسط فزلت زلة فحجبت عن مكاني . وسئل بعض المشايخ عن تلك الزلة أيش كانت فقال إنبساط مع الحق بغير إذن ومن هذا خشي الأكابر والسادة .

* * *

في معنى اسمه « الخافض الرافع »

إعلم أنهما إسمان من أسمائه تعالى ورد بهما الخبر وهما من صفات فعله يرفع من يشاء بأنعامه ويخفض من يشاء بانتقامه وعلى هذا يحمل تعريفه لعباده في حالتي عزهم وذمهم وهنأهم وفقرهم وكذا رفع الحق وحبزه وخفض الباطل وضحبه . ورفع الدين وشعاره وخفض الكفر وآثاره ورفع التوحيد ودليله . وخفض الألحاد وسبيله ، ورفع الإسلام وأنواره وخفض الأصنام ومن رضي تعظيمها واحقارها . ورفع القلوب بتقريبه وخفض النفوس بحكم تعذيبه . ورفع أوليائه بحفظ عهده وحسن وده وجميل رفته وصدق وعده وخفض الأعداء بصدده ورده وطرده وبعده ورفع من أتبع رضاه . وخفض من أتبع هواه . وقيل من رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته .

وقيل في بعض الحكايات إن رجلاً رثي واقفاً في الهوا فقيل له بم بلغت هذه المنزلة فقال أنا رجل جعلت هواي تحت قدمي فسخر الله لي الهوا وليس المرفوع قدراً . والمعل شأناً وأمراً . والمستحق مجداً وفخراً . من وضع الطين على الطين وتكبر على المساكين . وافتخر على أشكاله بكثرة ماله واستقامة أحواله . وإنما المشرف شأناً . والمعل رتبة ومكاناً من رفعه الله بتوفيقه وأيده بتصديقه وهداه إلى طريقه . صفا مع الله قلبه وخلأ له وجهه ولبه . وصعد إلى السماء أنينه . وصدق إلى الله شوقه وحنينه .

الخافض : الذي ينزل العتاة والمتكبرين وأهل الظلم منازل الذل والهوان وذكره يورث خشية الله تعالى والنصر على الأعداء وخفض الجناح للمؤمنين .
الرافع : الذي يهب الدرجات العلا لمن يشاء من عباده وينصر أحياءه ويرفع أقدارهم على غيرهم ومن ذكره يترفع عن الأمور الموجبة للنقص في درجات الآخرة ويزداد في التواضع لله ومحبه .

وروي في الخبر كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له^(١) لو أقسم على الله لأبره قسمه . واعلم أن المخفوض حقاً من النكبة التوفيق والنصرة . وأدركه الخذلان والفترة . وأسرته نفسه فهو بشهواتها مربوط . وفي وقته تقصير وتخليط وتفريط . إن رجع إلى قلبه لم يجد خيراً من ربه وإن رجع إلى ربه لم يجد خطراً لقدره . فهو بالهجران موسوم . وبين الفترات والأشغال مقسوم . يبيت في فترة . ويصبح على حسرة وفي بعض الحكايات من أراد ملك السدارين فليدخل في مذهبنا يومين وفي معناه أنشدوا :

لله درهم من فتية^(٢) بكروا مثل القضاة وكانوا كالمفالس
وقيل إن امرأة كانت تكنس المساجد وكانت تسمى مسكينة فماتت فرثيت
في المنام فقيل لها ما حالك يا مسكينة فقالت هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغني
الأكبر .

فصل : واعلم أن من تذلل لله تعالى في دنياه رفعه الله في عقباه قال الله تعالى ﴿ وملكاً كبيراً ﴾ وجاء في التفسير أنه سبحانه يرسل الملك إلى وليه ويقول له استأذن على عبدي فإن أذن لك فادخل وإلا فارجع فيستأذن عليه من سبعين حاجباً ثم يدخل عليه ومعه كتاب الله مكتوب على عنوانه من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت فإذا فتح الكتاب وجد مكتوباً فيه عبدي اشتقت إليك فزرتي فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركبه فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق إلى أن يصل إلى بساط اللقا وأما الذين يخفضهم فهم أذل من التراب تطوهم الأقدام قال الله تعالى ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ .

* * *

(١) أي لا يبالي ولا يحتفل به .
(٢) جمع فتى وهو العبد .

في معنى اسمه « المعز المذل »

هما إسمان من أسمائه تعالى وصفات فعله فاعزازه للعبد يكون في الدنيا والآخرة فأما في الدنيا فيكون بالمال والحال فالمال لتجمل الظواهر . والحال لتزين السرائر . والمال يتحصل الإستغناء به من الأمثال والأشكال والحال يتحصل الإفتقار بها إلى من لم يزل ولا يزال فالإعزاز بالمال فيما بين الخلق والإعزاز بالحال على باب الحق . واعلم أن الله سبحانه وتعالى يعز الزاهدين بعزوب نفوسهم عن الدنيا ويعز العابدين بسلامة نفوسهم عن الرغائب والمنا ويعز أصحاب العبادات بسلامتهم عن إتباع الهوى ويعز المريدين بزهادتهم في صحبة الورى وانقطاعهم إلى باب المولى ويعز العارفين بتأهيلهم لمقامات النجوى ويعز المحبين بالكشف واللقاء واللقاء عن كل ما هو غير وسوى ويعز الموحدين بشهود جلال من له البقاء والبهاء .

فصل : واعلم أن إعزاز الحق لعباده يكون بصحة القناعة فإن المذل كله في الطمع وقيل أن العقاب يطير في الهواء في تصاعده فلا يرتقي طرف إلى مطاره ولا تسمو همة إلى الوصول إليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فيدليه الطمع من مطاره فتعلق الشبكة بجناحه فيصيده صبي ثم يلعب به ولولا الأطماع الكاذبة لما استعبد الأحرار بكل شيء لا خطر له وفي معناه أنشدوا :

المعز : الذي يهب العز وموجباته لمن شاء من خلقه لأهل الدنيا بالجاه والمال ولأهل الآخرة بالعلم وصالح الأعمال وذاكره بكرمه الله في الدنيا والآخرة ويكون محبوباً مهيئاً .
المذل : الذي يهين المتكبرين وقد أعد لهم جهنم وبئذ النفوس الطاغية بالجوع والفقر والمرض والضعف والمعاصي « ومن يهين الله فما له من مكرم » وذكره يورث الخوف من الله والتواضع وقهر النفس على معرفة الحق الكامخ بفتح الميم وربما كسرت معرب وهو ما يؤتدم به .

وخير رداء يرتديه ابن حرة
سلامة عرض لم يدنس بمطعم
وأنشدوا :

طمعت بليلى أن تجود وإنما
تقطع أعناق الرجال المطامع
وأنشدوا :

إذا أظماتك أكف اليا
م كفتك القناعة شعباً ورياً
فكن رجلاً رجله في الثرى
وهامة همته في الثريا
أبياً لقاءك ذا ثروة
تراه بما في يديه أبياً
فإن إراقة ماء الحيا
ة دون إراقة ماء المحيا
وأنشدوا :

وإني عفيف عن مطاعم جهة
إذا زين الفحشا للنفس جوعها

وقيل أن فتحا الموصلي كان قاعداً فسئل عن يتابع الشهوات كيف
صفته . وكان يقربه صبيان مع أحدهما خبز بلا أدام ومع الآخر خبز مع كامخ^(١)
فقال الذي لم يكن له كامخ لصاحبه أطعمني مما معك فقال بشرط أن تكون
كلي فقال له صاحبه نعم فجعل خيطاً في فمه وجعل يجره كما يقال الكلب فقال
فتح للسائل أما أنه لورضي بخبزه ولم يطمع في كاخحه لم يصر كلباً لصاحبه .
وقيل لولا الأطماع لما اندقت الأعناق .

فصل : وإذا أراد الله إعزاز عبد يقربه من بساطه وأهله لمناجاته وإذا أراد
الله إذلال عبد ربطه بشهواته وحال بينه وبين قربته ومخاطباته وأوحى الله تعالى
إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب
المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة . وحكي عن بعضهم أنه دخل على
تلميذ له فقدم التلميذ إليه خبزاً فقاراً ولم يكن له إدام فأخذ يتمنى بقلبه أن ليت
كان له إدام يقدمه إلى أستاذه فقام الأستاذ وقال تعال معي فحمله إلى باب

(١) الكافح بفتح الميم كسرت معرب وهو ما يؤتد به

السجين يرى الناس يضرب واحد ويقطع آخر ويعذب كل واحد بنوع من العذاب فقال الأستاذ للتلميذ ترى هؤلاء هم الذين لم يصبروا على التحيز القفار . وقيل إن رجلاً خرج من السجن وفي رجله قيد ويسأل الناس فقال لا لسان أعطني كسرة فقال له لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك . وحكي أن رجلاً شغل باب أمير فرأى الناس محجوبين عليه إلا خادماً كان يدخله بلا حجاب فسأل عن حاله فقيل دار الحرم متى شاء بلا حجاب فقال ولم ؟ فقالوا إنه مفقود آلة الشهوة فقال سبحان من وعظني بعد سبعين سنة بخصى . فمن أراد الدخول بلا حجاب فعليه بترك الشهوات .

فصل : ليس لعزيم من تطاول على أشكاله بماله ورياشه^(١) وانتظام أسباب معاشه . ويتطاول على أبناء جنسه ويعجب بسلامة نفسه . وينسى ما كان يقاسي في أمسه إنما العزيم من له ذرة من روح أنسه . وجنب عن صحبة نفسه . وأبناء جنسه . وشهود قدسه .

واعلم أن الدليل من اعتر بالعصيان . وتعود موجبات النسيان . واتصف بالكفر والظغيان فهو بأفاته موسوم . وبمخالفاته في أغلب أوقاته عن وجود توفيقه محروم ، فإن المشايخ قالوا ما أعز الله عبداً بمثل ما يدل على ذل نفسه وما أذل الله عبداً بمثل ما يردده إلى توهم عزة وقيل في معنى قوله تعالى ﴿ تعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾ تعز من تشاء بأن يكون لك بك معك بين يديك وتذل من تشاء بأن يكون في أسر نفسه وغطاء شهواته وسجن تمنيه وأفاته يصبح عجبواً ويمسي محروماً لا بالطاعات توفيق ولا بالقلب تصديق . ولا في الحال تحقيق . نعوذ بالله من شر الأقدار وسوء الإختيار وبالله التوفيق .

(١) الرياش بالكسر يقال في الحال والحالة الجميلة . مصباح .

في معنى اسمه « السميع البصير »

هما إسمان من أسمائه تعالى ورد بهما النص وانعقد عليهما الإجماع وسمعه وبصره صفتان له زائدتان على علمه بخلاف من خالف فيه من القدرية وهما إدراكان له فلا يخرج مسموع عن سمعه. ولا موجود عن بصره وحدهما يحدون أن يسمع ويرى على الحقيقة فهو الموجود وليس من شرط سمعه وبصره حلول في عضو واختصاص منه بجزء لأنه سبحانه أحدي الذات فردي الحقيقة غير منقسم في ذاته ولا متألف بشيء من أمثاله وسمعه وبصره لا يتعلقان بمعدوم لإستحالة أن يكون المعدوم مدركاً وأنه لا يحجب شيء عن بصره وسمعه يسمع السر والنجوى^(١) ويبصر ما هو تحت أطباق الثرى وكل من عرف من عباده أنه هو

السميع : المدرك للموجودات العليم بحركاتها وسكناتها فلا تصدر إلا عن تدييره وسمع أصواتها الحادثة بسمعه القديم المنزه عن مشابهة الحادث فلا تختلف عليه دعوات خلقه ولا يشتغل بشيء عن شيء سبحانه وتعالى ﴿ أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ وذاكره يخاف أن يظلم الناس ومن قرن ذكره باسمه تعالى العليم يكون أرجى لإستجابة الدعاء .

البصير : المدرك للموجودات العليم بحركاتها وسكناتها فلا تصدر إلا عن تدييره وبصر حركاتها الحادثة وكلياتها وجزئياتها ببصره القديم المنزه عن مشابهة الحادث ولا توارى منه ساء ساء ولا أرض أرضاً ولا شيء شيئاً . وذاكره يكون من أهل مراقبة الحق ويصفو باطنه حتى ينظر بنور الله ويكون من أهل الكشف .

ولله سبحانه وتعالى سبع صفات معان قائمة بالذات وهي الإرادة والقدرة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام . وقال أئمة الشريعة أمرها كما جاءت واختلف الأشاعرة مع المعتزلة فالأشاعرة جعلوا هذه الصفات واجبة كل صفة بذاتها وأما المعتزلة فجعلوا هذه الصفات مندرجة تحت صفة العلم . وأما حاسة اللمس والذوق والشم . فقال بعض الأشاعرة أن من صفاته الإدراك والإدراك تابع للعلم . . وبعضهم رد عليهم بأن الصفات توقيفية ولا يجوز زيادتها وأضافوا الإدراك إلى العلم فوقعوا فيما وقع فيه المعتزلة .

(١) النجوى المسارة .

السميع البصير فمن آدابه دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة وقيل إن رجلاً من الملوك كان له عبد وكان يقبل عليه أكثر مما يقبل على أمثاله ولم يكن أحسن منهم صورة ولا أكثر قيمة فتعجبوا منه وكان قد ركب الأمير يوماً في صحراء ومعه ندماءؤه وغلماناه فنظر إلى جبل من بعيد وعليه قطعة ثلج فنظر

الكل متفق على أن السمع بلا آلة وكذلك البصر وغيره بلا آلة ولكن المعتزلة قالوا إن صفة السمع أو البصر أو غيرها . إذا لم تكن بألة تتبع العلم . لأنهم لم يتصوروا أن تكون بغير آلة وتكون كل صفة وحدها .

والحقيقة أن قياسها على الحوادث قياس خاطيء لأننا لا ننظر إلا بالعين ولا نسمع إلا بالأذن ولا نشم إلا بالأنف ولا نتذوق إلا باللسان ولا نتكلم أيضاً إلا له ولا نلمس إلا بأداة اللمس وهي متجزأة . ولكن إذا أمعنا النظر وتحققنا نجد أن هذه الحواس لا تنظر ولا تسمع ولكنها توصل دقات كهربائية دقيقة وبسرعة مذهلة إلى المركز العام للروح وهي تميز السموعات والمبصرات وهي تميزها صوراً وأنغاماً وألواناً إلى غير ذلك مما يميزه الروح .

والتمييز في الروح غير متجزأ مع أنها محدثة ؟ . وأثبت العلم أن الموجات الأثيرية التي يشعها الجسم الإنساني أدق وحساس أكثر من أي موصل من الطاقة الذرية ولذلك الآن يستخدمون الطاقة الجسمانية في التوصيل إلى العقول الألكترونية وهي في أقصى أبعاد السموات ولا زال العلم يكشف عن إعجاز الله في خلقه وقدرته وأحكامه . وهذا مثل مع الفارق إذ لم يكشف سر الروح واضحاً على حقيقته لأن قال تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ ولكن جميع هذه الصفات بالنسبة لله موجودة ولكن ليست متجزأة فالسمع ليس متجزأ في الذات والبصر ليس جزءاً من الذات وكذلك غيره لأنه ذات واحدة غير متجزأة بالصفات ولما كان إدراك كنه الذات بعيد المثال . فلم يعقل المعتزلة أن يكون سمياً بذاته بصيراً بذاته . . . إلخ دون أن تنجزأ هذه الصفات بالذات فلم يقدروا على فهم ذلك وجعلوا كل صفة من هذه الصفات مضافة للعلم ولا يجرز الدخول في هذه المناقشات الكلامية . ويجب إثبات كل صفة لله تعالى دون التكلم في كيفية الذات وكيفية الإبصار أو السمع أو غيره لأنه لا يدري كنه ذاته إلا هو ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتابنا « نور الحى القيوم يظهر لباحث العلوم وتجريد التوحيد للجليل الجديد »

وهذه الصفات العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والكلام صفات قديمة بقدم الذات وأثرها يظهر عند الخلق والإيجاد فمثلاً البصر أزلي قديم ثابت لا يعتريه الإهتزاز أو النقص أو الزيادة أو تحجبه الظلمة أو يبهره النور وهو خالق الظلمة والنور ويصره إذا خلق أبصر جميع ما خلق والعلم صفة للذات غير السمع والبصر وغيرهما من الصفات ولم تنجزأ كلها بالذات فالذات واحدة ولها جميع الصفات فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الملك نظرة واحدة وأطرق فركض هذا الغلام دابته من غير أن ينظر الأمير إليه أو أشار بشيء عليه ولم يعلم الناس لما يركض فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء الغلام ومعه شيء من ذلك الثلج فسئل بما عرفت أنه أراد الثلج فقال لأنه نظر إليه ونظر الملوك إلى شيء لا يكون إلا على أصل فقال الأمير إنما أقبل على هذا أكبر من إقبالي على غيره بهذا الذي رأيتم لأن الكل مشتغلون بأنفسهم وهذا مشتغل بمراعاة أحوالي وأن من علامات من يعلم أنه السميع البصير أن يكون مستحياً من إطلاعه عليه وسمعه لما يقول، روي عن الصديق رضوان الله عليه أنه قال إني لأغتسل في الليلة الظلماء فأحني صليبي حياء من ربي ويقال إن عصيت مولاك فاعص في موضع لا يراك .

فصل : ومن الطاف الله سبحانه بعباده الذين يحفظون له سمعهم وبصرهم أن يكفيهم مؤنة أنفسهم ويصونهم في أحوالهم فتكون أسماعهم مصنونة عن سماع كل لغو^(١) وأبصارهم محفوظة عن شهود كل كبيرة وهو . روي في الخبر أن الله تعالى يقول ما تقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى يحبني وأحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً في سماع وي يبصر وهذا هو محل الحفظ ووصف التخصيص في العناية روي عن سهل بن عبد الله أنه قال مذ كذا سنة أنا أخاطب الحق سبحانه والناس يتوهمون أني أكلهم وفي معناه أنشدوا :

وظنوني مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مرادي

وهذا هو صفة الجمع الذي أشار إليه القوم أن لا يكون العبد لنفسه بنفسه بل يكون لربه بربه وإذا علم أن مولاة يسمع ما يقول ويرى ما يختلف به من الأحوال فإنه يكتفي بسمعه وبصره عن انتقامه وانتصاره فإن نصرة الحق سبحانه أتم له من نصرته لنفسه قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » ثم أنظر بماذا سلاه وكيف خفف عنه تحمل

(١) إخلاط الكلام .

أثقال بلواهم بما شغله به فأمره به حيث قال عن ذكره « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » أي إتصف أنت بمدحنا وثنائنا إذا تأذيت بسماع السوء فيك فاستروح بروح ثنائك علينا ثم أنه سبحانه لما قالوا له عليه الصلاة والسلام أنه مجنون تولى نفي ذلك عنه ورد عليهم فقال تعالى ﴿ ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ فنفى ذلك عنه بما أقسم عليه تحقيقاً لتنزيهه وتطهيراً لنعمته صلى الله عليه وسلم ثم عاب قائله بعشر خصال من الذم حيث قال « ولا تطع كل حلاف مهين » إلى قوله « عتل بعد ذلك زنيم » فإن رد الحق سبحانه الذي رد به عنه عليه الصلاة والسلام أتم من رده ذلك لنفسه .



في معنى اسمه « الحكم العدل »

الحكم هو الحاكم وحكمه خبره عن الشيء على وصف فيكون ذلك من صفات ذاته ويكون حكمه أيضاً بين عباده بشيء وهو أن يخلق ذلك الشيء على الوجه الذي يريد يقال حكم لفلان بالنعمة أي أنعم عليه وحكم على فلان بالمصيبة : إذا خلق الله له البلاء فيكون هذا من صفات الفعل وأما الوصف له بأنه العدل فيكون من صفات الذات على أن له أن يفعل في ملكه ما يريد فيشير إلى إستحقاقه لصفات العلو لأن حقيقة العدل أن يكون فعلاً حسناً صواباً وإنما يكون حسناً صواباً إذا كان لفاعله أن يفعله فهو عادل وأفعاله عدل وله أن يفعل بحق ملكه ما يريد في خلقه . حكى أن رجلاً جاء إلى سمنون وقال له ما معنى قوله تعالى ومكروا ومكر الله فأشدد سمنون :

ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاك

فقال الرجل نسألك عن آية من كتاب الله تعالى فتجيبني بيت شعر فقال له سمنون من أي بلد أنت فقال من الجبل فقال له من الذين هم في الناس كالكرات في البقل لم أجبك بيت لقصوري في الجواب ولكن أردت أن أبين لك أن في أقل القليل أدل دليل على ما سألت يخليته إياهم مع مكرهم مكره بهم فمن علم أنه العدل لم يستبج منه موجوداً ولم يستقل منه حكماً بل يستقبل حكمه بالرضى ويصبر تحت بلاياه بغير شكوى ولم يضق بتحمل بلاياه قلباً ووسع بمقاساة مفاجأة تقديره صدرأ . يحكى عن أبي عثمان المغربي أنه قال قلوب العارفين أفواهاها^(١) فاغرة لمفاجأة القدر .

(١) أي مفتحة .

فصل : واعلم أن الله تعالى حكم في الأزل لعباده بما شاء فمنهم شقي وسعيد وقريب وبعيد فمن حكم له بالشقاوة لا يسعد أبداً ومن حكم له بالسعادة لا يشقى أبداً ولذا قالوا من أقصته السوابق لم يدنه الوسائل وقالوا من قعد به جده لم ينهض به جده وقيل إذا كان الرضى والغضب صفة أزلية فلما تنفع الأكمام المعقدة والأقدام المورمة والوجوه المصفرة وقيل إن بعض الأكابر كان قاعداً فمر به تابوت يهودي أوصى بأن يدفن في بيت المقدس فقال ذلك الشيخ أيكابرون الأزل أما علم هؤلاء أنهم لو دفنوا هذا في فراديس العلا لجاءت لظى بأنكالها^(١) وحملته إلى نفسها . وكان الدقاق رحمه الله كثيراً ما ينشد :

ما حيلتي تفعل الأقدار ما أمرت والناس من بين ذي غي وذي رشذ

واعلم أن الناس على أربعة أقسام أصحاب السوابق فتكون فكرتهم أبداً فيما سبق لهم من الله سبحانه يعلمون أن الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبد سمعت الدقاق يقول سمعت بعضهم يقول كان الواسطي رحمه الله يصيح ليلة إلى الصباح فلما أصبح قيل له ما أصابك فقال سمعت البارحة رجلاً يقول أيا راهبي نجران ما فعلت هند فقلت في نفسي ما الذي سبق لك من الله تعالى في الأزل وطائفة ثانية هم أصحاب العواقب يتفكرون فيما يحتم به أمرهم فإن الأمور بخواتيمها والعاقبة مستورة ولهذا قيل لا يغرركم صفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات وقيل ظلال الأسته تلوح من خلال المنة^(٢) فكم من ربيع تتورد أشجاره وتظهر ثماره وأزهاره ووطن عليه أهله قلوبهم فلم يلبثوا أن أصابته جائحة سماوية فطاح واضمحل قال الله سبحانه أتاهما أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كان لم تغن بالأمس وكم من مريد لاحت عليه أنوار الإرادة وظهرت عليه آثار السعادة وانتشر صيته في الأفاق وعقدت عليه الخناق بالأطباق . وظنوا أنه من جملة أوليائه وأهل صفائه . فأبدل بالوحشة صفاوة . وبالغيبة ضياؤه وأنشدوا :

(١) الإنكال جمع نكل بكسر النون وهو القيد الثقيل .

(٢) الخلال جمع خلل كجبل الفرق بين الشيتين .

أحسنت ظنك بالأيام إذا حسنت
وسالمتك الليالي فاعتزرت بها
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وعند صفو الليالي يحدث الكدر
وقيل أيضاً في معناه :

يا سائلي كيف كنت بوري
ما زلت أحتال في رضاه
لقيت ما ساءني وسره
حتى أمنت الزمان مكره
لم يبق مما شهدت ذره
صال على الصدود حتى

سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول كان بعض المشايخ له حالة مع الله جميلة فلم ير مدة رثي بعد زمان لم يكن على ما عهد عليه قبله من صفاء الوقت فقيل له يا أبا فلان إيش أصابك فقال آه حجاب وقع . والطائفة الثالثة هم أصحاب الوقت لا يشتغلون بالفكر في السوابق والعواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت وأداء ما كلفوا من أحكام الوقت فيكون الغالب عليهم هذا . وقد قيل العارف ابن وقيل لبعضهم تكلم فقال : حتى أجد إنساناً فقيل له ومن تريد فقال من لا يهيمه ماضي وقته ولا آتية بل يهيمه وقته الذي هو فيه . وقيل الصوفي من لا ماضي له ولا مستقبل . وسمعت الشيخ منصور المغربي يقول : رأى بعض الفقهاء أبا بكر الصديق فقال أوصني فقال كن ابن وقتك . وأما الطائفة الرابعة فالغالب عليهم ذكر الحق سبحانه فهم مأخوذون بشهود الحق على مراعاة الأوقات لا يتفرغون إلى مراعاة وقت وزمان ولا يتطلعون لشهود حين وأوان . قال عبد الله بن يوسف دخلت على بعض المشايخ بهراة فأردت أن أقوم من عنده فقال لي تخرج فقلت لا أشغل في وقت الشيخ أكثر من هذا فقال يا بني أنا لست للوقت الوقت ما شغلني به ربي وفي معناه أنشدوا :

لست أدري أطال ليلى أم لا
لو تفرغت لاستطالة ليلى
كيف يدري بذاك من يتقلى
ولرعي النجوم كنت مغلا
إن للعاشقين عن قصر الليل
وعن طوله من الهجر شغلا

ومحكى عن الجنيد أنه قال دخلت على السري يوماً وقلت له كيف

أصبحت ؟ فأنشأ يقول :

مسا في النهار ولا في الليل لي فرج ولا أبالي أطال الليل أم قصرا
ثم قال : ليس عند ربكم صباح ولا مساء . أشار بهذا إلى أنه غير متطلع
للأوقات . بل هو مستغرق بشهود الموقف عن الحالات والتيارات . وفي معناه
أنشد :

لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا أكون إن كنت أدري كيف لم أكن
كن لي كما كنت لي في حين لم أكن يا من به صرت بين الرزء والحزن

وربما يزيد المعنى ويغلب على صاحب هذا النعت حتى يصير فانياً عن كل
إحساس وحتى يفنى عن فئاته قال الله سبحانه : ﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم
رقدون ﴾ . وحكي أن رجلاً دق الباب على أبي يزيد فقال إيش تريد ؟ فقال أبا
يزيد فقال ليس في الدار أبو يزيد . وحكي أن رجلاً قال للشعبي أين الشبلي ؟
فقال مات لا رحمة الله . وقيل إن ذا النون المصري بعث رجلاً يتعرف له أحوال
أبي يزيد البسطامي ويصفها له لما تناهى إليه أحباراه فحضر الرجل بسطام
واستدل على أبي يزيد فدل عليه وهو في مسجده فدخل عليه وسلم فقال إيش
تريد ؟ فقال : أريد أبا يزيد فقال أبو يزيد أين أبو يزيد أنا في طلب أبي يزيد .
فقال الرجل في نفسه : هذا مجنون لقد ضاع سفري فرجع إلى ذي النون
ووصف له ما رأى وسمع فبكى ذو النون وقال : أخي أبو يزيد ذهب في
الذاهبين في الله . سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول في قوله تعالى مخبراً عن
إبراهيم « إني ذاهب إلى ربي سيهدين » قال كان ذاهباً في الله فلماذا صار ذاهباً
إلى الله فذهابه في الله أوجب ذهابه إلى الله تعالى . واعلم أن هذه الألفاظ توهم
ظواهرها وإنما يقف على معانيها ومرمى القول فيها من جمع بين حقائق الأصول
وبين شيء من علوم هذه الطائفة وتحقق ولو بشظية من معانيه وإلا وقع في
الاعتراض على السادة وتعود بالله من تلك العقوبة .

في معنى إسمه « اللطيف »

إعلم أن اللطيف إسم من أسمائه نطق به القرآن . قال الله تعالى : ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ واللطيف في اللغة له ثلاث معان أحدها أن يكون عالماً بدقائق العلوم وغوامضها ومشكلاتها . يقال فلان لطيف الكف إذا كان حاذقاً في صنعته ماهراً بما يشكل على غيره واللطيف هو الشيء الصغير الدقيق وهو ضد الكثيف يقال لطف يلطف فهو لطيف إذا صغر ودق ويقال لطف يلطف إذ رفق به وأوصل إليه منافعه من حيث لا يعلم هو ولا يقدر عليه برفق منه فاللطيف هو الدقيق ضد الكثيف وهذا المعنى في وصفه مستحيل واللطيف هو العليم بدقائق الأمور ومشكلاتها وهذا في وصفه واجب واللطيف المحسن الموصل للمنافع برفق وهذا في نعته مستحق وهذا من صفات فعله وقوله تعالى الله لطيف بعباده يشمل المعنيين جميعاً أن يكون عالماً بهم وبمواضع حوائجهم يرزق من يشاء كما يشاء ولطيف بهم يحسن إليهم ويتفضل عليهم ويرفق بهم .

فصل : وإذا حملت قوله الله لطيف بعباده على صفات الذات وأنه بمعنى العالم بخفايا أمورهم فالآية تشير إلى تخويف ما لأنه العليم بخفيات الإلتفاتات ودقائق اللحظات . قال الله تعالى ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ فيوجب قبض العبد ويذكره لوصف الإطلاع . وإن كثير من الناس يتوهمون أن لهم ظاعات يستحقون عليها درجات وكرامات فإذا حصل ذلك ظهرت الآفات

اللطيف : الذي يعلم بواطن الأمور وخفياتها ويصور الشيء في قالب ضده بحكم تدييره ولطف تصويره فيجعل النعمة وبهم الأمر على خلقه رحمة بهم ليزدادوا خوفاً ورجاءاً وحباً في الله ورجوعاً إليه فلا يؤمن مكره ولا ييحد. فضله « إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم » وذاكره يكون ملطوفاً به في القدر ملحوظاً بالعناية كثير الأرزاق ومن داوم على ذكره تنكشف له بواطن الأمور ولا يبرز ذكره إلا بإذن من شيخ عارف

قال الله تعالى ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنئاً ﴾ قال المشايخ لكم من الآفات في الطاعات ما يمنعكم عن إرتكاب المخالفات وأن المفلس حقاً من ظن أن موسر ثم يبان له إفلاسه عند تصفح ديوانه .

فصل : وقد قيل من لطفه سبحانه وتعالى بعباده أنه أعطاهم فوق الكفاية وكلفهم دون الطاقة قال الله سبحانه وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة والأسبغ ما يفضل عن قدر الحاجة وقال في صفة التكليف وما جعل عليكم في الدين من حرج^(١) وقال عز ذكره ويضع عنهم أصرهم والأغلال^(٢) التي كانت عليهم وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وإبشروا ولا تنفروا وأنه تعالى لما أوجب على العبد في اليوم واللييلة خمس عملوات لم يكلفه أن يودبها دفعة واحدة بل جعلها عليه منجمة فصلاة يومك لم يقبضها منك دفعة واحدة وأعطاك من الرزق ما يكفيك لسنين كثيرة وأنت تشكو وتتهم حكي أن رجلاً جاء إلى بعض الصالحين وقال إلى كم تقولون إنه يوسع الرزق ومد كذا يوم لم يكن في داري شيء ولم يطعم عيالي شيئاً حتى بعث شيئاً ورثته عن أبي وورثه أبي عن جدي فقال الرجل الصالح يا ضعيف اليقين والنظر ويا قليل الفتوة والعبير كذا وكذا سنة قبضت منه هذا الرزق وأنت تشكوه وتتهمه ، زمن لطفه بعباده أن يوصل اليهم ما يحتاجون إليه من غير تجسم كلفة فإن الرجل إذا أكل لقمة فلو فكر فيها لعلم كم عين سهرت في تلك الليلة حتى صلحت لتناوله من عامل أصلح الأرض لزراعتها ثم لإلقاء البذر فيها ثم لسقيها ثم لحصاها ثم لتنتقيتها ثم لطحنها ثم لخبزها وهكذا كل شيء يرتفق به من ملبوس ومشروب ومطعم فلو احتاج إلى ممارسة تلك الأشياء للحقه من المشقة ما لا طاقة له به ومن لطفه بعباده توفيق الطاعات وتسهيل العبادات وتيسير الموافقات إذ الولا ذلك لكان للمخالفات مرتكباً وفي الزلات

(١) ضيق .

(٢) الشدائد .

منهمكاً. ثم من لطفه بالعباد حفظ التوحيد في القلوب وصيانة العقائد عن الإرتياب وسلامة القلوب عن الإضطراب قال الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فإن بقاء المعرفة بين وحشة الزلة أعجب من إخراج اللبن من بين الفرث والدم ولكن جرت سعتة سبحانه وتعالى بحفظ كل لطيفة بين كل كثيفة بل أجرى سنته باخفاء الودائع في مواضع مجهولة وكما أنه جعل الحجر الصلد معدن الذهب والفضة وكثير من الجواهر كذلك جعل القلوب معادن العقائد الصافية والمعارف الصحيحة وكما جعل الغار للمصطفى وللصديق مأوى والجب ليوسف مشوى والصدف للدر درجاً والنحل للعسل مكاناً والدود للإبريسم محلاً كذلك جعل قلب العبد لمحبتة ومعرفته مستقراً . حكى عن ذي النون أنه قال رأيت رجلاً شهد له قلبي بالولاية وتقدرته نفسي فبقيت بين قلبي ونفسي فنظر إليّ وقال ياذا النون الدر وراء الصدف ومن لطفه بالعباد أنه يوفقهم لذكره والرجوع إليه ومناجاته ورفع الحوائج بحضرته ودوام المناجاة معه متى شاؤوا مع كثير ما يتعاطونه من مخالفة أمره فسبحانه ما أحلمه على العاصين وأكرمه للمؤمنين .

* * *

في معنى اسمه « الخبير »

الخبير إسم من أسمائه ورد به الكتاب وهو بمعنى العليم وخبرت الشيء أخبره فأنا به خبير واختبرته أي خبرته والخبير في غير هذا الموضع زبد أفواه الإبل والخبير الأكار والمخابرة اكتراء الأرض ببعض ما يخرج منها وهو مأخوذ من الخير والخبير أيضاً العذق ويقال خبرت خبيراً أي علمت وجدته خبيرة إذا تلوته وجربته وقد يكون الخبير في وصفه تعال بمعنى المخبر وفعل بمعنى المفعول كثير في كلام العرب ويكون العليم والخبير من صفات ذاته فإذا علم العبد أنه خبير بأحواله فبالحري أن يكون متصاوفاً أقواله وأفعاله واثقاً بجميل إختباره سبحانه متحققاً بأن ما قسم له لا يفوته والذي لم يحكم له به لا يدركه وإنما تنحصر الأحوال على من كان غائباً عن شهود التقدير فيضيف بعض الحادثات إلى الخلق ويرى البعض من الحق فأما من رأى الأشياء كلها من الحق سبحانه فإنه تهون عليه الأمور من وجه وتصعب من وجه لأنه يعلم أنه يعد أنفاسه ويعلم ظاهره وحواسه حكي عن بعضهم أنه قال قصدت الخواص في بعض أوقات أصابتي فيها فاقة ومجاعة وكان معي جماعة أصابهم من المجاعة ما أصابني فقلت في نفسي أباسط الشيخ في أحوالي وأحوال هؤلاء الفقراء قال فلما وقع بصر الخواص عليّ قال لي الحاجة التي جئتني فيها الله عالم بها أم لا فقلت بل هو عليم بها قال إذاً فادفعها إليه قال فسكت ثم انصرفت فلما وافيت المنزل فتح علينا بأرزاق كفتنا ذلك اليوم وإذا علم العبد أنه سبحانه مطلع على سره عليم بأمره يكتفي من سؤاله برفع همته إليه وإحضار الحاجة بقلبه لربه من غير أن ينطق بلسانه أو يعرب ببيانه حكي أن رجلاً جاء إلى أبي يزيد البسطامي وقال أيها الشيخ أن الناس قد احتاجوا إلى المطر فادع الله يرزقهم ذلك قال أبو يزيد أغلام أصلح الميزاب فلم يفرغ الغلام من إصلاح الميزاب حتى جاء ولم يتكلم بشيء وحكي أن رجلاً ولد له مولود ببغداد بالليل

ولم يكن له شيء فخرج إلى معروف الكرخي وكان في مسجده فذكر له حاله فقال أقعد
هناك فظهر له مشغل من الدجلة فلم يزل يقرب منه حتى انتهى إلى مسجده معروف
فإذا بخادم معه صرة فقال أنا قهرمان من دار الخليفة بعثني بهذه الدنيا إليك لتصرفها
في أمر من تريد فقال ادفعتها إلى ذلك الرجل فقال أنها ثلاثمائة دينار كأنه استكثر
دفعتها إلى رجل واحد فقال له معروف كذا أردنا أن تكون .

فصل : وإذا علم أنه خبير بأحواله علم أن الله أحصي ما عمله وإن كان قد
نسيه فيحصل له من تذكر علمه من الخجل ما يحشمه وربما تذهب روحه فيه فيتلفه
حكي أن رجلاً فكر في نفسه وقال كم عمري ثم عد ذلك قال كم تكون شهوراً فعد
ذلك ثم عد الأيام فقال كم يوماً يكون فبلغ ألوفاً فقال لو لم أعص في كل يوم إلا
معصية واحدة لكان ذلك كذا وكذا ألف زلة فكيف وفي كل يوم اجترحت زلات
كثيرة فخنقته العبرة وزهقت نفسه فمات رحمه الله عليه .



في معنى اسمه « الحليم »

الحليم إسم من أسمائه ورد به القرآن واختلف الناس في معناه فقال بعضهم الحلم تأخير العقوبة عن المستحقين فهو حليم على معنى أنه يؤخر العقوبة عن المستحقين ويكون هذا من صفات أفعاله يوصف به فيما لا يزال وقال بعض أهل الحق حلمه إرادته لتأخير العقوبة فهو من صفات ذاته لم يزل حليماً ولا يزال ويقال في اللغة حلم^(١) بضم اللام يحلم حلماً فهو حليم وحلم بفتح اللام نحلم حلماً إذا رأى في المنام شيئاً وجمع الحلم أحلام وكذلك^(٢) جمع الحلم وحلم الأديم بكسر اللام يحلم حلماً فهو حليم إذا وقع فيه دود وحلمت فلاناً إذا جعلته حليماً وحكمت بحلمه وحلم الغلام إذا صار سميماً فصرف هذا اللفظ في اللغة على أوجه والله تعالى يريد تأخير العقوبة عن بعض المستحقين ثم قد يعذبهم وقد يتجاوز عنهم وأنه تعالى يجعل العقوبة لبعضهم والأمر فيه على ما سبق عليه الحكم وتعلقت به الإرادة والعلم وأنه تعالى إذا أخرج العقوبة عن المستحقين فبفضل منه سبحانه يخصصهم به حكيم أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما رأى ملكوت السموات والأرض رأى عاصياً يعمل معصية فقال اللهم أهلكه فأهلكه الله فرأى انساناً آخر يعصي فقال اللهم أهلكه فأهلكه الله فرأى ثالثاً يعصي فقال اللهم أهلكه فأهلكه الله فرأى رابعاً يعصي فقال مثل ذلك فأوحى الله إليه كف يا إبراهيم فلو أهلكنا كل عاص رأيناك لم نبق منهم أحداً

الحليم : الذي لا يعجل بالانتقام ويتنظر توبة عبده ويمهل الظالم فإذا أخذه لم يفلته ويؤخر ثوابه الجزيل للدار الآخرة كل ذلك اقتضته حكمته البالغة . وذاكره يكون حسن الخلق قوي الجاه حكيماً في أفعاله .

(١) بمعنى الإفادة والعقل .

(٢) ومنه قوله تعالى ﴿ لم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ .

ولكننا بحلمنا لا نعدبهم فأما أن يتوبوا وأما أن يصروا فلا يفوتنا شيء وحكى أن رجلاً قال لبعض الأنبياء كم أخالفه وأعصيه ولا يعاقبني فأوصى الله إلى ذلك النبي قل لفلان ذلك لتعلم أي أنا وأنت أنت وقد يكون من معلوم الله تعالى من أحوال بعض العصاة أنه يتوب ويحسن حاله فيحلم عنه في الوقت لأنه يعلم أنه يصير من جملة أوليائه في مآله وأنشدوا :

إذا فسد الإنسان بعد صلاحه فرج له عود الصلاح لعله

يحكى عن مالك بن دينار أنه قال كان لي جار مسرف على نفسه وكان يتعاطى الفواحش وتبرم به الجيران^(١) فأتوني شاكين به منظمين منه فأحضرناه وقلنا له إن هؤلاء الجيران يشكونك فسيبك أن تخرج من المحلة فقال أنا في منزلي لا أخرج فقلنا تبيع دارك فقال لا أبيع ملكي ولا يمكنكم تخرجوني منه فقلت نشكوك إلى السلطان فقال إن السلطان يعرفني وأنا من أعوانه فقلت ندعو الله عليك فقال الله إرحم بي منكم فغاطني ذلك فلما أمسيت قمت وصليت فلما فرغت من الصلاة دعوت عليه فهتف بي هاتف لا تدع عليه فإن الفتى من أولياء الله قال فلما أصبحت جئت باب داره ودققته عليه فلما خرج ورأني ظن إني جئت لأخرجه من المحلة فقال كالمعتذر فقلت ما جئت لذلك ولكن رأيت كذا وكذا قال ودمع عليه البكا وقال إني تبت بعدما كان هذا قال وخرج من البلد ولم أره بعد ذلك قال فاتفق أي خرجت إلى الحج فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمت إليهم فرأيت ذلك الشاب عليلاً مطواعاً قال فلم ألبث حتى قالوا قضي الشاب رحمه الله .

فصل : وإنما يلذ حلمه لرجاء عفوهِ لأنه إذا ستر في الحال بفضله فالمأمول منه أن يعفو في المآل بلطفه وفي بعض الحكايات أن بعضهم رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أعطاني كتابي يميني فمررت بزلة استحيت أن أقرأها فقال لا بد من قرائتها فقلت إلهي لا تفضحني فقال حين عملتها ولم تستح لم أفضحك

(١) أي تضجروا منه .

أفأفضحك وأنت تستحي . ومن حلمه أنه لا يستفزه عصيان العاصين ولا يحملة
على سرعة الإنتقام تهتك الخاطئين فيحلم حتى يظن الجاهل أنه ليس يعلم ويستتر
حتى يتوهم الغمر^(١) أنه ليس يبصر .

* * *

(١) الغمر هو الذي لم يجرب الأمور .

في معنى اسمه « العظيم »

العظيم إسم من أسمائه ورد به نص القرآن وانعقد عليه الإجماع ومعناه عند أهل الحق يرجع إلى إستحقاقه لصفات العلو والمجد ورفعة القدر فهو عظيم القدر رفيع النعت جليل الوصف . واعلم أن العظيم في اللغة لا يكون إلا بأحد أمرين إما بعظم الذات في الجرم ويعود ذلك إلى كثيرة الأجزاء . وأما بعظم القدر فأما عظم الأجزاء في وصفه تعالى فمحال فوجب أن يكون بمعنى استحقاق علو الوصف وأوصاف التعالي كإستحقاق القدم ووجوب الوحدانية والإنفرد بالقدرة على الإيجاد وشمول العلم لجميع المعلومات وتعلق القدرة بجميع المقدورات ونفوذ الإرادة في المتناولات وإدراك السمع والبصر لجميع السموعات والمرئيات واستغنائه عن الأنصار والأعوان وتقديسه عن الأقطار والأزمان وتنزه ذاته عن قبول الحدثنان فسبحانه من عزيز لا تصدره عن ولا تلاصقه إلى ولا تحده كيف ولا يقابل بكم ولا يجبر عن نفسه بما ولا يستخبر عن حقيقته بأين ولا يرتقي وهم إلى تصويره ولا يطمع فهم في تقديره ولا يلحقه كنه ولا يماثله شبه فأما قول المخالفين من الكرامية أن معنى العظيم في وصفه أنه يلاقي من وجه واحد من المخلوقات أكثر من آخر فهو خطأ لأنه غير معقول من قول أهل اللغة ولا هو صحيح في العقول وأما من سلك في وصف عظمته بذكر بعض مقدوراته مما نطق به القصص والروايات فإن ذلك شرح النعت الأذن من عظمته وإن كانوا قد قالوا ذلك . يحكى أن بعض المشايخ سئل عن عظمته فقال ما تقول

العظيم : الذي ليس لعظمته بداية ولا لكنه جلاله نهاية ولا يتصوره عقل ولا يستمد العظمة مما سواه واجب الوجود لذاته « وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم » . وذاكره يرى نفسه حقيراً فلا يقرب من الله العلي العظيم إلا بالتخلق بما يرضاه فيعلو شأنه ويستقيم أمره .

فيمن له عبد واحد يسمى جبريل له ستمائة جناح لو نشر منها جناحين لستر الخافقين^(١) وهذا وإن كان صحيحاً فإن من عرف أن مقدوراته لا نهاية لها علم أنه لو أراد أن يخلق في لحظة ألف ألف عالم لم يكن ذلك عليه بأشد من خلق بقرة ولا خلق البقرة عليه أهون من خلق ألف عالم لأنه سبحانه وتعالى منزه عن لحوق المشقة ونيل الراحة لأن الراحة والمشقة من نعوت المخلوقات ويتعالى عن ذلك خالق الأرضين والسماوات وقد جاء في بعض الأخبار أن ملكاً من الملائكة قال يا رب إني أريد أن أرى العرش فخلق الله له ثلاثين ألف جناح وطار ثلاثين ألف سنة فقال الله سبحانه هل بلغت إلى أعلى العرش فقال يا رب لم أقطع بعد قائمة من قوائم العرش فاستأذن أن يعود إلى مكانه فأذن له وقيل إن سليمان عليه السلام سأل من الله تعالى أن يأذن له أن يضيف يوماً جميع الحيوانات فأذن الله له فيه فأخذ سليمان في جمع الطعام مدة طويلة فأرسل الله سبحانه حوتاً من البحر فأكل جميع ما أعده سليمان حتى أتى على جميع ما أعده في طول تلك المدة ثم استزاد منه فقال سليمان لم يبق لي شيء وقال له أنت تأكل كل يوم مثل هذا فقال رزقي كل يوم ثلاثة أضعاف هذا ولكن الله تعالى لم يطعمني اليوم إلا ما أطعمتني أنت فليتك لم تضفني فإني بقيت اليوم جائعاً حيث كنت ضيفك وقيل إن موسى عليه السلام أراد أن يرى السمك الذي عليه العالم فأمره الله أن يأتي شاطئ البحر فأتى موسى شاطئ البحر فصعد سمك من البحر فأخذ يصعد نحو السماء ثلاثة أيام متصلة فضاق قلب موسى فقال إلهي أهو مثل هذا السمك فأوحى الله تعالى إليه أنه يأكل كل يوم ألف سمك أمثال هذا قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو ثم أعظم مما جرى ذكره من مخلوقاته تعالى همه العارفين التي تتضع وتتلاشى فيها جملة المقدورات فضلاً عن المخلوقات سبحانه ما أعظم شأنه .

* * *

(١) الخافقين المشرق والمغرب .

في معنى اسمه « الغفور الشكور »

الغفور إسم من أسمائه تعالى مضى ذكره فيما تقدم من معنى الغفار وتكلمنا في معنى المغفرة بما حصل به الإقتناع وأما الشكور فقد ورد به القرآن في وصفه تعالى قال الله سبحانه ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ والشكور مبالغة من الشاكر والشاكر من له الشكر وتكلم الناس في معنى الشكر فقال أهل الحق حقيقة الشكر الإعتراف بنعمة المنعم على سبيل الخضوع لأن الرجل قد يعترف بنعمة غيره على سبيل الإستهزاء به فلا يقال إنه شكره ولهذا قالوا إن حقيقة الشكر الإعتراف بنعمة المنعم على طريق الخضوع قالوا والله سبحانه سمي نفسه شكوراً على معنى أنه يجازي العبد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكراً كما سمي جزاء السيئة سيئة في قوله تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ ويصح أن يقال وهو الذي اختاره وأرتضيه أن حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه ثم العبد يثني على الرب بذكر إحسانه الذي هو نعمته فيكون ثناؤه عليه شكره له فعلى هذا التأويل معنى إسمه الشكور المبالغة في الوصف له بالثناء على عهده ومدحه له بذكر إحسانه وطاعته وقيل إن الشكور في وصفه بمعنى أنه يعطي الثواب الكثير على اليسير من الطاعة والعرب تقول دابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطي من العلف وناقاة شكرى وشكرى إذا

الغفور : الذي يغفر الذنوب العظام ولا يقفل بابه عن التائبين ثم يدلل سيئاتهم حسناً
 « إن ربنا لغفور شكور » وذاكره يرى حلاوة التوبة وحسن المغفرة .

الشكور : الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويجازي عن القليل من العمل الصالح بالكثير من العطاء وحسن الثواب ويزيد الشاكرين من واسع عطائه وذاكره يرى الخير العاجل والنعمة السابغة ويشفى من سقمه قال الله سبحانه وتعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ وقال ﴿ ليوفيهن أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ .

كانت ممتلئة الضرع ونبت شكور إذا كان يجتزي بيسير من الماء ويقال كثر شكير الرجل أي عياله وشكير الشجر القضبان التي تنبت في أصل الشجر فإذا الأصل فيه الزيادة في اللغة على وصف مخصوص على ما جرى بيانه في هذه الألفاظ والله تعالى يجازي العبد على اليسير من الطاعات بالكثير من الدرجات قال الله تعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ والله سبحانه أنعم على العباد بجميع ملاذ الدنيا وكرائمها ثم عد ذلك قليلاً فقال قل متاع الدنيا قليل ويقبل اليسير من طاعة العباد ويثني عليهم بالكثير قال تعالى ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴾ وترى كم كان عمرهم حتى عد ذكرهم كثيراً وكذلك شكر لصاحب موسى حيث خطا لأجله خطوات فقال عز اسمه ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ جاء في التفسير أنه جاء من قرب . وفي بعض الحكايات أن رجلاً رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أقامني بين يديه وقال لم خفتني كل ذلك الخوف أما علمت أني كريم . وحكي أن رجلاً رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبني فخفت كفة حسناتي فوقع فيها صرة فثقلت فقلت ما هذا فقال كف تراب ألقيتها في قبر مسلم فرجح بذلك المقدار ميزانك . وحكي أن رجلاً من الصالحين كان يصلي الصلوات بالجماعة في المسجد فضعف عن الحركة فكان يأمر بأن يحمل إلى المسجد فمات فثري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال شيخ لم تعنيت كل ذلك العنا .

فصل : ومن آداب من علم أنه شكور فليجد في شكره ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصر والشكر على أقسام فشكر بالبدن وهو أن لا تستعمل جوارحك إلا في طاعته وشكر بالقلب وهو أن لا تستغله بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو أن لا يستعمله في غير ثنائه ومدحه وشكر بالمال وهو أن لا تنفقه في غير رضاه ومحبه وقيل الشكر هو أن لا تستعين بنعمه على معاصيه ومن إمارات الشكر وجود الزيادة في النعمة قال الله تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ولهذا قيل الشكر قرع باب الإستزادة من النعمة وقال تعالى ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ قال بعضهم هم الأكثرون وأن قلوا ومواضع الأنس حيث حلوا

وقال بعضهم قليل من عبادي من شهد النعمة منى ومن حقيقة الشكر الغيبة عن
شهود النعمة لشهود المنعم .



في معنى اسمه « العلي الكبير »

هما إسمان لله تعالى ورد بهما القرآن والإجماع قال الله تعالى ﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾ وليس علوه علو جهة ولا إختصاصاً ببقعة ولا هو كبير بعظم جته وكثرة بنيه بل العلي وصفه وهو إستحقاقه لنعوت الجلال والكبرياء نعتة وهو إستيجابه لصفات الكمال ولم يزل الله تعالى علياً . ومن الآفات والنقائص برياً ولا يقال في وصفه كبر يكبر ومن علوه وكبريائه أنه لا يصير بتكبير العباد له كبيراً أو بإجلالهم له جليلاً بل من وفقه لإجلاله فبتوقيفه أجله ومن أيده لتكبيره وتعظيمه فقد رفع محله . لا يلحقه نقص فينجز ذلك بتعظيم المخلوقين ولا ينزل بساحته وهن فينتفي ذلك بتوحيد عباده العابدين فهو العزيز الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يتوجه عليه سنة ولا يوم ولا من حق من عرف عظمته أن يذل لحقه ويتواضع بين خلقه فإن من تذلل لله في نفسه . رفع الله قدره من أبناء جنسه . وقيل في بعض القصص أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام فقال له تدري لم رزقتك النبوة فقال يا رب أنت أعلم به فقال له تذكر اليوم الذي كنت ترعى الغنم بالموضع الفلاني فندت شاة فعدوت خلفها فلما لحقتها لم تضربها وقلت لا يا مسكينة اتعبتني وأتعبت نفسك فحين رأيت منك تلك الشفقة على ذلك الحيوان رزقتك النبوة وقيل في بعض القصص أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن يأتي الجبل ليسمعه كلامه عليه فتطاول كل جبل طمعاً أن يكون

العلي : الذي تتطلع إليه جميع الأبصار وله المثل الأعلى ولا يصل إليه الأذى « رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفي على الله منهم شيء ان الملك اليوم لله الواحد القهار » . وذاكره تعلقه به وخاف ربه .

الكبير : الذي لا يسعه مكان ولا يحويه زمان الكبير المتعال يقف لديه العظماء والمتكبرون صاغرين « فالحكم لله العلي الكبير » وذاكره بنال الهية والقبول وصفاء الباطن ويقضي دينه .

علاً لموسى وتصاغر طور سينا في نفسه وقال متى استحق أن أكون محلاً لقدم موسى في وقت المناجاة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أتت إلى هذا الجبل المتواضع الذي ليس يرى لنفسه استحقاقاً وقد قيل حقيقة الإجلال أن ترى الكل دونه بعين الإقلال . فكما لا تثبت لنفسك قدراً . فكذلك لا ترى للمخلوقين مع قدرته^(١) بالإضافة إلى علوه خطراً .

فصل : واعلم أن حقيقة التواضع هو قبول الحق ممن قاله والتكبر هو جحد الحق قال الله تعالى ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ﴾ .

فصل : حكى أن خالد بن مقول قال له رجل اتق الله فالصق خده بالتراب وقال حباً وكرامة وروي أن بلالاً شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر وقال له عيرني بالسواد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر ما عملت أنه بقي في قلبك شرف الجاهلية فوضع أبو ذر خده على الأرض وحلف أن يضع بلال قدمه على خده . وحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال ما سررت في الإسلام إلا مررات معدودة كنت في مركب يوماً وكان فيه رجل يحكي الحكايات المضحكة فضحكت منه الناس وكان يقول رأيت وقتاً في معركة الترك علجا ففعلت به هكذا وكان يأخذ بلحيتي ويمس يديه على حلقي والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده أحد أصغر ولا أحقر مني فسررت بذلك . ويوماً آخر كنت جالساً فجاء إنسان فبال عليّ ويوماً آخر كنت جالساً وجاء إنسان فصفعني من غير سبب وإنما كان سروره بأن قلبه لم يستوحش منهم ولم يجرد عليهم ولم يتغير لسوء ما قابلوه به لأنه سرُّ يبيح أفعالهم وفي الخبر كرم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره .



(١) رفعة قدر ومنزله .

في معنى اسمه « الحفيظ »

الحفيظ اسم من أسمائه ورد به الخبر وهو فاعيل مبالغة من الفاعل وهو الحافظ لعباده في جميع الأحوال والحافظ للسموات والأرضين قال الله تعالى ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ فهو رافع السموات بلا عمد وحافظها بعد رفعها بلا إستعانة بأحد ولا إعتضاد بمدد . بل هو الوتر الفرد الصمد وإن الله تعالى حافظ دينه قال الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ أنزل التوراة على موسى عليه السلام فوكل حفظها إلى أمته قال الله تعالى ﴿ بما استحضتوا من كتاب الله ﴾ فحرفوا وبدلوا وأنزل الله تعالى الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم وضمن حفظه على أمته بقوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فلا جرم عصم الله الأمة عن تبديل الكتاب حتى لو أخطأ مخطي في حركة من حركات حروف القرآن أو سكون لنادى ألف ألف صبي بتخطئته فضلاً عن القراءة فشتان بين أمة استحفظهم الله كتابه فحرفوا وبدلوا وبين أمة حفظ عليهم الكتاب فبقوا مع الحق ووصلوا ومن حفظه سبحانه لأوليائه صيانة عقائدهم في التوحيد عن اكتفائهم بالتقليد وتحقيق العرفان في أسرارهم بجميل التأيد وليس كل الحفظ أن يحفظ عبداً بين الملاء عن البلاء وإنما الحفظ أن يحفظ قلباً عن خلوص المعرفة بين الأهواء حتى لا يزل عن الطريقة المثلى ولا يجيد إلى البدع والهوى . قال الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ وأن الله تعالى قيض الملائكة ووكلمهم بحفظ بني آدم من البلاء والآفات حتى

الحفيظ : الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يؤده حفظ حلقه ولولاه لا اضطربت الأكوان
 « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده » ولا ينجي من المهالك في ظلمات البر والبحر إلا هو وذآكره يحفظه الله من المكره والمفسد .

إذا قعدوا وقاموا أو انتبهوا وناموا تقلبوا في حفظه وحراسته وتصرفوا على حكم رعايته قال الله تعالى: ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ فهو الذي يحفظ نفسك ومالك ودينك وحالك ووقتك وعيالك إذ لو رفع كل رعايته عن أسبابك هلكت . سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول ورث بعض الصالحين عن مورث له عشرة آلاف درهم فقال إلهي إني محتاج إلى هذه الدراهم ولكن لست أحسن حفظها فأدفعها إليك لتردها على وقت حاجتي فتصدق بتلك الدراهم ولزم الفقر قال فما أحتاج ذلك الرجل في ديناه قط إلى شيء وكان إذا أراد شيئاً فتح له في الوقت . وقيل من حفظ الله في جوارحه حفظ الله تعالى عليه قلبه لا بل من حفظ الله حقه فقد حفظ الله حظه . حكى عن بعض الصالحين أنه وقع بصره يوماً على محذور فقال إلهي إنما أريد بصري هذا لأجلك فإذا صار سبباً لمخالفة أمرك فاسلبني قال فعمي الرجل وكان يقوم بالليل ويصلي فغاب ليلة من الليالي من كان يعينه على الطهارة فقال إلهي إنما قلت خذ بصري لأجلك فالليلة أحتاج إليه لأجلك فرده عليّ قال فعاد إليه بصره فكان يبصر بعد العمى . وحكى أن اللص دخل حجرة رابعة العدوية وكان النوم أخذها فأخذ اللص ملاءتها فخفي عليه باب الحجرة فوضع الملاءة فأبصر الباب فرفع الملاءة ثانية فخفي عليه الباب فلم يزل يفعل ذلك مرات فهتف به هاتف ضع الملاءة فأنا نحفظها لها ولا ندعك تحملها وإن كانت هي نائمة . وهذا تحقيق الحفظ ومن هذا الباب قصة أم موسى عليه السلام لما رجعت إلى الله بصدق التوكل أنظر كيف ألقى في قلبها وكيف أهمها حيث قال عز ذكره ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ﴾ إلى قوله ﴿ من المرسلين ﴾ أنظر كيف ربط على قلبها وكيف حفظ لها ولدها وكيف رده إليها . وفي بعض الحكايات أن امرأة تصدقت برغيف فأخذ السبع ولدها ونودبت لقمة بلقمة أنك تصدقت لأجلنا برغيف فرددنا ولدك فإنه حافظ ما استودع وراحم من استرحم وبالله التوفيق .



في معنى اسمه « المقيت »

قال الله تعالى ﴿ وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ فالمقيت بمعنى المقتدر وقيل أنه بمعنى الحفيظ هذا قول أصحاب المعاني وقيل المقيت الإسم من أقاته يقيته يقال قاته وأقاته إذا أعطاه قوته . وفي الحديث كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت وروي من يقيت والقوت ما به إستقلال النفس ويكون قواماً لها وسبب بقائها وأن الله سبحانه جعل أقوات العباد والحيوانات من المخلوقين والمخلوقات مختلفة فمنهم من جعل قوته المأكولات والمشروبات على حسب اختلافها في الأجناس والأصناف المطعومات ومنهم من جعل قوته في التسييح والطاعات كالملايكة الذين هم سكان الأرضين والسموات وأنه خص بني آدم بأن جعل قوتهم أطيب الأشياء وألذها قال الله تعالى ﴿ ورزقناكم من الطيبات ﴾ ثم أنه جعل قوت الأشباح الطعام والشراب وجعل قوت الأرواح المعاني التي لها قدرها ورتبتها وبها يحصل تفاوت درجاتها فمن أقوات القلوب والأرواح العقل الذي به نظام جميع المحاسن فمن رزقه الله العقل أكرمه وأزانه ومن حرمه ذلك فقد أذله وأهانته قيل إن جبريل عليه السلام جاء إلى آدم عليه السلام وقال إني أتيتك بثلاثة أشياء فاختر منها واحداً فقال وما هي فقال العقل والدين والحياة فقال آدم اخترت للعقل فخرج جبريل وقال إنه اختار العقل فانصرفا أنتما فقال الدين والحياة إنما أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ولهذا قيل ما خلق الله تعالى شيئاً أحسن من العقل وسئل بعضهم عن معنى العقل فقال لم يعط أحد كماله فيوصف وأن الله تعالى إذ شغل العبد بطاعته أقام لأجله من يقوم بشغله فإذا اشتغل العبد بطاعة ربه جعل الحق سبحانه من يقوم بخدمة عبده وإذا رجع إلى

المقيت : الذي خلق الأقوات وأودع فيها خصائص التغذية ويوصلها للأشباح والأرواح على ما يناسبها وهو جل شأنه المقتدر المتكفل بأرزاق عباده . وذاكره يقوى على مكافحة شهوات النفس .

متابعة شهوته وتحصيل أمنيته وكله إلى حوله وقوته ورفع عنه ظل عنايته سمعت منصور المغربي يقول كان الكتاني بمكة وكان له خدام يخدمه وكان في المسجد شاب حسن الجلسة فكان الكتاني إذا فتح عليه بشيء قال لخدمه أبدأ بذلك الشاب فقال الخادم له يوماً كنت تأمرني أن أبدأ بذلك الشاب ولم تقل لي ذلك منذ أيام فقال إني رأيته في الحذائين يطلب شعساً ومن أمكنه أن يجتال لنفسه شعساً قد سقط عنا فرضه أشار بهذا أنه إنما كان ذلك الشيخ منصوباً لمراعاة حقه وتقديمه على أشكاله لما لم يكن الشاب محترفاً لنفسه فحيث اتصف باحتياله في بعض أحواله رد إلى أفعاله واختياره وحسبك تأييداً لهذه الجملة قصة آدم عليه السلام وهو أن الله سبحانه قاته . وضان عن المحن أوقاته . وكفاه كل شغل ولقاه كل يسر ورفع له مناره وأسجد له أبراره وأسكنه جواره وأجزل له مباره وقال جل وعلا ﴿ إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظماً فيها ولا تضحي ﴾^(١) فلما نسي وعده ومد إلى شهواته يده لقي ما لقي . روى مجاهد أن الله سبحانه أوحى إلى الملائكة أن أخرجوا آدم وحواء من جوارى فلينها عصياني قال وناداه ربه أي جار كنت لك يا آدم فقال يا سيدي ومولاي نعم الجار كنت قال فاخرجوا من جوارى قال فرفع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل^(٢) من جبينه وسقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فالتفت إلى حواء وقال هذا أول شؤم المعصية وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فأخذ آدم يفر فتعلق غصن من أغصان الشجرة بشعره وسمع نداء الحق جل جلاله أمنا تفر يا آدم فقال بل أستحي منك يا رب ثم قال إلهي إن تبت تعيدني إلى الجنة فقال نعم فذلك معنى قوله تعالى ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ .

فصل : فإذا اختلفت الأقوات فمن عباده من جعل قوت نفسه توفيق العبادات . وقوت قلبه تحقيق المعارف والمكاشفات . وقوت روحه إدامة المشاهدات والموانسات .

(١) أي لا يحصل لك شمس الضحى لا تنفا الشمس في الجنة هـ جلال .

(٢) شبه عصابة تزرر بالجوهر هـ مختار .

في معنى اسمه « الحسيب »

الحسيب إسم من أسمائه قال الله تعالى ﴿ وكفى بالله حسيباً ﴾ ومعناه شيئان أحدهما الكافي والثاني المحاسب . فإذا قيل إنه بمعنى الكافي فمن قولهم أعطاني حتى أحسبني أي أعطاني ما كفاني حتى قلت حسبي فيكون الحسيب بمعنى المحاسب كالإليم بمعنى المؤلم وإذا كان بمعنى المحاسب ففعليل بمعنى المفاعل . كثير كالأكيل بمعنى المواكل والشرب بمعنى المشارب والتدبير بمعنى المتأدب فأمّا إذا كان بمعنى الكافي فكفاية الله للعبد أن يكفيه جميع أحواله وأشغاله وأجل الكفائيات أن لا يعطيه إرادة شيء فإن سلامته عن إرادة الأشياء حتى لا يريد شيئاً أتم من قضاء الحاجة وتحقيق المأمول . وإذا علم العبد أن الحق سبحانه كافيه لم يرفع حوائجه إلا إليه فإنه سبحانه لسريع الإجابة لمن انقطع إليه وتوكل في جميع أحواله عليه . ولا سيما إذا كانت حاجته متمحضة في حق الله تعالى لأنه إذا كانت حاجته في حظ نفسه فرجاً يحصل منع وتأخير في قضاء الحاجة . يحكى عن أبي الحسين الديلي وكان كبير الشأن أنه قال وصف لي بأنطاكية إنسان أسود يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيئاً من المباحات يريد أن يبيعه فساومته وقلت له بكم تباع هذا فنظر إلي ثم قال أقعد فلانك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئاً قال فمضيت إلى غيره وتغافلت عنه كأي

الحسيب : الكافي الذي يكفيك كل شيء ومحاسبك على كل شيء أسرع الحاسبين مصدر الجود والكرم والفضل والنعم سابق على الخلق بوجوده . وجودهم من فيض جوده . وذاكره يحفظ الله ذريته ويكفيه هم من يعول .
الجليل : الذي تعالى في ذاته وصفاته فخضع لسلطان هيئته جميع خلقه ويستحي منه أهل العرفان وتخشع قلوبهم لذكره ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وذاكره يتحقق في مقام الخوف والرجاء وتعلوه الهبة والوقار .

لم أسمع ما قال وساومت غيره مما كان بين يديه ثم عدت إليه وقلت له بكم تبع هذا فنظر إليّ وقال إقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئاً قال فمضيت إلى غيره . وتغافلت عنه كأي لم أسمع ما قال وساومت غيره ثم عدت إليه وقلت له مثل قول الأول والثاني فقال إقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئاً . قال فوقع على قلبي منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني شيئاً ومضى قال فمضيت خلفه لعلني أستفيد منه شيئاً بقوله لي قال فالتفت إليّ وقال إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله ألا أن يكون لك فيها حظ فتحجب عن الله تعالى إذاً . ومن علم أنه كافيه لا يستوحش من أعراض الخلق ولا يستأنس بقبول غير الحق ثقة بأن الذي قسم له لا يفوته وإن أعرضوا . وأن الذي لم يقسم له لا يصل إليه وإن أقبلوا . ثم إن العبد إذا اكتفى بحسن توليه سبحانه لأحواله فعن قريب يرضيه بما يختار له مولاه سبحانه فعند ذلك يؤثر العدم على الوجود . والفقر على الغنى . ويستريح إلى عدم الأسباب بدل ما كان يستأنس أمثاله بالأعراض والأسباب . وفي معناه يحكى عن عطا السلمي أنه بقي سبعة أيام لم يذق شيئاً من الطعام ولم يقدر على شيء فسر قلبه لذلك غاية السرور وقال يا رب إن لم تطعمني ثلاثة أيام أخرج لأصلين لك ألف ركعة . وقيل إن فتحا الموصلي رجع ليلة إلى بيته فلم يجد عشاً ولا سراجاً ولا حطباً فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع إليه ويقول إلهي لأي شيء وبأي وسيلة واستحقاق عاملتي بما تعامل به أوليائك . وأما من علم أنه حسيب بمعنى محاسب علم أنه يطالبه عذاباً للصغير والكبير ومحاسبه على التقير والقطمير . فعند ذلك يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ويطلب قلبه بالقيام بحقوقه قبل أن يطلب . فإن الله تعالى حكم بأنه لا يزول قدم العبد حتى يسئل عن حركاته وسكناته وجميع حالاته . يحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال كنت بيت المقدس ليلة فبت تحت الصخرة خالياً فلما كان بعد هده من الليل إذا أنا بملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا قال إبراهيم ابن أدهم فقال الذي نقص من درجاته درجة فقال الآخر ولم قال لأنه اشترى بالبصرة تمرأ فوقع من تمر صاحب الدكان

على ما اشتراه ثمرة بغير علمه فنقص من درجاته درجة قال إبراهيم فلما أصبحت حولت وجهي إلى البصرة وأتيتها واشترت من صاحب الدكان ثمراً ثم ألقيت على ثمرة ثمرة واحدة وانصرفت إلى بيت المقدس وبت تحت الصخرة فلما كان بعد ساعة من الليل رأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا قال إبراهيم بن أدهم فقال الآخر الذي ردت درجته إلى ما كانت عليه .

فصل : وقد يعلم العبد أنه يحاسبه ربه فيثق بفضله ويرجو أنه يستر عيوبه . ويغفر ذنوبه . ويرضى خصومه ويكفيه همومه . فإن الكريم بالعفو جدير . وعلى ما يرجي من سعة إحسانه وحسن غفرانه قدير . والكريم من يطلب لجرائم العصاة عذراً . وأنشدوا :

إذا شئت أن تدعى كريماً معظماً حليماً ظريفاً ماجداً فطناً حراً
إذا ما بدت من صاحب لك زلة فكن أنت محملاً لزلته عذراً

* * *

في معنى اسمه « الجليل الجميل »

الجليلي والجميل اسمان من أسمائه تعالى ورد بها التوقيف ولا خلاف عند أهل الحق أن جلاله استحقاقه لنعوت التعالي وهو بمعنى رفعتة وعلوه وقالوا جليل بين الجلال والجلالة وأما الجميل فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال إنه بمعنى الجليل . وجماله هو جلاله . ومنهم من قال إن معنى الجميل المحسن . والجميل بمعنى المجميل وقد ذكرنا أن الفعيل بمعنى المفعول كثير . وقد مضى في هذا الكتاب فصول في معنى إحسانه ورفعتة في غير موضع ونذكر ههنا منه طرفاً فاعلم أن الله سبحانه يكشف القلوب مرة بوصف جلاله ومرة بوصف جماله فإذا كاشفها بنعت جماله . صارت أحواله عطشاً في عطش . وإذا كاشفها بوصف جلاله صارت أحواله دهشاً في دهش . ومن كاشفه بجلاله أفناه . ومن كاشفه بجماله أحياء . فكشف الجلال يحوياً وغيبة . وكشف الجمال يوجب صحواً

الجميل : لم نشرح في كتابنا شرح أسماء الله الحسنى الذي ألفناه سنة ١٣٥١هـ اسمه تعالى - الجميل - لأنه لم يرد في التسعة والتسعين اسمه الواردة في حديث الرسول « إن الله تسعة وتسعين إسماً » إلخ الواردة في صدر الكتاب وهذا الحديث من أصح الصحيح . ولكن قد يكون هناك حديث آخر خاص باسمه الجميل لأنه صفة عليه الله تعالى لأنه له الصفات العلية ومنزه عن صفات القبح . وله الأسماء الحسنى . ولكن الأصح الأخذ بما ورد في الصحيح والإكتفاء بالتسعة والتسعين إسماً . ربما أن أستاذنا الجليل وصاحب البركات الإمام القشيري اعتبره إسماً توقيفياً فلا بأس من أن نتكلم في معناه قليلاً . ومعناه خالق الجمال بديع الفعال عليم بالجمال يهب الجمال لمن شاء من عباده ويبدع المصنوعات من جميل أفعياله . وجماله في هبة شهوده لا يوصف إلا بالجمال والجلال وكذلك من أحبه أعطاه جمالاً وجلالاً قال البوصيري رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . فهو الذي تم معناه وصورته ثم إصطفاه حبيباً باريء النسم

وقربة . وكشف الجلال يوجب اجتياحاً^(١) وثبوراً^(٢) وكشف الجمال يوجب إرتياحاً وسروراً . والعارفون كاشفهم بجلاله فغابوا . والمحبون كاشفهم بجماله فطابوا . فمن غاب فهو مهيم . ومن طاب فهو متيم .

فصل : واعلم أن الله سبحانه يخص الأبرار بما يسقيهم من شراب محابه ويخص الأحباب بما يلقيهم من روح أنسه وإتحافه . فطائفة يحضرهم بلطفه . وطائفة يسكرهم بكشفه . فمن أحضره بسطه . ومن أسكره أخذه عما نيط به واستلبه . والحقائق إذا اصطلحت على القلوب لا تبقي ولا تذر والمعاني إذا استولت على الأسرار فلا عين ولا أثر وأن للعلوم على القلوب مطالب وللحقائق

وقال : فأعجب لجمال له الجلال وقاء . ومن أفاض الله عليه من صفاته الجميل فتح له جمال المعاني وحلاوة الإيمان وحسن خلقه وخلقه وزادت هيئته واستغرق في بحر جماله فلا يرضى العبد بقبيح الفعال وسوء الخصال لئلا يخرج من حضرة الجمال ويكون ذاكياً حتى يأنف بطبعه وذاك ذوقه كل قبيح ولا يرضى أن يتدنس بحرام قط أو يريح الخلق الذميمة ومتى أنس بالجمال الإلهي استوحش من الخلق وعاف شهوات الدنيا ونعم الآخرة لا يتلذذ إلا بشهود الحق سبحانه وتعالى ولذلك كانت أجل نعمة من الله لأحبابه في الآخرة رؤية ذاته عز وجل وعلى ذكر الجمال والجلال لا يدخل هذه الحضرة إلا من فني عن نفسه فناء تاماً تنقطع عن العبد إحساسات وجوده إذا جردها إلى ربه فلا يحس إلا بوجود الله فتحصل له حلاوة من الجلال والجمال يغيب فيها دون أن يدري ولا يوقظه منها إلا الله سبحانه وتعالى . وقد يقبض بعض القوم وهم في هذه الحال وهم لا يشعرون .. وإذا صحبوا أحداً من هذه الغيبة أدرك أنه أعطي فتحاً وعلماً وأسراً لم يتعلمها من قبل إنما أودعها الله في قلبه في أثناء غيبته عن نفسه .

ولأقرب هذا من العقل أقول : إني تعرضت لعمليات جراحية خطيرة وكنت إذا تقدمت إلى العملية أذكر الله بقلبي حتى أعيب متمنياً أني إذا قبضت أتقبض في حال الغيبة . وإذا ما أعطيت البنج زدت غيبية ولم أحس إلا أنني في سكون وهدوء وراحة ليس بعدها راحة في الدنيا والآخرة وأتمنى أن تطول ساعات الغيبة لأتمتع بالراحة والأمن في حضرة الحق فإذا صحوت تكدرت كثيراً فلا راحة إلا مع الله وبين يدي الله واستحضار الله عز وجل استحضاراً يمنع أي خاطر يرم بالبال أو إحساس الإنسان بنفسه .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يذيقنا حلاوة شهوده وصدق محبته وعدم الغفلة في حضرته ومتهى رضاه .

(١) اجتياحاً . الإجتياح هو الهلاك .

(٢) ثبوراً بمعنى الهلاك .

سلطان يغلب أقسام المراتب فالحال تؤذن حتى ليس الأقرب والحقائق تبرز نعت
الصمدية حتى لا قرب وفي معناه أنشدوا :

يا من أشاهده عندي فأحسبه مني قريباً وقد عزت مطالبه
وأنشدوا :

بأي نواحي الأرض أبغي وصالكم . وأنتم ملوك ما لمقصدكم نجد
واعلم أن العابدين شهدوا أفضاله فبدلوا نفوسهم . والعارفين شهدوا
جلاله فبدلوا له قلوبهم . والمحبين شهدوا جماله فبدلوا له أرواحهم . بل من
كان له علم اليقين وجد أفضاله . ومن له عين اليقين شهد جلاله . ومن له حل
اليقين شهد جماله .

فصل : واعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل تقلب قلوب العابدين بين
شهود ثوابه وأفضاله وشهود عذابه وأنكاله ، فإذا فكروا في أفضاله إزدادت
رغبتهم . وإذا فكروا في عذابه وأنكاله إزدادت رهبتهم وأنه جعل تنزه أسرار
العارفين في شهود جلاله وجماله . فإذا كوشفوا بنعت الجلال فأحوالهم طمس في
طمس وإذا كوشفوا بوصف الجمال فأحوالهم أنس في أنس كما قال قائلهم :

جمالك نزهتي ورضاك عيش وحبيك لي من الأديان دين

* * *

في معنى اسمه « الكريم »

الكريم إسم من أسمائه تعالى ورد به التوقيف وتكلموا في معناه . فقال أهل الحق إن الوصف له بأنه كريم من صفات ذاته ولم يزل الله كريماً ولا يزال ومعناه نفي الدناءة والنقائص . والعرب تقول للشيء الخطير الحسن النفيس إنه كريم . قال الله سبحانه ﴿ وأعد لهم أجراً كريماً ﴾ . قالوا ثواباً حسناً وكذلك قوله تعالى ﴿ ومقام كريم ﴾ قيل حسن ونفي الدناءة في وصفه يكون بمعنى استحقاقه لصفات جلاله . وقيل أن الكريم في وصفه يكون بمعنى المحسن المجمل الكثير العطا والإحسان . والعرب تقول للرجل الذي يكون صفوحاً عن الذنوب محسناً إلى من يسئ إليه تاركاً للانتقام مسبغاً للأنعام : إنه كريم ، ويقال : فلان كريم السجية . والله تعالى هو المحسن إلى خلقه من غير إستحقاق والأخذ بأيديهم عند الضرورة من غير إستيجاب بل ابتداء فضل وإكمال لطف . وقال الجنيد : الكريم الذي لا يجوجك إلى وسيلة . وقال الحرث المحاسبي : الكريم الذي لا يبالي بما أعطى ولا لمن أعطى . وقال جعفر بن نصير : الكريم الذي لمن يقبل عطاءه منه على نفسه . وقيل : الكريم الذي لا يستقصي قال الله تعالى : ﴿ فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ﴾ سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول : الكريم الذي إذا عفا عن عبد عفا عن عمل مثل تلك المعصية وعن كان سميأ له . وفي بعض الكتب ما أنصفتني عبداً استحي أن أعذبه ولا يستحي أن يعصيني . وقيل الكريم الذي لا يرضى بأن ترفع حاجته إلا إليه .

الكريم : الذي لا يبخل رفيع القدر عظيم الشأن حلیم يجب العفو ويكره العقوبة ويكثر الجزاء قال سبحانه وتعالى ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً حليماً ﴾ وقال ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ وذكره يرى من كرم الله ما يلهج قلبه بالشكر ولسانه بالحمد وتحسن أخلاقه .

وروي أن موسى عليه السلام قال في مناجاته إنه لتعرض لي الحاجة أحياناً فاستحي أن أسألك أفأسأل غيرك فأوحى الله إليه أن لا تسأل غيري وسلني حتى ملح عجيتك وعلف شاتك . ويقال : الكريم لا ينجيب رجاء الموملين وقيل الكريم الذي لا يضع من ترسل به ولا يترك من التجأ إليه ويحفظ حقوق خدمة المعين ماتوا ، وقيل : الكريم الذي إذا أبصر خلاً خيره ولم يظهره وإذا أولى فضلاً أجزله ثم ستره . ويحكى أن بعض الأكابر أشرف من قصر له على دار عجوز من جيرته فرآها تتوضأ من جرة من خزف فقال في نفسه : عجوز في جيرتي ليس لها قمقمة ثم فكر وقال إن أمرت لها بمقمقمة فإنها تنجبل وتعلم أي اطلعت عليها . فأمر بأن يعطى لكل واحد من جيرانه قمقمة حتى دفع إليها قمقمة ولم تنجبل . وقيل الكريم هو الذي أذنت اعتذر عنك وإذا هجرت وصلك وإذا مرضت عادك وإذا وافيت من السفر زارك وإذا افتقرت أحسن إليك ببقية ماله . وقيل : الكريم هو الذي إذا رفعت إليه حاجة عاتب نفسه كيف لم يبادر إلى قضائها قبل أن تسأله .

حكى عن علي رضي الله عنه أنه جاءه إنسان ليلة يسأله حاجة . فقال : إرفع السراج يا غلام فقيل له في ذلك فقال : لثلا أرى في وجهه ذل السؤال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول كان الأستاذ أبو سهل الصعلوكي رحمه الله لا يناول أحداً شيئاً من عطائه بيده بل كان يضعه على الأرض ليأخذه المستحق ويقول الدنيا أقل خطراً من أن أرى يدي لأجلها فوق يد أحد . روي في بعض الأخبار أنه قال : لا تقولوا لشجرة العنب الكرم وإنما الكرم الرجل المسلم . والعرب كانت تسمي العنب الكرم وكان الأصل كرمًا فلما كثر على لسانهم . قالوا : كرم يقال رجل كرم ورجلان كرمٌ والذكر والأنثى والجمع والتثنية فيه سواء كما يقال : رجل عدل وضوم وخصم ورجلان كذلك ورجال كذلك أيضاً وكذلك كل سمي يسمى باسم المصدر وإنما سميت العرب العنب الكرم للطافة شجرة وطيب ثمره وتأتي قطافه من غير تجشم مشقة وليس له شوك يضر جانبيه كما للنخل ولا يحتاج قاطفه إلى إرتقاء شجرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل المؤمن أولى باستحقاق هذه التسمية لما فيه من كرم السجايا .

ويحكى عن أبان بن عياش أنه قال خرجت يوماً من عند أنس بن مالك بالبصرة فرأيت جنازة يحملها أربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها أحد فأكونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصل قالوا لي تقدم فقلت أنتم أولى به فقالوا كانا سواء فتقدمت وصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا : أكرمتها تلك المرأة فقال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهي تضحك فدخل قلبي من ذلك شيء فقلت لها لا ينجيك إلا الصدق أخبريني إيش القصة فقالت لي : إن هذا إبني ما ترك شيئاً من المعاصي إلا فعله فمرض منذ ثلاثة أيام فقال لي يا أماه إذ مت فلا تخبري بوفاتي جيراني فإنهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي واكتبي على خاتمي لا إله إلا الله محمد رسول الله واجعليه في كفي فلعل الله تعالى يرحمني . وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزاء من عصي الله تعالى فإذا دفنتيني فارفعي يديك إلى الله تعالى وقولي إني رضيت منه فأرض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصاني به فلما رفعت يدي إلى السماء سمعت صوته بلسان فصيح إنصرفي يا أماه فقد قدمت لي رب كريم رحيم غير غضبان فإنما ضحكت من هذا .

* * *

في معنى اسمه « الرقيب »

الرقيب اسم من أسمائه تعالى وهو بمعنى الحفيظ يقال رقبته أرقبه رقبه ورتقوباً إذا راعيته قال الله سبحانه ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (١) يريد به الملك الذي يكتب أعمال العبد والله تعالى رقيب لعباده أي حفيظ لهم يعلم أحوالهم ويعد أنفاسهم ولا يخفى عليه شيء من أحوالهم . يقال راقبت الله إذا علمت أنه مطلع عليك فراغيت حقه والمراقبة عند هذه الطائفة هو أن يصير الغالب على العبد ذكره بقلبه أن الله مطلع عليه فيرجع إليه في كل حال ويخاف سطوات عقوبته في كل نفس ويهابه في كل وقت . سئل بعضهم بم يستعين الرجل على حفظ بصره من المحظورات قال بعلمه بأن رؤية الحق سبحانه سابقة على نظره إلى تلك المحظورات . حكى أن ابن عمر مر بسلام يرعى غنماً فقال بعني شاة فقال إنها ليست لي فقال ابن عمر قل أكلها الذئب فقال الغلام : فأين الله فاشتره ابن عمر واشترى تلك الغنم وأعتقه ووهبه تلك الغنم وكان ابن عمر يقول مدة طويلة قال ذلك العبد فأين الله فصاحب المراقبة يدع من المخالفات إستحياء منه وهيبة له أكثر مما يتركه من يدع المعاصي لخوف عقوبته قال الله تعالى ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ وأن من راعى قلبه عد مع الله أنفاسه ولا يضيع مع الله نفساً ولا يخلو عن طاعته لحظة كيف وقد علم أن الله سبحانه يحاسبه على ما قل وجل . وحكى عن بعضهم أنه كان يشتري في كل سنة من

الرقيب : الذي لا يغفل ولا ينام أحاط بصره بكل شيء أدنى حفيظ وأقرب شهيد وذاكره يكون من أهل الإحسان والحضور في حضرة الحق سبحانه وتعالى ويتولى الله حفظه وحفظ أهله حفظ إكرام وعناية ويهديه الله إلى صالته .

(١) الرقيب في الآية معناه الحافظ والعتيد الحاضر . وكل منهما بمعنى المتى أي جلال .

الشعير بيسير من الفلوس وكان يتقوت به طول سنة فلما مات رفعت جنازته بالغداة فلم يفرغوا من دفنه إلا قبل العشا لكثرة الزحام فرثي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وأحسن إلي كثيراً إلا أنه حاسبني حتى طالبي بيوم كنت صائماً فكنت قاعداً على حانوت صديق لي حناط فلما كان وقت الإفطار أخذت حنطة من حانوته فكسرتها نصفين ثم ذكرت أنها ليست لي فألقيتها عن حنطته فأخذ من حسناتي قيمة ما نقص من تلك الحنطة بالكسر . وأن من تحقق ذلك لم يرخ عنانه في البطالة ولا يضيع عمره في الجهالة ولم يمحق^(١) في الغفلات وقته ولكن يصل بالطاعات ليله بنهاره ويبدل غاية جهده وكنه استطاعته في أوقاته . يحكى عن سلمان الفارسي أنه كان إذا جن عليه الليل أخذ يصلي فإذا عبي ذكر الله بلسانه بفنون التسبيح فإذا عبي أخذ يبكي فإذا عبي فكر في جلاله وعظمته ثم يقول لنفسه استرحت فقومي فصلي فإذا صلى زماناً قال للسانه استرحت فأخذ في التسبيح فإذا ذكر زماناً قال لعينه استرحت فأخذ في البكاء على هذا الوصف كان يقطع طول ليله . وقيل للحسن البصري إن بالبصرة شاباً لا يحضر مجلسك فقال له الحسن : لم لا تحضر مجلسي فقال : أنا أنوي كل ليلة أن أحضر مجلسك فإذا أصبحت استقبلني قوله تعالى ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ فأفكر في ذلك كيف يكون حالي ثم يستقبلني قوله تعالى : ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ فأفكر في ضيق القبر كيف يكون فيه حالي ثم يستقبلني قوله تعالى ﴿ واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ﴾ فأفكر في القيامة كيف يكون حالي ثم يستقبلني قوله تعالى ﴿ فمنهم شقي وسعيد ﴾ فأفكر في أي الفريقين أكون فيفوتني حضور مجلسك فصاح الحسن صيحة ثم قال إن الحسن يحتاج أن يحضر مجلسك . وأن من أيقن أن آخر عمره دخول اللحد لم يشتغل بتزيين المهدي^(٢) بل عمر قبره ولم يشيد قصره

(١) محققه محققاً من باب نفع نقصه وأذهب منه البركة . وقيل هو ذهاب الشيء كله حتى لا يرى له أثر ومنه « محقق الله الربا » اهـ مصباح .

(٢) المهدي يأتي بمعنى المهادي أي الفرائض قال في المصباح : والمهد والمهاد الفرائض وجمع الأول مهود مثل فلس وفلوس وجمع الثاني مهد مثل كتاب وكتب وأما المهدي المعروف فجمعه مهاد كسهم وسهام .

وعلم أنه يركب الأعناق والأجياد ولم يتتهج بأن يركب العتاق^(١) والجياد واستيقن
أن ماله إن لم يزل عنه بحادث زال عنه إلى وارث وأنشدوا :

يا غافلاً أدركه الموت إن لم تبادر فهو الفوت
من لم تنزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت

وإن أخس الناس من كان كما قال الأول :

منازل دنياك شيدتها وخربت دارك في الآخرة
لا جعل الله نصيبنا من هذه الكلمات سردها وذكرها دون منازلتهما
ومعاملتها بمنة وسعة فضله .

* * *

(١) العتاق جمع عتيق يقال فـس عتيق مثل كريم وزناً ومعنى .

في معنى اسمه تعالى « المجيب »

المجيب إسم من أسمائه تعالى قال جل ذكره : ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ ومعنى المجيب في وصفه أن يجيب دعوة الداعين ويكشف ضرورة المتوسلين قال الله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ ومن خصائص لطفه أنه يعطي قبل السؤال ويحقق مراد عبده بعد سؤاله بجميل النوال . وفي الخبر أن الله تعالى يستحي أن يرد يد عبده صفراً وأنه سبحانه إذا أحضر لأوليائه حاجتهم ببألمهم يحقق لهم مرادهم قبل أن يذكروا بألستهم وربما يضيق عليهم الحال حتى إذا يشسوا وظنوا أنه لا يجيبهم تداركهم بحسن إيجاده وجميل إمداده . يحكى عن عطا الأرزق أنه دفع إليه أهله درهمين وقالوا له اشتر لنا دقيقاً فرأى مملوكاً يبكي فسأله عن حاله فقال : إن مولاي دفع إليّ درهمين لأشتري له شيئاً فسقطا مني فدفع إليّ عطا الدرهمين ومضى يصلي إلى قرب المساء ينتظر شيئاً يفتح له فلم يفتح له بشيء ففعد على حانوت صديق له نشار وذكر له حاله وكان الرجل فقيراً فقال خذ من هذه النشارة شيئاً لعلكم تحتاجون إليها تسجرون بها التنور إذ ليس لي شيء أواسيك به فأخذ ذلك في جرابه ورجع إلى بيته وفتح الباب وطرخ الجراب في الدار ومضى إلى المسجد حتى صلى العشاء الأجمرة ومضى صدر من الليل رجاء أن يكون أهله قد ناموا لثلا يخاصموه فلما دخل الدار رآهم يخبزون الخبز فقال : من أين لكم الدقيق ؟ قالوا : من الذي حملته

المجيب : الذي يقدر على إجابة جميع مطالب الطالبين ولا يسأم دعاء الداعين ويجيب دعاء المضطرين إذا التجأوا بالاضطرار أو يشسوا من المخلوقين وتنال لديه الرغائب يعطي عطاء العليم بما ينفع سائله . وذاكره يكون من المتوكلين ومن أهل الأدب عند سؤال الحق سبحانه وتعالى فلا يرد له دعاء . ويتفتح الناس بقضاء حوائجهم على يديه فيزداد ثوابه وتكثر أحبابه ويرى كرامة من ربه .

في الجراب ولا تشتري لنا الدقيق إلا من عند هذا الرجل .

فصل : وربما يجتهد الرجل في تحصيل شيء لبعض الأولياء فلا يتفق ذلك ثم يكفي الله تعالى ذلك من وجه آخر ليعرف أنه متولي أمور أوليائه بنفسه ولا يكل ذلك إلى غيره ليعلم أنه لا يذل أوليائه . حكى عن لخواص أنه قال : كنت في مسجد فرأيت فقيراً ساكناً ثلاثة أيام لم يتحرك ولم يطعم ولم يشرب وكنت أرقبه وأصبر معه قال : فعجبت منه فتقدمت إليه وقلت له : ما تشتهي فقال خبزاً حاراً ومصلية قال : فخرجت وتكلفت طول نهاري كي أحصل ما قال فلم يتفق قال : فعدت إلى المسجد فأغلقت الباب فلما كان بعد زمان من الليل دق علينا الباب ففتحت الباب فإذا أنا بإنسان معه خبز حار ومصلية فسألته عن السبب فقال : إشتهأها على صبياني فتخاصمنا وحلفنا أن لا يأكل هذا إلا أهل المسجد الفلاني قال : فقلت إلهي إذا كنت تريد أن تطعمه فلم عنتني طول نهاري .

فصل : وربما يحصل من بعض أوليائه قصد إليه وإشارته في الظاهر إلى الخلق ويكون القصد بالتحقيق إلى الحق كما يحكى عن حذيفة المرعشي أنه قال : كنت مع إبراهيم بن أدهم في بعض الأسفار فدخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إليّ وقال : يا حذيفة إني أرى بك الجوع فقلت هو ما يراه الشيخ فقال عليّ بالدواة والقرطاس فجتته به فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر	أنا جائع أنا نائع أنا عاري
هي سقة وأنا الضعيف لنصفها	فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها	فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة وقال أدفعها إلى أول من تلقاه قال فرأيت شاباً حسن الوجه نظيف الثياب راكباً على بغلة قال : فناولته الرقعة فنظر فيها وبكى وقال أين صاحب الرقعة فقلت في المسجد الفلاني فناولني صرة فيها ستمائة دينار وقال

إحملها إليه قال : فسألت إنساناً من أصحاب هذه البغلة فقال نصراني قال :
فعجبت منه و حملت الصرة إلى إبراهيم وأعلمته بالقصة فقال ضعها فإنه يجيء
الساعة . فما لبثنا أن جاء الرجل وقبل رأس الشيخ وقال : نعم ما أرشدتني
أعرض عليّ الإسلام فأسلم فلما كانت إشارته صحيحة حصل منه ما حصل .

* * *

في معنى اسمه « الواسع »

اختلف الناس في معناه فقال بعضهم معنى الواسع في وصفه أنه العالم قال الله تعالى : ﴿ وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ وقال تعالى ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما ﴾ قيل أراد به أحاط بكل شيء علماً وقيل إنه بمعنى الغني قال الله تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾ قيل ذو غنى من غناه وقيل إنه واسع العطاء كثير الخير حكى هذا عن ابن الأنباري وهو الأقوى لأن العرب تقول فلان موسع إذا كان غنياً قال الله تعالى : ﴿ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾ ولا يقال للغني واسع فإذا كان بمعنى العالم فقد جرى القول في معنى العالم والعليم في صفاته سبحانه فيما تقدم وإذا قيل إنه بمعنى كثير العطا فكثرة عطائه لا تستوفي بالحصر ولا تستقصى بالذكر قال الله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ وحكي أن رجلاً من الأكابر كان قد حج حججات كثيرة فطاب قلبه ليلة فقال في مناجاته اللهم إني قد وهبت كذا وكذا حجة من حججاتي للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه كذا وكذا حجة ولوالدي كذا وكذا حجة ووهبت الباقي للمسلمين فهتف به هاتف سيعلم أهل الجمع غدا من أولى منا بالجوهر والكرم وأن أهل العلم بالأصول قالوا : نعم الله سبحانه على ضريبن نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ما أولاهم ونعمة الدفع ما زوى عنهم وكفاهم ثم قالوا إن المشركين في النار وإن لم تكن لله تعالى عليهم نعمة نفع فله عليهم نعمة دفع لأنه سبحانه لا يوصل إليهم في النار ألماً إلا وهو يقدر أن يوصل إليهم

الواسع : الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً وغفر ذنوب المذنبين كرمياً وحليماً ولا ينقص خزائنه العطاء ولا تنفذ كلماته ولا حد لمعلوماته قال سبحانه وتعالى ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ وذكره يزداد في كل خير سعة ويعطى من فضل منحه ويكون حليماً واسع الصدر .

الماً فوق ذلك فإذا لم يؤلهم بأشد مما آلمهم كان ذلك دفعاً عنهم ومن آداب من عرف أنه لا يتناهى إحسانه إليه أن يقف عن عصيانه له إستحياء من كرمه وكثرة أنعامه ومن الواجب على العبد أن يعلم أنه ليس كل أنعامه إنتظام أسباب الدنيا والتمكن من تحصيل المنا والوصول فيها إلى الهوى بل ألطف الله سبحانه إلى ما يزوي عنهم من الدنيا أكثر وإحسانه إليهم أوفر وإن قرب العبد إلى الله سبحانه وتعالى على حسب تباعده من الدنيا وفي بعض الكتب إن أهون ما أصنع بالعالم إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتي وقيل إن وزيراً للمعتضد بعث مالاً إلى أبي الحسين النوري ليفرقه على أصحابه فصب النوري ذلك المال في بيت وقال للفقهاء ادخلوا هذا البيت وخذوا منه بقدر حاجتكم إليه فدخلوا فمنهم من أخذ دانقاً ومنهم من أخذ نصف دانق ومنهم من أخذ درهماً ومنهم من أخذ أكثر منه فلما خرجوا قال النوري قربكم من الحق ويعدكم على مقدار ما أخذتم .

فصل : فإذا علم أن الله سبحانه يعطيه ما يكفيه لم يبخل عليه بما يأمره به ويستدعيه بل من آدابهم أن يوسعوا على عباده إذا وسع الله عليهم وإذا ضيق الله عليهم انتظروا من الله جميل الفرج وقالوا للناس قولاً ميسوراً فإن البخيل من ضمن بالبشر والكلام الحسن . يحكى عن بعضهم أنه سأله سائل فقال لغلامه ما الذي معك قال أربعمائة دينار فقال ناولها إياه فجاء سائل آخر فقال يا غلام ناوله ما معك فناوله ديناراً فجاء سائل ثالث فقال لغلامه ما معك فقال درهم فقال ناوله إياه فجاء رابع فقال لغلامه ما معك فقال ما عندي شيء فقيل له لولم تدفع الجميع إلى الأول لكان ذلك يتسع لجميعهم فقال إنما تأدبت بأدب الله حيث يقول ﴿ ليتفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه (١) فليتفق بما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ فأعطينا الأول على السعة والثاني عن قلة وأما الآخر فلم يكن معنا إلا شيء يسير فأعطيناه إياه وأما الآخر فلم يكن معنا شيء ولم يكلفنا الله شيئاً فنحن ننتظر الفرج من الله تعالى .

* * *

(١) أي ضيق .
(٢) قف على حكمة الله تعالى في عباده .

في معنى إسمه « الحكيم »

قد مضى القول في معنى الحكيم في وصفه وإستقامة لفظ الحكمة في معنى اسمه الحكم بما يعني عن إعادته . ومن حكمته في عباده تخصيصه قوماً بحكم السعادة من غير إستحقاق ولا سبب بل تعلق العلم القديم بإسعادهم وسبق الحكم الأزلي بإيجاده وخص قوماً بطرده وابعاده ووضع قدره بين عباده من غير جرم سلف ولا ذنب إقترب بل حقت الكلمة عليه بشقاوته ونفذت المشيئة بحجب قلبه وقساوته قال الله تعالى في وصفه ﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم ﴾ وقال تعالى في قصة بلعام ابن باعورا ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ ثم قال في قصته بعدما أتاح له من كرامته وما أوهم في الظاهر أنه من أهل قربته حتى جاء في القصص أنه كان يرى من الثرى إلى العلى وأنه كان يعرف إسم الله الأعظيم فقال سبحانه في صفته فمثله كمثل الكلب .

فصل : الذي كان عدواً أبرزه في نظام أوليائه ثم قال فمثله كمثل الكلب والذي كان من أهل ولايته خلقه في صورة الكلب ثم حشره في جملة أوليائه وذكره في زمرة أصفياه فقال « وابعهم كلبهم » وقال « وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد » .

فصل : لا عبرة بالخلقة ولا إعتداد على الحال والصورة وإنما الإعتبار لسابق الحكم والقسمة سمعت الأستاذ الدقاق يقول إن أصحاب الكهف صرفوا ذلك الكلب فلم ينصرف وأنظفه الله سبحانه فقال لهم لم تصرفوني إن كان لكم

الحكيم : الذي أنصف في تقديره وأحسن تديره ونفذ حكمه وعلت مشيئته وله عاقبة الأمور . وذاكره يتفطن للعواقب وينجو من المهالك ويؤق الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

إرادة فلي أيضاً إرادة وإن كان خلقكم فقد خلقتني فإزدادوا بكلامه يقيناً فقالوا فيما بينهم لا يمكننا صرف هذا ويستدل بآثار قدمه علينا فالحيلة أن نحمله على أكتافنا فقال رحمه الله أن الأولياء كانوا يمشون رجالاً وأما الكلب فكان حامله الأولياء وكان يقول رحمه الله كانوا في الإبتداء لذلك الكلب بلایاه فصاروا في الإنتهاء مطاياه . نكتة أن نباح الكلب يوجب لسامعه الوحشة ولكن لما ساعدت العناية أوجب نباح ذلك الكلب لهم زيادة بصيرة قال الله تعالى ﴿ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا ﴾ جاء في التفسير بكلام الكلب ليعلم العاملون أن العبرة بالحكم الأزلي لا بالسكون والحركات والعلل والاسباب وأنشدوا :

شكى إليك ما وجد من خانه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت ورد

فصل : لم يكن في الملائكة أكبر قدراً ولا أجل خطراً من إبليس ما دام الحكم له بالبأسه خلعة التوفيق . فلما أراد به الإسقاط عن رتبته صار بحيث لا يلوح رسم شقاوة على أحد إلا كان منه بسبب وأنشدوا :

لا تعجبوا من ذلتي فأنا الذي حكم المليك بزلتي فأذلني

فصل : وربما حكم الحق سبحانه وتعالى لبعض عباده بالسعادة فيظهر عليه مدة اختيار الكفر وإيثار الشرك وأضرار الجحد إلى أن يبلغ الكتاب أجله فيدركه أزيى الرحمة وسابق الحكمة كما حكى عن أبي حفص النيسابوري أنه قال يوماً لأصحابه في وقت الربيع تعالوا نخرج إلى التنزه فخرجوا فكان يمر بمحلة الجزري فرأى شجرة كمثري قد زهت في دار فوقف مع أصحابه ينظر إليها بالعبرة فخرج من تلك الدار رجل مجوسي شيخ كبير . فقال له يا مقدم الأختيار هل تقنع أن تكون ضيفاً لمقدم الأشرار فدخل أبو حفص مع أصحابه داره وكان معهم من قراء القرآن فأخرج المجوسي كيساً فيه دراهم كثيرة . وقال أنا أعلم أنكم تنزهون عما تصل أيدينا إليه من الطعام فمروا من يشتري لكم هذه الدراهم شيئاً من السوق ففعلوا وأكلوا شيئاً فلما أراد أبو حفص أن يخرج قال له الشيخ

المجوسي لا يمكنك أن تخرج إلا وأنا أصحبك فأعرض عليّ الإسلام . فأسلم هو وأولاده ورهطه بضعة عشر نفساً فخرج أبو حفص ثم قال لأصحابه إذا خرجتم إلى النزهة فأخرجوا هكذا . لما سبق الحكم له بالسعادة سيق إليه . مثل أبي حفص حتى أكمل الله له نوره كذلك جرت سنته الكريمة إذا أراد الله شيئاً أن يقول له كن فيكون .

* * *

في معنى اسمه « الودود »

الودود : اسم من أسمائه تعالى قال جل قدره ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ وفي معناه قولان أحدهما أنه فعول بمعنى المبالغة من الفاعل . كما يقال رجل قتل إذا كان كثير القتل . وقيل أنه فعل بمعنى مفعول كقولهم ناقة حلوب بمعنى مخلوبة . فمعنى الودود في وصفه تعالى أنه يود المؤمنين ويودونه قال الله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ . قيل سيخلق في قلوبهم ودا لله . فأما معنى المحبة في صفة الحق سبحانه لأودائه . فتكون بمعنى رحمته عليهم وإحسانه إليهم فإذا كانت بمعنى الرحمة والإرادة والمدح لهم كان من صفات ذاته . ولم يزل الله تعالى محباً لأوليائه . ولا يزال محباً لهم وإن كان بمعنى الانعام والإحسان . كانت من صفات الفعل وأما محبة العبد لله فتكون بمعنى لزوم طاعته . وموافقته لأمره وتكون بمعنى تعظيمه له وهيبته منه فكل من كان أكثر طاعة له وأشد تعظيماً كان أكثر محبة ومن كان عاصياً لأمره ومخالفاً له كان بعيداً من محبته . وتكلم الناس في اشتقاق المحبة ، وفي أصل ذلك فقال بعضهم أصله من حبيب الأسنان وهو صفاؤها ونظافتها فكان محبة العبد صفاء أقواله وضياء أحواله . وذلك لتنزهه عن الغفلات وتباعده عن العلات وتنقيته عن أوضار المخالقات وتوقيه عن أجناس الزلات . فإن القلب كالمرآة التي تشاهد فيها أحكام الغائبات ولا تترك المرأة الشواهد إلا إذا صفت وأجمعوا أن كل محبة تكون على ملاحظة غرض فإنها تكون معلولة حتى تكون صافية عن كل مطمع

الودود : كثير الود لعباده يجب من تقرب إليه ويذني الطامعين في قربه . وذاكره يزداد في محبة الله وفي فعل ما يقربه منه . وترك ما يغضبه لذلك يحبه من رآه بجاذبية الحق سبحانه وتعالى .

وقيل أصلها من قولهم أحب البعير إذا إستناخ فلم يبرح . قال الله سبحانه
وتعالى : ﴿ فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي ﴾ . أي لصقت بالأرض
من حب الخير فالمحب أبداً يكون مقراً على باب محبوه بنفسه وبدنه فإن لم يمكنه
فقبله وروحه . سمعت الدقاق يقول إن المشايخ قالوا إن طريقتنا هذه بينة لا
تصلح إلا لأقوام كنس الله بأرواحهم المزابل فالمحب أبداً يكنس باب محبوه
بروحه لا يدع خدمته ما أمكنه . ليصل سيره بسراه ويدع هواه في رضاه
وأنشدوا :

أحبكم ما دمت حياً وإن أمت أحبك قلب في التراب تريب
وأنشدوا :

ومن كاشفات الريب إني وامق تجافيك عني وإعتكافي بيابكا
يهجر فيأبى إلا الوصال . ويقابل بالصد والرد . والإهانة والطرده . والتنفير
والبعد . ولا يزداد في الظاهر إلا جهداً على جهد . وفي الباطن إلا وجداً على
وجد . يوتر الذل على العز والبعد على القرب . وأنشدوا :

وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذا كان حظي منك حظي منهم
وأنشدوا :

رأيتك يدنيي إليك تباعدي فباعدت نفسي لإبتغاء التقرب

وقيل أصله من الحب وهو القرط سُمي جنباً لقلقه وهو إضطرابه كما أن
القرط لا يستقر بل يضطرب دائماً كذلك المحب عديم القرار . بعيد الإضطراب .
لا يسكن أنينه . ولا يهدأ حينه . نهاره ليل . وليله ويل . ونومه مفقود . وفي
قلبه وقود . وقيل أصله من الحبة . وهو يزر ينبت في الصحراء فالمحبة شجرة
تغرس في الفؤاد وتسقى بماء الوفاء أصلها ثابت في السر وفرعها ثابت في هواه
الهمة وثمرها لطائف الأنس تزوي أكلها دائماً جوهر أعلى من عدله . ومنعه أشهى

من بذله . ورده أحلى من قبوله لا يؤدي قتيله . ولا يسلك إلا بتعب التحمل
سبيله وقيل المحبة الإيثار وهو أن لا يدع لمحبوبه ميسوراً إلا بذله ولا ممكناً إلا
استعمله . لا يبقى لنفسه ولحظه يوماً ولا سنة . ولا يستني من جملة ما يبذله
لحظة ولا سنة .

وأنشدوا :

لئن بقيت في العين مني قطرة فإني إذاً في العاشقين دخيل

* * *

في معنى اسمه « المجيد »

المجيد في وصفه سبحانه قيل بمعنى العظيم الرفيع القدر والمجد في اللغة الشرف ويقال معناه الجميل العطا يقال مجدت الإبل تمجد بالنصب في الماضي والرفع في المستقبل إذا رعت في مرعى خصيب وأمجدها صاحبها ويقال أمجدت الدابة إذا أحسنت علفها والعرب تقول في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهما شجرتان إذا حك إحداهما بالأخرى اضطرم النار منهما فمعنى استمجد أي استكثر . فإن قيل إن المجيد بمعنى جليل القدر فهو فعيل مبالغة من الفاعل وإذا قيل أنه بمعنى جزيل العطايا فهو فعيل بمعنى مفعول كأنه أمجد عباده أي أكثر عطاءهم فهو مجيد كالإليم بمعنى مؤلم من قولهم أمجدت الدلبة إذا أحسنت علفها وكل وصف من أوصافه يحتمل معنيين فمن أتى عليه بذلك الوصف فقد أتى بالمعنيين جميعاً ، وكل من قال له مجيد فقد وصفه بأنه عظيم رفيع القدر وأنه محسن جزل البر والله تعالى يحسن إلى عباده ويفيض عليهم سنى نواله ومن وجوه إحسانه إليهم الذي يخفى على أكثر الخلق حفظه عليهم قلوبهم وتصفيته لهم أوقاتهم وأوقاتهم فإن النعمة العظمى نعمة القلوب كما أن المحنة الكبرى محنة القلوب . يحكى عن بعضهم أنه قال كنت قاعداً عند سحنون وكان يترنم في نفسه ويده قضيب يضرب به على فخذه فانشق اللحم وسال الدم وهو يقول :

المجيد : الذي له المجد التام والشرف الرفيع ويظهر من اختارهم لحضرتة وإصطفاهم لمحبتة وخصهم بمناجاته وخلته من أرجاس الشهوات وعلل النفوس بما يفيضه عليهم من صفات الكمال ليكونوا أهلاً لذلك الشرف العالي والمجد الرفيع ويحفظهم مما يشينهم . أو يكون سبباً للتميز منهم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً ﴾ وقال : ﴿ وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ﴾ وهو ذكر نافع لمرضى البرص والجذام والأمراض المستقيحة ولأمراض القلب وذاكره يتحسن في خلقه وفي خلقه .

كان لي قلب أعيش به ضاع مني في تقلبه
 رب فارده عليّ فقد ضاقت الدنيا عليّ به
 رب فارده عليّ فقد عيل صبري في تطلبه
 وأغث ما دام بي رمق يا غياث المستغيث به

ويحكى عن بعضهم أنه قال رأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يقول واوحشاه بعد الأنس واذلاله بعد العز وافقاره بعد الفنى . قال فقلت له أذهب لك مال أم أصابتك مصيبة قال لا ولكني كان لي قلب ففقدته . ويحكى عن أبي عبد الله بن خفيف أنه قال رأيت بمصر فقيراً يطوف على الناس ويقول ارحموني فياني رجل صوفي ذهب مني رأس مالي فقلت أو للصوفي رأس مال قال : فقال نعم كان لي لب ففقدته . وأن الحق سبحانه إذا أراد أن يتحف عبداً أغناه بلا مال وكفاه بلا إحتيال وأعزه من غير رهط وأشكال ، يعافيه إذا مرض من غير علاج ويحميه في عمره من غير فاقة وإحتياج . حكى عن عمرو ابن عثمان المكي أنه قال دخلت على مريض أعوده وهو شاب فقير وكان معنا جماعة من الفقراء فلما قعد عمرو قال الفتى يا أستاذ هل فيهم من يقول شيئاً فأشار عمرو على واحد منهم فقال القوال :

ما لي مرضت فلم يعدني عائد منكم ويمرض عبدكم فأعود
 وأشد من مرضي على صدودكم وصدود من أهوى عليّ شديد
 فلم يزل الفتى يتعاطى على القول وهو يقول حتى استوى قاعداً وخرج معنا . فسئل عمرو عن حالته فقال إن السماع سمع والإشارة من أحبي قبل . وإذا كانت الإشارة من بعد قتلت فتبين بهذا أن في السماع إحياء . وقتلاً وإنباتاً ومحواً . وإن كان الناس عما هم فيه غافلين . ومن أعظم ما ينعم الله على عباده حفظه عليهم توحيدهم ودينهم حتى لا يبدلوا ولا يزيقوا . إذ لولا لطفه وإحسانه لضلوا وارتدوا . . يحكى أن رجلاً ببغداد كان يسمى صالحاً أذن في المسجد أربعين سنة فصعد المنارة يوماً فأذن فأشرف على دار نصراني فرأى فيها امرأة جميلة افتتن بها فنزل ودخل دار النصراني واعتنقها فسألته عن حاله فقال إنه

عشقها فقالت لا سبيل لك إليّ حتى يدخل والدي فيزوجني منك وحتى تدخل في
ديني . قال فتنصر الرجل وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وقصد المرأة فدخلت
بيتاً وردت الباب فأشرف الرجل على السطح وسقط في صحن الدار ومات على
النصرانية ففقد الدين ولم يصل إلى الأمانة وخسر الدنيا والآخرة . فنعوذ بالله من
بغيات مكره وفجآت نقمه ونسأله أن يختم لنا بالخير برحمته .

* * *

في معنى اسمه « الباعث »

معنى هذا الاسم أنه باعث الخلق يوم القيامة يقال بعث الله الموق إذا أحياهم قال الله تعالى ﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾ وقيل أنه باعث الرسل قال الله تعالى ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم ﴾ فيكون البعث في اللغة بمعنى الإثارة يقال بعثت البعير إذ أثرته والانبعاث انفعال منه يقال فلان منبعث في هذا الأمر أي مجد ويكون التبعث القوم المبعوثين كالركب والصحب والشرب والله تعالى قادر على بعث الخلق وحشر الخلق يوم النشور ومن تحقق ذلك وعلم أن بين يديه يوماً هو يوم الحساب والعتاب والثواب والعقاب فبالحري أن يتصفح أحواله ويفتش أعماله ولا يفعل ما يقاسي عليه ندماً أو يجد بسببه المأ قال الله تعالى ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ . يحكى عن الربيع بن خيثم أنه قال مررت بمكتب فرأيت صبياً يبكي فقلت مم تبكي فقال غداً يوم الخميس أحتاج أن أعرض الدرس على المعلم ولست أحفظ . فقلت كيف بي إذ كان يوم القيامة وأحاسب على ما أسلفت . وإذا علم العبد أن الله سبحانه قال ﴿ أحسب الانسان أن يترك سدى ﴾ . وتحقق بأنه يطالبه بأفعاله وأعماله غداً داخله الروح والفرع والطمع شاء أو أبى . يحكى عن أبي الحرث الأوسي أنه قال كنت قاعداً في بيتي فدفقت على جارية الباب فقلت من فقالت جارية تسترشد الطريق فقلت طريق الهرب أم طريق النجاة فقالت يا بطل أو إلى الهرب طريق ثم قالت إقرأ

الباعث : الذي بيده الأمر ويبعث الرسل مبشرين ومنذرين ويبعث الخلق ليوم القيامة ويبعث في الأجساد الأرواح وفي الأكوان الحركة والحياة . وذاكرة يكون مربطاً في سبيل الله راضياً بقضائه ويرزقه الله العلم والحكمة وعلو الهمة .

عليّ شيئاً من القرآن فجرى على لساني : ﴿ إن لدينا أنكالاً وجحياً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً ﴾ فصاحت وخرج روحها . فإذا عليها مسح من شعر فوجد في جيبها رقعة مكتوب فيها . إذا مت فادفوني فيها فإن كان لي ثم قبول أبدلها الله سندساً وحريراً ، وإن لم يكن فسحناً وبعداً . وهكذا إذا علم العبد أن الآخرة هي دار القرار علم أن النعيم الأكبر لا ينفع مع العقاب الأليمة والبلاء الشديد في الدنيا لا يضر مع الخاتمة الجميلة . يحكى عن بشر الحافي أنه كان يلتقط يوماً الحثالة من الطريق فجاء كلب يلتقط معه وكان بشر يلتقط البقل والكلب يلتقط العظام . فظهر لقمة خبز ، فأراد بشر أن يأخذها فنيح عليه الكلب . فطرح بشر الخبز إليه وقال إن كان عاقبتني إلى خير فلا يضرني ما أنا فيه . وإن كان على وجه آخر فأنت خير مني .

فصل : وقد يغلب على العبد الرجاء في بعض الأحوال فيؤمل من الله جميل عفوه ويرجو حسن فضله . يحكى أن الشبلي كان جالساً فدخل عليه إنسان وقال يا أبا بكر من يحاسبنا فقال الله فأخذ الرجل يتواجد ويزعق . فقيل له في ذلك فقال الكريم إذا قدر عفا . وزوي أن أبا هريرة قال للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم العجب من هذا الخلق كيف ينجو أحدهم مع كثرة زلاتهم فقال الحسن رضي الله تعالى عنه العجب ممن يهلك منهم مع سعة رحمة الله فقال أبو هريرة الله يعلم حيث يجعل رسالته وقيل أن رجلاً من الصالحين روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل له عبادا فقال ههنا يعاملون بالجوود . لا بالركوع والسجود . ويعطون بالمنة لا بالخدمة . ويغفرون بالفضل . لا بالفعل .

فصل : ويكون معنى الباعث في وصفه تعالى أنه يتبع الخواطر الخفية في الأسرار فمن دواع يبعثها إلى الحسنات ومن دواع يبعثها إلى السيئات ومن موفق لا لاستحقاق طلب . ومن مخذول لا لعلة وسبب ختم الله تعالى لنا بالجميل إنه على ما يشاء قدير .

في معنى اسمه « الشهيد »

الشهيد إسم من أسمائه تعالى ومعناه العليم قال الله تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ قيل علم الله أنه لا إله إلا هو . ويكون الشهيد هو الحاضر يقال شهد فلان أي حضر وحضوره سبحانه يكون بمعنى علمه ورؤيته وقدرته على الشيء وأنه لا يخفى عليه خافية ويكون الشهيد مبالغة من الشاهد والله تعالى شاهد على الخلق غداً قال الله تعالى ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾ . ويقال شهد فلان كذا أي رأى ذلك . ويكون الشهيد بمعنى المشهود فكأن العباد يشهدونه ويكون الشاهد والشهيد في وصفه تعالى أنه يبين الدلائل ويوضح الحجج ويسمى الشاهد شاهداً لأنه تبين شهادته حكم المشهود عليه لأنه إذا شهد الشهود اتضح حكم المشهود به . وأما الشهيد في صفة الخلق فالمقتول في سبيل الله سُمِّيَ شهيداً . واختلف الناس لم سُمِّيَ بذلك . فمنهم من قال لأن دمه سال على شهادة الأرض أي على ظاهرها وهذا لا يقوى لأن غير المقتول يسمى شهيداً كالمبطون والغريق وغيره . وليس كل مقتول في سبيل الله يجري دمه على شهادة الأرض وقيل سمي شهيد الوقعة والمعركة وهذا أيضاً لا يقوى . لأنه إذا لم يقتل في سبيل الله لا يسمى شهيداً وإن حضر الوقعة وقيل إنما سمي شهيداً لأن ملائكة الرحمة تشهده أي تحضره فيكون فعلاً بمعنى مفعول وهذا أقوى وقيل إنما سمي شهيداً مبالغة من الشاهد أي شهد هو رحمة الله ولطفه . وقيل سمي شهيداً بمعنى مفعول أي الله شهد له باللطف والرحمة وإذا علم العبد أن الله تعالى يشهد ويعلم ويبصر جميع أفعاله وأحواله سهل عليه ما

الشهيد : الذي يرى أفعال خلقه ويعلم سرهم ونجواهم ولا يمكن الاستخفاء منه ولا تضيع الشهادة عنده . وله ألحجة البالغة على مخلقه . قال الله سبحانه وتعالى ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ . وذآكره يخشى ربه في السر والعلن . ويخلص في عمله لوجه الله تعالى ويكون من أهل المعرفة .

يقاسيه لأجله وهان عليه ما يعانیه لرضاه . قال الله تعالى : ﴿ واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ﴾ وحكي أن رجلاً كان يضرب بالسياط وكان يصبر ولا يصيح فوقف عليه بعض المشايخ فقال له أما يؤلمك . فقال نعم فقال لم لا تصيح . فقال في القوم لي عين ترقبني^(١) أخشى أن يذهب ماء وجهي عنده إن صحت . سمعت الشيخ منصور المغربي يقول : جرد إنسان للسياط فصبر ولم يصح فلما فرغوا من ضربه قال لبعض أصحابه تقدم إلى فتقل على يديه رفاق الفضة . فقال ما هذا فقال درهم كان في فمي كلما أوجعني الضرب شددت عليه أسناني لأنه كان ينظر إليّ بعض من اعتقد في الشجاعة والجلادة فقلت إن صحت ذهب ماء وجهي عنده . ويحكى عن بعضهم أنه قال دخلت بلاد الترك فرأيت بيتاً للأصنام فيه صنم كبير معلق على رأسه طابق^(٢) وفي عنقه فأس معلق . فقلت ما هذا فقال جاء إنسان وادعى محبة هذا الصنم فقبل له ما علامة صدقك فقال أن أقطع بين يدي هذا الصنم ارباً ارباً ويعلى عليّ هذا الطابق وأنا لا أتحرك في رؤيته . ففعل به ذلك فصبر فعلق هذا على رأسه ويقال من ادعى محبة هذا الصنم فليصبر على ما صبر عليه ذلك الرجل . وإذا كان الناس يميلون على رؤية أمثالهم وأشكالهم أمثال هذه المحن . فمن ادعى المحبة لرؤية الله تعالى ثم لا يصبر على قرصة نملة . مخدوع . وإذن علم أنه متجاوز في دعواه . غير صادق في حق مولاه . قال الله سبحانه ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضي من القول ﴾ وكان الله بما يعملون محيطاً ﴿ وأن أهل المعرفة لم يطلبوا معه مؤنساً سواه . ولا أحد يشكون بين يديه غيره . بل رضوانه شهيداً على أحوالهم عليماً أمورهم كيف وهو يعلم السر وأخفى ويسمع النجوى ويكشف البلوى ويجزل الحسنى ويصرف السوء :

أنتم سروري وأنتم مشتكى حزني وأنتم في سواد الليل سماري^(٣)
 فإن تكلمت لم ألفظ بغيركم وإن سكت فأنتم عقد إضماري

(١) الذي في المختصر محبوب برفبني

(٢) طابق كهاجر وصاحب الأجر الكبير . فارسي معرب .

(٣) جمع سامر من السمر وهو الحديث بالليل .

في معنى اسمه « الحق المبين »

الحق من أسمائه تعالى وهو بمعنى الموجود الكائن الذي ليس بمعدوم ولا منتف . والحق المطلق في اللغة بمعنى الموجود . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « السحر حق والعين^(١) » . أي كائن موجود وكذلك يقال الجنة حق والنار حق أي كائن موجود وكذلك الصراط حق والساعة حق ويكون الحق بمعنى ذي الحق كما يقال رجل عدل ورضي أي ذو عدل وذو رضى . كما قال الشاعر :

ترتع ما ترتعت حتى إذا أدكرت فإئتما هي إقبال وإدبار

أي ذات إقبال وإدبار . ويكون الحق في وصفه سبحانه بمعنى يحق الحق . والحق المنفرد في وصف غيره يكون بمعنى ما يحسن فعله ويصح إعتقاده ويميز النطق به يقال هذا فعل حق وهذا القول حق وهذا الاعتقاد حق وعكسه بالتبطل المطلق يكون بمعنى المعدوم ويقال في اللغة حققت الشيء وأحققته فهو حق . ويقال حق لك أن تقول كذا . وحق عليك أن يفعل لك الحق . وحقيق لك فيكون حقيقاً فعلاً بمعنى الفاعل ويكون بمعنى المفعول . وأما الحق والحقيقة في صفات الخلق في إصطلاح هذه الطائفة . فيعنون بالحق ما يعود إلى الحقائق وأوصاف القلوب من المعارف ويعنون بالحقيقة المعاملات والمنازلات . وإنما أخذوا

الحق : الثابت الذي لا يزول . واجب الوجود لذاته . ولا وجود للحوادث إلا به ولا معبود بحق إلا هو قال سبحانه وتعالى ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ . وهو من صفات الذات وذاكره يكون من أهل التوحيد وهو من أسرع الأسماء في الفتح والتجلى .

(١) في بعض النسخ للعين حق والسخر حق .

هذا الاصطلاح من خبر حارثة حيث قال له صلى الله عليه وسلم لكل حق حقيقة . فما حقيقة إيمانك قال أسهرت ليلي وأظمأت نهاري فأشار بالحقيقة إلى المعاملات في سهر الليل وظماً النهار . سمعت الدقاق رحمه الله تعالى يقول سمعت العباس الزوزني الزاهد يقول كنت في ابتداء أمري أسافر وعليّ مسح وفي عنقي غل . فدخلت ديراً للنصارى بالشام فوصف لي فيه امرأة مجتهدة فأردت أن ألقاها فرأيتها كالخلال دقة ونحافة لكثرة الاجتهاد في طول الجوع والخلوة . فقلت لها ما أحسن هذا الجهد لو كان في حق . فقالت إن لم يكن هذا في حق . . فإنه حقيقة . فأنت تدعي الحق فأين الحقيقة تعنى الجهد والمعاملة . قال ولم تكن لي تلك المعاملة فخرجت .

فصل : وأكثر ما يجري على لسان هذه الطائفة من أسمائه تعالى الحق وذلك لما ذكرنا أن الحق هو الموجود . لأن القوم ارتقوا من شهود الأفعال إلى شهود الصفات . ثم من شهود الصفات إلى شهود الذات . وكما أن العلماء الذين هم أهل الاستدلال بالتفعل على الفاعل أكثر ما يجري على لسانهم الباري والتباري هو الخالق فكذلك الغالب على لسان هؤلاء من أسمائه تعالى الحق . سمعت الدقاق يقول إن الله تعالى تعرف إلى العامة بأفعاله فقال عز ذكره ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾^(١) وتعرف إلى الخواص بصفاته فقال عز من قائل ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن وما تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه . وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ﴾ وتعرف إلى خاصة الخاصة . بحقيقة حقه وذاته . فقال تعالى ﴿ قل الله ثم ذرهم ﴾ .

فصل : ومن عرف أنه ذو الحق أثر حقه على حظه وحق الحق أحق . وعلامة من أثر على حظه أن يسخر له خلقه ويحقق له ظنه يحكى عن بعض الصالحين أنه قال كان ابتداء توبتي أنه كان تاجراً بزازاً فدخل السوق خادم من

(١) ملكوت : أي ملك .

دار الخليفة يطلب ثياباً لهم فعرض هذا الرجل الثياب على الخادم فبينما هو في ذلك إذ أذن المؤذن فترك هذا الرجل الخادم واشتغل بالصلاة فحرد الخادم وقال إحمل ثيابك وحمل الثياب من حانوت آخر إلى دار الخليفة فلم ترتض ورجع الخادم إلى حانوت هذا الرجل شاء أم أبى وحمل ثيابه وارتضوها واشتروا منه بريح كثير وافر فلما أمسى الرجل رأى في المنام كأن قائلاً يقول له آثرت الصلاة على تجارتك فلا جرم قدمنا ثيابك على ثياب غيرك فلما أصبح الرجل سر بتلك الرؤيا وتصدق بجميع ماله وصار شيخ وقته . وأما المبين في وصفه سبحانه فهو الذي يوضح الحق ويعليه ويقيم البرهان ويوضحه ويظهر الحق من الباطل بالعلامات التي ينصّبها ويبين من مكنونات العبد ما لم يخطر ببال أحد من دقائق آثار الحكمة وعجائب متعلقات القدرة ويبين لقلوب الموحدين على الخصوم في شواهد الربوبية ما يزيل الشبهة ويعلي الحجّة .

* * *

معنى اسمه « الوكيل القوي »

الوكيل والقوي إسمان من أسمائه تعالى قال الله تعالى ﴿ وكفى بالله
 وكيلاً ﴾ ومعنى الوكيل الذي وكل إليه الأمور فهو فعيل بمعنى مفعول ومن عرفه
 وكل إليه أموره بل هو المتولي لأحوال عباده يصرفهم على ما يريد ويتولى بأسبابهم
 على ما يختاره وهو وكيل قوي يقدر على ما يريد إمضاءه ويقوى على ما يشاء
 إنشائه وإذا تولى أمر عبد بجميل الكفاية كفاه كل شغل وأغناه عن كل غير ومثل
 ولا يستكثر العبد حوائجه لأنه يعلم أن كافيته مولاه . ولهذا قيل من علامات
 التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل ويحكى عن ممدار الدينوري أنه قال كان عليُّ
 دين فهمت ليلة من الليالي وضاق صدري فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً
 يقول لي يا بخيل أخذت على هذا المقدار خذ فعليك الأخذ وعلى القضاء قال
 فانتبهت ففتح لي بما قضيت الدين وما حاسبت بعد ذلك قصاباً ولا بقالاً .
 وحكي أن أحمد بن خضرويه لما حضرته الوفاة كان عليه سبعون ألف درهم
 فحضره غرماؤه فقال يا إلهي : روحي رهن في أيديهم فإن أردت قبضها فاقض
 حقوقهم فذق إنسان الباب وقال ليخرج غرماء أحمد ابن خضرويه ففضى دينه ثم
 مات رحمه الله تعالى .

فصل : وأن من له وكيل يتولى أشغاله فيسأله الاجرة على أعماله وربما

الوكيل : الكفيل بالخلق المدير لحاجاتهم لا يرجع أمرهم إلى غيره ويكفي المتوكل عليه
 ما أمه وذاكره يكثر رزقه وينتصر على ظالمه ويأمن من المكروه .
 القوي : الذي لا غالب له ولا يعتره ضعف أو وهن . ولا يحتاج إلى عدد أو معين
 تنزه عن مشابهة الحوادث فيما يحتاجون إليه تمت قدرته ونفذت كلمته ﴿ كتب الله لأغلبن أنا
 ورسلي إن الله لقوي عزيز ﴾ وذاكره يخاف الله تعالى ويقوى على مجاهدة النفس والهوى
 والشيطان وينصر على أعدائه ويقوى جسده .

يخون في ماله ثم يخطيء في كثير من أحواله وربما لا يهتدي كما ينبغي لوجوه أشغاله . والحق سبحانه يأخذ لمن يرضى به وكيلاً . ثم يحقق له تأملاً ويثني عليه جميلاً ويعطيه جزياً ولا يسأله على ما يتولاه من أموره عوضاً بل يضاعف له فضلاً ونعمة ويلطف به في دقائق أموره وأشغاله ما لا يرتقي إليه آماله ولا يأتي على تفضيله سؤاله سنة منه سبحانه جميلة أمضاها وعادة كريمة بين عباده أجزاها .

فصل : ومن عرف أنه وكيله وصدق عليه تعويله فالحري أن يكون وكيله سبحانه على نفسه في استيفاء حقوقه ولوازمه وإقتضاء أوامره وفرائضه فيكون خصمه سبحانه على نفسه ليلاً ونهاراً لا يغتر لحظة ولا يجوز التقصير بته وأنشدوا :

على رقيب منك خال بمهجتي إذا رمت تسهياً عليّ تصعباً

ويحكى عن بعضهم أنه قال رأيت ببلاد الهند شيخاً كبيراً يسمى الصبور فسألت عن حاله فقيل أنه كان له حبيب في عنقوان^(١) شابه فسافر يوماً فخرج هذا الرجل إلى وداعه فبكت إحدى عينيه ولم تبك الأخرى فقال لعينه لأحرمك النظر إلى محبوب الدنيا عقوبة لك إذ لم تساعديني على البكاء لفراق محبوبي فمنذ ثلاثين سنة غمض عينه ولم ينظر بها إلى شيء وفي القصة أن يوسف عليه السلام كان له زوج حمام فلما فارق يوسف يعقوب عليها السلام فكلما أراد يعقوب أن يتسم أو يخاطب أحداً أو يتكلم جاء الحمام ووقف بحذائه يذكره عهد يوسف عليه السلام فكان يتنصص بعيشه ، فإذا كان مثل هذا موجود في وصف المخلوقين إذا كانت محبتهم لأشكالهم فأولى وأحرى أن يكون مثل هذه المطالبات محفوظة على الأحياب فإن عهد الأحياب لا يخلق^(١) عند الأحياب ولا يزدادون على عمر الأيام إلا وفاء على وفاء وصفاء على صفاء يخلق الدهر ويبيلى وهم بعد

(١) عنقوان الشيء : أوله .

(١) من خلق الثوب بالضم إذا بلى .

طول الزمان أحبة . وفي معناه أنشدوا :

وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن
كلي بكلك مشغوف ومرتهن

لم ينسينك سرور، لا ولا حزن
ولا خلا منك قلبي لا ولا بدني

وأنشدوا :

وأجفانها من شدة الوجد تذرِف
فلسنا وحق الله عن ذاك نصرف

ولا أنس بالأشياء لم أنس قولها
الست على العهد الذي كان بيننا

وأنشدوا :

إلا وأنت منا قلبي ووسواسي
إلا وأنت حديثي بين جلاني
إلا رأيت خيالاً منك في الكاس

يا عز ما طلعت شمس ولا غربت
وما جلست إلى قوم أحدثهم
وما هممت بشرب الماء من ظمأ

وأما القوي في وصفه تعالى فهو بمعنى القادر واشتقاقه في اللغة من قوى
الحبل وهي طاقاته وقد مضى معناه في معنى القادر فيما تقدم فاغنى عن إعادته .

* * *

في معنى اسمه « المتين »

المتين اسم من أسمائه تعالى ورد به الخبر وهو بمعنى القوي واشتقاقه من المتانة وهي الصلابة مأخوذة من المتن الذي هو الظهر لأن استمساك أكثر الحيوان يكون بالظهر فتسمى القوة متانة ولا يصح في وصفه تعالى المتن ولا الصلابة ولكنه يكون بمعنى القدرة وفي هذا دلالة على صحة مذهب أهل الحق لأن الله تعالى لا يسمى بما لم يرد به التوقيف والأذن من قبله لأنه لا يوصف بالجلادة والشجاعة ويوصف بالقوة والقدرة لأن التوقيف ورد بذلك دون غيره ويجوز أن يسمى المتين . ولا يسمى بالمتانة ولا بالصلابة فالمعتبر في هذا الباب إطلاق ما ورد به التوقيف على الوجه الذي قد ورد صبح معناه في وصفه أو لم يصح والامتناع مما لم يرد به الأذن صبح معناه في وصفه أو لم يصح وهو سبحانه على ما يشاء قدير لا يخرج عن قدرته مقدور كما لا ينفك عن حكمته مطور . وهو سبحانه في إمضائه بحكمه غير مستظهر^(١) بجند ومدد . ولا مستعين بجيش وعدد ، إن أراد إهلاك أحد أهلكه بيده حتى يخرج على نفسه فيتلف نفسه إما خنقاً وإما غرقاً وإما تعاطياً لما فيه هلاكه بوجه من الوجوه . سمعت الشيخ الدقاق^(٢) يقول : لما أراد الله إهلاك قوم نوح نصح نوح ابنه وأمره أن يركب

المتين : شديد القوى لا تلحقه في أفعاله مشقة يقول كن فينتظم عقد ما يريد ولا يزول أبداً. ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الخلق . قال سبحانه وتعالى : ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ وذاكره مع اسمه تعالى القوي يكون من أهل اليقين .

(١) مستظهر أي مستعين بجند أي أنصار وأعوان .

(٢) الدقاق يقول خف من لا يحتاج إلى عون عليك بل إذا شاء إتلافك أخرجك على نفسك حتى يكون هلاكك على يدك . وقال بعضهم :

إلى حنفي مثنى قدمي أرى قدمي أراق دمى

معه في السفينة فأوى إلى الجبل واتخذ بيتاً من زجاج ودخل فيه لئلا يؤثر فيه الماء فأبلاه الله بكثرة البول حتى امتلأ ذلك البيت من بوله وغرق فيه . فغرق الله سبحانه جميع العالم في الماء وغرق ابن نوح في بوله . سئل الجنيد عن الخوف فقال : توقع العقوبات مع مجاري الأنفاس وقال سري السقطي إني لأنظر إلى أنفي كل يوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد أسود وجهي من عقوبته . وفي بعض الحكايات أن رجلاً سمع في الطواف يقول : اللهم إني أعوذ بك من سهم الغضب فسئل عن معناه فقال : أتي مجاور منذ خمسين سنة فرأيت يوماً شخصاً فاستحسنته فوقعت على وجهي لطمة فسالت عيني على خدي فإذا أنا بصوت لطمة بلحظة ولو زدت لزدتنا . وقد يمتحن الحق تعالى أوليائه ويختبرهم بما يقدر أن يتولاه بنفسه فيكله إليهم إمتحاناً لهم واختباراً ثم يفعل ما يريد وربما يحوج بعض أوليائه في الظاهر إلى خلقه وهو قادر على كفاية أسبابهم من غير أن يكلمهم إلى أمثالهم . يحكى عن الكتاني أنه قال كان لأبي حفص الدينوري أخ وكان لا يبيت في المسجد أكثر من ليلة وكان حسن الطريقة فاعتل في قرنة وقتاً فبقي فيها سبعة أيام عليلاً لم يكلم أحداً ولم يتعاهده أحد فمات فأخذوا في جهازه فاجتمع الخلائق من القرى وقالوا سمعنا صوتاً : من أراد أن يحضر جنازة ولي من أوليائه الله فليحضر قرية بني فلان . فلما دفنوه أصبحوا وجدوا الكفن ملفوفاً في المحراب وفيه رقعة مكتوب فيها لا حاجة لنا في كفنكم . هذا ولي من أوليائنا مات فلا أطعمتموه ولا سقيتموه ولا عللتموه ولا كلمتموه . قال فاتخذوا في تلك القرية للضيافة فلم يمر بهم غريب إلا اضافوه وأحسنوا إليه وتلك القرية بالشام ، وأن من علم أن مولاه قدير على ما يريد قطع رجاءه عن الأغيار وتفرّد سره بمن لم يزل ولا يزال كما أخبر سبحانه عن إبراهيم أنه قال : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع » قال أهل الإشارة معناه سهلت طريقهم إليك وقطعت رجاءهم عن سواك ثم قال : « ليقيموا الصلاة » أي شغلّتهم بخدمتك فأنت أولى بهم مني ومنهم ثم قال : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » أي إذا احتاجوا إلى شيء فذلّل عبادك لهم وأوصل رعايتك إليهم فإنك

على ما تشاء قدير وأن من لزم بابه أوصل إليه محابه وكفاه أسبابه وذلّل له كل
صعب وأورده كل منهل عذب من غير قطع شقة ولا تحمل مشقة يحكى عن
الجنيد أنه قال : سمعت السري يقول : إن في قرى بغداد أولياء الله لا يعرفهم
الخلق فكنت أمشي وأدور في القرى لعلي أحد منهم أجداً .

* * *

في معنى اسمه « الولى »

الولى اسم من أسمائه قال الله تعالى : ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ فالولى في وصفه تعالى هو المتولى لأعمال عباده . وقيل هو فعيل من الوالى يقال ولى فلان الأمر ولاية فهو وال وولى على المبالغة والولى في اللغة يكون بمعنى الناصر وأولياء فلان أنصاره والولى القريب وقوله تعالى ﴿ أولى لك فأولى ﴾ قيل معناه قاربك ودنا منك ما خرفت به فانتبه له والولى في اللغة في غير هذا الموضع المطر الذي يأتي بعد الوسمي^(١) فأولياء الله تعالى أنصار دينه وأشياء طاعته وقد مضى طرف من هذا وقال تعالى ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ قيل معناه نحن أنصاركم وتكون الولاية بمعنى المحبة ﴿ والله ولى المؤمنين ﴾ أي يحبهم وأخبر الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام أنه قال « أنت ولىي في الدنيا والآخرة » وقال بعض أهل الإشارة لما علم الله تعالى تقاصر السنة المذنبين وعلم أن في هذه الأمة من ارتكب الذنوب وليس لهم جسارة الدعوى بدأهم بجميل فعله فقال عز من قائل ﴿ نحن أولياؤكم ﴾ فشتان بين عبد يقول أنت ولىي وبين عبد يقول له الحق نحن أولياؤكم . لا نقدم الواحد منا على رتبة نبي ولكن الرفق بالضعفاء أكثر والفضل منهم أقرب ولولم تكن في القرآن آية في هذا الباب غير قوله ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن

الولى : التولى لعباده المؤمنين يختصهم بعنايته وسابغ كرمه قال الله سبحانه وتعالى ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ وقال على لسان رسوله « إن ولىي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » وقال « أنت ولىي في الدنيا والآخرة توفي مسلماً وألحقني بالصالحين » وذاكره يؤيده الله بخصوصية الكرامة .

(١) والوسمى أول المطر في الربيع وسمى ولياً لأنه يلي الوسمي .

الكافرين لا مولى لهم ﴿ لكفى بذلك شرفاً لهم وذخراً . واعلم أن العبودية بالعبد لسبب وولاية الله سبحانه له ابتداء فالسبب لم يكن وما من الحق لك لم يزل فلأن يكون إذلالك بمعنى لم يزل خير لك من أن يكون حالك لمعنى لم يكن .

فصل : ومن علامات من يكون الحق سبحانه وليه أن يصونه ويكفيه في جميع أحواله وشئونه فيغار على قلبه أن يتعلق بمخلوق في دفع ضر أو جلب نفع بل يكون القائم على قلبه في كل نفس فيحقق أماله عند إشاراته ويعجل له مآربه عند خطراته . يحكى عن يوسف الرازي أنه قال دخلت على ذي النون المصري يوماً فقال : إيش يقول الناس فيّ فقلت : يقولون إنه زنديق . فقال : الأمر سهل حيث لم يقولوا إنه يهودي فإن الناس تنفر قلوبهم عن اليهود أكثر مما تنفر عن غيرهم فخرجت فلم ألبث أن سمعت أنهم يقولون إنه يهودي فدخلت عليه وأخبرته فتبسم . ثم إنهم قصدوا السلطان^(١) . ليسعوا به فركبوا الزورق فنظر إليهم ذو النون وحرك شفثيه فكادوا يغرقون ثم إنهم تابوا إليه وتضرعوا فقبل عذرهم وأن من لم ينتقم لنفسه انتقم الله له ومن لم ينتصر لنفسه انتصر الله له .

فصل : ومن إمارات ولايته لعبده يديم توفيقه حتى لو أراد سوء أو قصد محظوراً عصمه عن ارتكابه أو لو جنح إلى تقصير في طاعته أبى إلا توفيقاً له وتأييداً . وهذا من إمارات السعادة وعكس هذا من إمارات الشقاوة ومن إمارات ولايته أيضاً أن يرزقه مودة في قلوب أوليائه فإن الله سبحانه ينظر إلى قلوب أوليائه في كل وقت فاذا رأى لعبد في قلوبهم محلاً نظر إليه باللطف وإذا رأى همة وليّ من أوليائه في شأن عبد أو سمع دعاء وليّ في شأن شخص يأبى إلا الفضل والإحسان إليه بذلك أجرى السنة الكريمة . يحكى عن بعضهم أنه قال رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال أقامني بين يديه وقال لها مشغب أنت المشغب لولا أنك كنت تثني عليّ في بعض مجالسك فمربك

(١) سعى به إلى السلطان رضى ونم .

ولي من أوليائي فاستحسن ثناءك عليّ فاستوهبك مني فوهبتك له لعذابتك (١) .
وسمعت الدقاق يقول لو أن ولياً من أولياء الله مر ببلدة للحق بركات مروره
أهل تلك البلدة حتى تعمهم كلهم قال الله سبحانه ﴿ وما كان لهم من أولياء
ينصرونهم من دون الله ﴾ فأولياؤه يكونون في العز دنياهم وعقباهم وآخرتهم
وعقباهم جعلنا الله منهم بمنه ورحمته



(١) المعنى أن هذا الولي شفع فيك لسبب ثنائك على مع أن كثرة ذنوبك كانت تستدعي عقوبتك وهذا يفيد أن أقل الثناء على الله يشفع لصاحبه .

في معنى اسمه « الحميد »

الحميد إسم من أسمائه تعالى وهو فعيل بمعنى مفعول محمود بحمده لنفسه وحمد خلقه له ويكون فعياً بمعنى فاعل حامد لنفسه وحامد لعباده المؤمنين فالحمد يتصرف في اللغة على وجوه يكون فعلاً بمعنى المدح والثناء ويكون بمعنى الشكر ويكون الفرق بينهما أن الشكر في مقابلة إحسان والحمد يكون في مقابلة إحسان ويكون بمعنى المدح بذكر صفات العلو وإن لم يكن ذكر إحسان يقال حمدته على رفعة وشكرته على نعمته قال الشاعر :

بحمد من ثنائك لا ينذم أنافر أن تجود على مثالي

أي بمدح واستحقاق ثناء . ويكون الحمد في اللغة بمعنى الرضى يقال : بلوته فحمدته أي اخترته فارتضىته . ويكون الحمد بمعنى العاقبة يقال حمادى أمرك أي عاقبة أمرك فقول القائل : الحمد لله يكون بمعنى المدح لله والشكر لله والعاقبة لله والرضى لله . وأول من حمد الله تعالى جل جلاله وكما حمد نفسه بخطابه الأزلي حمد خلقه الذين أثنى عليهم بذكر خصالهم الحميدة . وحمد العبيد لله سبحانه إذا كان بمعنى مدحهم وثنائهم فيكون بتوفيق من الله سبحانه وتعالى ولا يقبل ذلك إلا أن يكون عن تحقيق . والتحقيق عرفان القلب ما يثنى به على الرب لأن الله تعالى أبى أن يقول العبد ما لا يعلم في وصفه وإن كان صادقاً في قوله . قال الله سبحانه ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ . وأما حمده الذي

الحميد : الذي استحق الحمد بكرمه وجزيل نعمه وحسن فعاله ولا يحصى نعمه وحمده إلا هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، ومن ذكره مع اسمه تعالى اولى وداوم وأكثر يستغنى بالله عن الخلق ويصل إلى درجات الأولياء .

هو شكره فينبغي أن يكون على شهود المنعم لأن حقيقة الشكر الغيبة بشهود المنعم عن شهود النعمة . وقيل إن داود عليه السلام قال في مناجاته : إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك عليّ فأوحى الله إليه الآن قد شكرتني . وكم من عبد يتوهم أنه في نعمة يجب عليه شكرها وهو في الحقيقة في محنة يجب عليه الصبر عنها فإن حقيقة النعمة ما يوصلك إلى المنعم لا ما يشغلك عنه فإذا النعم ما كان دينياً فإن كان مع النعم الدينية إرب معجل فهو الكمال فإن وجد التوفيق للشكر وإلا انقلبت النعمة محنة ويقال إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام إرحم جميع الخلق المبتلي منهم والمعافي فقال : هذا المبتلي فما بال المعافي قال لقله شكرهم وبالله التوفيق الموسع الأشياء بعد الضيق .

* * *

في معنى اسمه « المحصي »

ورد الخبر بهذا الإسم وقال تعالى ﴿ أَحصى كل شيء عدداً ﴾ ومعناه العالم بجميع المعلومات وقوله تعالى ﴿ أَحصى كل شيء عدداً ﴾ أي أحاط بكل شيء علماً وقوله صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة » قيل من علمها ويحتمل أن يكون معنى المحصي في وصفه بمعنى عدّه الأشياء وهو إخباره عن الأعداد . والله تعالى يخبر عن تفصيل المعدودات والعدد لفظ اللفظ وخبر المخبر عن المعدود فيما بيننا وكذلك عدّه الأشياء إخباره عن تفصيل اعدادها ومن آداب من علم أنه يحصي أنفاسه أن يحفظ معه أنفاسه ويراعي له حواسه لأنه إذا علم أنه منه قريب وعليه رقيب فحقيق بأن يهاب أماكن إطلاعه .

فصل : ومن آداب من علم أنه المحصي أن يتكلف عد آلائه لديه وإن علم أنه لا يحصيها قال الله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ ويرعى وقته بذكر إنعامه وشكر أقسامه فيستوجب المزيد من عوائد إحسانه حسباً وعد من فضله وإنعامه رثي بعضهم يعد تسبحاته فقيل له لم فلان أعد عليه فقال لا ولكن أعد له ويجب أن يراعي أيامه ويعد آثامه فيشكر جميل ما يوليه ربه ويعتذر من قبيح ما تأتيه نفسه . يحكى عن أبي حفص أنه قال منذ ثلاثين سنة ما أملت على مثلي ما استحي منه ومنذ ثلاثين سنة ما واليت أحداً للدنيا ويحكى عن أبي عثمان الخيري أنه قال منذ أربعين سنة ما أقامني الله في شيء نكرهته . وقيل

المحصي : السذي أحصى كل شيء عدداً أحصى الخلق وأحصى الحسنات وأحصى السيئات وأحاط بكل شيء علماً . وذآكره يخاف المعاصي ويسارع إلى فعل ما يرضي الله وتخضع له قلوب الخلق .

العاقل الفاضل من عدت سقطاته .

فصل : ومنهم من يعدد أيامه ومنهم من يعد أيامه فيقول ويفكر مذكم يوم فقد قلبه أوفذكم يوم يؤمل منه شيئاً فلا يجد بعد أربه أو مذكم يوم بلي بحجابه أو مني بعباده وأنشد بعضهم :

الإلف لا يصير عن إلفه أكثر مما تطرف العين
وقد صبرنا عنكم ساعة ما هكذا بي يفعل البين

فإن تذكر الأيام الماضية والتأسف على ما سلف من الأوقات الصافية صفة الأكثرين من هذه الطائفة إذ قل كثير منهم إلا وله من هذه القصة حصّة وهذا سيد هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد يقول لا أزال أحن إلى بدء إرادتي وجدة سعبي وركوبي الأهوال طمعا في الوصال وها أنا في أوقاتي أبكي على أيامي الماضية ثم أنشأ يقول :

منازل كنت تمهاها وتألّفها أيام كنت عن الأيام منصورا

قال الله تعالى ﴿ وذكّرهم بأيام الله ﴾ واعجباً للقلوب التي منيت^(١) بالعباد بعد الوصلة وأضلتها سحائب الغيبة بعد أنس القرينة كيف لا تتقطع أسفاً ولا تتبدد حسرة وهفاً . إن هذا لعظيم من المحنة وشديد من الواقعة .

فصل : وقد يحصي الحق سبحانه على العبد أوقات غيبته حتى إنه لو قصر في الحضور أو جنح إلى الفترة عاتبه بدقائق الإشارة بما لو لم يسرع في الأونة لأدار على رأسه رحي المحنة وأقام عليه قيامة المعاتبة فإن الأحباب يساعون في كل شيء إلا الغيبة .

يحكى أن شيخاً نظيفاً حسن الشارة^(٢) رثي معه حدث يضرب حر^(٣)

(١) ابتليت .

(٢) الشارة . اللباس والهيشة أزهد مختار

(٣) حر الوجه بضم الحاء ما بدا من الوجنة .

وجهه بنعله فقيل ألا تستحي من ضربك هذا الشيخ فقال الحدث : هذا الشيخ يدعي أنه يهواني ومنذ ثلاث ما رأي .

فصل : ومن علم أنه سبحانه رقيب عليه لم يخاطب أحداً إلا وقلبه مع الله تعالى فأوقاته كلها جد وأحواله كلها صدق انتفى المزح والهزل عن أحواله أجمع . سمعت الدقاق يقول : يحكى عن ممشاد الدينوري أنه قال جرت لي مع فقير حكاية فما مازحت بعدها فقيراً لأنني علمت أن أوقات الفقراء كلها جد وذلك أنه ورد عليّ فقيراً يوماً فقال لي يا أستاذ العصيدة فقلت إرادة وعصيدة فمر الفقير وهو يقول إرادة عصيدة إرادة وعصيدة قال : فظننت أنه يمزح فتغافلت عنه ثم تذكرت أمره فقلت لبعض أصحابنا أصلحوا له عصيدة قال فظل بالزجل فلم يوجد فسألت عن حاله فقالوا إنه هام على وجهه فلم يزل يقول إرادة وعصيدة حتى مات .

ويحكى أنه كان بين أحمد بن أبي الخواري وبين أبي سليمان الداراني عقد أن لا يخالفه في شيء يأمره به فسجر أحمد التنور يوماً وقال لأبي سليمان سجرت التنور فلم يجبه فقالها مرتين أو ثلاثاً وكان أبو سليمان ضاق صدره من شيء فقال إيش أفعل قال له مز واقعد فيه واشتغل بشيء ثم تذكر أمره بعد ساعة فقال أدركوا أحمد لأنه في التنور لأن بني وبينه عقداً أن لا يخالفني قال فنظروا فإذا أحمد في التنور لم تتغير منه شعرة .

* * *

في معنى اسمه « المبدىء المعيد »

هما إسمان ورد بهما نص القرآن والمبدىء المظهر وهو بمعنى الخالق المنشئ يقال بدأ الله الخلق وأبدهم بمعنى واحد قال الله تعالى ﴿ وهو الذي يبديء الخلق ثم يعيده ﴾ فهذا من بدء وقال تعالى ﴿ إنه هو يبديء ويعيد ﴾ وهذا من إبداء ويقال ابتداء الله الخلق بمعنى بدء وهو إظهار الشيء من العدم إلى الوجود فإما الإعادة فهو خلق الشيء بعد ما عدم والله تعالى قادر على إعادة الحوادث إذا غدمت جواهرها وأعراضها خلافاً لمن قال إن الإعادة للشيء بمعنى خلق مثله لا إعادة عينه وذلك أنه إذا كان مقدوراً قيل أن خلقه فإذا عدم بعد وجوده إعادة إلى ما كان عليه فكما قدر على أن يخلقه إبتداءً وجب أن يكون قادراً على أن يخلقه ثانياً والإعادة إبتداءً ثانٍ وكما لا فرق بين الخلق والمخلوق فكذلك لا فرق بين الإعادة والمعاد وقد يسمى رد الشيء إلى مثل تركيبه الأول وتأليفه الأول إعادة ومنه قولهم أعاد فلان بناء داره وكذلك يقال أعاد فلان حديثه إذا تكلم بمثل كلامه الأول ويجوز أن تكون الإعادة أيضاً جمع الأجزاء المتفرقة من المالكين فإذا بعث الخلق وحشرهم فقد أعادهم والله تعالى يبدأ الخلق أي يخلقهم في الدنيا ثم يعيدهم أي يحشرهم في القيامة ومما يتعلق بباب الوعظ والتذكير في معنى هذا الإسم إعادة الله سبحانه للعبدة عوائده وألطفه وإحسانه وقد أجرى الله سبحانه سنته بأن ينعم على عباده عوداً على بدء وإن الكريم من بدأ بصنائه بعود على بدء وفي معناه أنشدوا :

بدأت بإحسان وثنيت بالرضى وثلثت بالنعماء وربعت بالفضل

وفي بعض الحكايات أن بعضهم دخل على بعض الكرام فقال له عهدك بنا قريب فلم أسرعت العودة فقال لقول الشاعر فيك :

فأعطى ثم أعطى ثم عدنا فأعطى ثم عدت له فعادا
مراراً ما أعود إليه إلا تبسم ضاحكاً وثني الوسادا

قال فأضعف له العطية وأكرمه وإذا كان مثل هذا يوجد في صفة المخلوق
ففي كرم الحق سبحانه وتعالى أولى أن يؤمل أضعاف هذا كيف والمخلوق إنما
يجبك إذا أعفيتة عن السؤال والله تعالى إذا ازددت منه سؤالاً إزداد لك حياً
ونوالاً وأنشد بعضهم :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب
ومن حميد سنته وجميل فضله وعادته أنه إذا تغير لعبد وقت أو تلون له
حال أو خانة زمان أنس استبدل غيبته بوصول يجدد أيامه الدارسة ويعيد عليه
أوقاته الذاهبة كما قيل :

لئن درست أثار ما كان بيننا من الوصل ما شوقي إليك بدارس
وما أنا من أن يجمع الله بيننا كأحسن ما كنا عليه بآيس
وأنشدوا :

أؤمل عطف الدهر بعد انصرافه فيا أملي في الدهر هل أنت كائن
فصل : وذهب جماعة من المشايخ إلى أن الأوقات ليس لها بدل وأن من
فاته وقت فلا يكون له إليه وصول . وأنشدوا :

فخبل سبيل العين ويحك للبيكي فليس لأيام الشباب رجوع
سمعت الدفاق يقول غمادي بكاء داود عليه السلام فأوحى الله إليه إلى كم
تبكي إن كان هذا البكاء من خوف النار فقد أمنتك وإن كان لطلب الجنة فقد
بشرتك وإن كانت لذنب الخصم فقد أرضيته فزاد داود في البكاء وقال إنما أبكي
لما فاتني من صفاء ذلك الوقت فرد على ذلك الوقت فأوحى الله إليه هيهات يا
داود لا سبيل إلى ذلك فإن شئت فابك وإن شئت فاسكت فقال داود الآن طاب
البكاء .

فصل : واعلم أنهم وإن لم يصلوا إلى تلك الأوقات فأوقات تأسفهم وتلهفهم أتم من تلك الأوقات لأن ذلك حق الحق منهم . يحكى عن بعض المشايخ أنه رأى شاباً بعد الموسم دخل مكة منقطعاً منكشراً محزوناً كما يكون المنقطعون فقال له ذلك الشيخ أنا حججت كذا وكذا فهبني تلك الحسرة التي أنت فيها وأهب لك تلك الحججات كلها . وفي قريب من هذا المعنى قال موسى إلهي أين أجذك فقال تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ، وبالله التوفيق .

* * *

في معنى اسمه « المحيي المميت »

هما إسمان من أسمائه قال الله تعالى ﴿ هو الذي يحيي ويميت ﴾ والإحياء في وصفه تعالى خلق الحياة في العبيد والحيوان والإماتة خلق الموت فيه وليس من شرط الحياة وجود البنية والبلية كما توهمه بعض المعتزلة بل كان جوهر يخلقه الله تعالى فلا بد أن تكون فيه حياة أو ضد للحياة من مواتية أو جمادية وإنما يختلف هذا بالأساء وإلا فالذي يضاد الحياة جنس واحد والله تعالى خلق النطف أمواتاً ثم خلق فيها الحياة ثم يخلق فيها الموت عند قبض الأرواح ثم يخلق فيهم الحياة في القبور للسؤال ثم يميتهم ثم يحييهم في القيامة ثم لا موت بعده إما خلود في الجنة أو خلود في النار وخالفت القدرية أهل السنة في هذه الجملة في مواضع منها قولهم إن الحياة تقتضي بنية وبلية ومنها إنكارهم سؤال القبر وعذاب القبر وليس هذا موضع بسط الكلام في هذه المسألة ولهذا أعرضنا عنه وليس معنى الإحياء والإماتة أيضاً في وصفه ما ظنه غرود حيث حاج إبراهيم في قوله ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت فعمد إلى رجل محبوس في سجنه فأطلقه فقال هذا كان ميتاً فأحييته وقتل رجلاً بريء الساحة وقال هذا كان حياً فأمته لأنه لم يخلق لأحد لا موتاً ولا حياة والمحيي والمميت على الحقيقة من يخلق الموت والحياة وذلك صفة القديم سبحانه ثم إن هذه الطائفة أطلقوا لفظ الأحياء والإماتة لا على هذا الوصف ولكن على معنى السرور والفرح والمحن والترح بنوع توسع على ما سيحييء ذكر بعضه إن شاء الله تعالى من ذلك إنهم قالوا : أجمري في عادة النساء إن فلاناً أحیی فلاناً إذ جبر حاله وأصلح أمره ويقولون قد مات حال فلان إذا ساء أمره ويقولون من أقبل عليه الحق أحياه ومن أعرض عنه أماته وأفناه ومن قربه أحياه ومن غيبه أفناه وأنشد بعضهم :

أموت إذا ذكرتك ثم أحيى فكم أحيى عليك وكم أموت
قال الله سبحانه : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء
عند ربهم يرزقون ﴾ قيل في بعض التفسير أحياء بذكره سبحانه لهم بالجميل
ومن المشهور في ألفاظ الناس لم يميت من كان له مثل فلان خلف . قال الشاعر :

فإن يك عتاب مضي سبيله فما مات من يبقى له مثل خالد
قالوا من كان فناؤه في الله فهو حي وإن هلك ومن كانت حياته لحظوظه
فهو ميت وإن عاش وأنشدوا :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
وقيل قد مات قوم وهم في الناس أحياء .

فصل : وعند القوم أن الإسلام ذبح النفوس بسيوف المجاهدة والإيمان
حياة القلوب بنور الموافقة فيكون الموت فناء النفوس والحياة استيلاء القلوب
ولهذا قالوا لا يصح السماع إلا لمن كانت نفسه ميتاً وقلبه حياً فالله تعالى يحيي
نفوس العابدين ويحيي قلوب العارفين ويحيي قلوب أهل الوصال ويميت أحوال
أهل الفراق قال الله تعالى ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ﴾ جاء في التفسير كافرأ
فهديناه .

فصل : ومن إمارات من مات نفسه زوال آفاته عنه وسقوط شهواته منه
وقيامه بحقوق ربه وما فيه رضاه وتباعده عما فيه حظوظ نفسه ومناه فيعيش مع
الحق بالمرءة . ومع الخلق بالفتوة بمروته لا يخالفه في أوامره وبفتوته لا ينازع
الخلق في مآربه ومطالبه فيكون مع الله تعالى بنعت الصدق ويصحب الخلق
بحسن الخلق وحكاياتهم في الفتوة لا تحصى فمن ذلك ما يحكى عن المرتضى أنه
قال دخلت مع أبي حفص النيسابوري على مريض نعوذه فقال أبو حفص
للمريض تحب أن تبرأ فقال نعم فقال للفقراء احملوا عنه قالوا نعم قال فخرجننا
وخرج المريض معنا وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد وحكي أن النوري

مرض قد يدخل عليه الجنيد يعبده وحمل إليه شيئاً من الفواكه والمشور فيرى
الدوري ومرض الجنيد فدخل عليه النوري يعبده فقال للفقراء الذين معه تحمّلوا
عنه فخرجوا وهموا وبريء الجنيد من علة فقال له النوري هكذا أعود المرضى .

* * *

في معنى اسمه « الحي القيوم »

هما إسمان من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ فأما الحي فهو الذي له حياة والله تعالى حي والدليل على ثبوت الوصف له تعالى أنه عالم قدير مرید والحياة شرط في العلم والقدرة وقول من قال يقال له محي ولا يقال له حي لأن غيره يكون حياً فاسد لأن الاشتراك في الاسم لا يقتضي المشابهة في الذات .

وحياته صفة من صفات ذاته زائدة على بقائه والحي في اللغة في غير وصفة يقع على معان منها القبيلة يقال حي من العرب وجمعه إحياء والحي دعاء الإبل إلى الشرب ودعاؤها إلى العلف ويقال حي على الصلاة أي هلم والحي فرج المرأة ويقال للنبات إذا اخضر الحي . والحي بالكسر جمع الحياة وأما القيوم فهو المبالغة من القائم بالأمور يقال فلان قائم بهذا الأمر وقيم وقيام وقيوم في وصفه تعالى قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحي القيوم ونظير قيوم وقيام قولهم ما في الدار دبور ولا ديار ومعنى القيوم في وصفه تعالى أنه المدبر والمتولي لجميع الأمور التي تجري في العالم قال الله تعالى ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ وإذا علم العبد أنه سبحانه حي وعلم أنه تعالى حي لا يموت وقديم لا يجوز عليه العدم صح توكله عليه ولهذا قال تعالى ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ أي أن من اعتمد على مخلوق واتكل عليه ليوم حاجته اختل حاله وقت حاجته إليه فيضيع رجاؤه وأمله لديه وقيل إن رجلاً كتب إلى آخر أن صديقي فلاناً قد مات فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب بصري فكتب إليه الذنب لك حيث أحببت الحي الذي يموت هلا أحببت الحي الذي لا يموت حتى لم تحجج إلى البكاء عليه ؟ فمن علم أنه سبحانه حي أبداً علم أن نفسه لا بد من فنائها

وهلاكها وإن طالت مدة بقائها وملكها حكى أن المأمون لما قربت وفاته فرش الرماذ وكان يتمرغ عليه ويقول يا من لا يزول ملكه لرحم من قد زال ملكه . بل من علم أنه الباقي لا يزال علم أن فيه خلفاً من كل تلف بل من علم أنه لا يصل إلى مولاة إلا بعد موته اشتاق إلى وفاته . قيل لبعضهم إن الدنيا لا تساوي مع الموت شيئاً فقال بل الدنيا لو لم يكن الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب وأنشدوا :

أنت تبقى والفناء لنا فإذا أفنيتنا فكن

حكى عن علي بن أبي الفتح أنه رأى الناس يتقربون بقرايبتهم في يوم عيد فقال إلهي الناس يتقربون إليك بقرايبتهم وأنا أتقرب إليك بأحزاني وغشي عليه فلما أفاق قال : إلهي كم ترددني في هذه الدنيا قال فمات من ساعته وقيل من إمارات الاستيقاق إلى الله تعالى تمخي الموت على بساط العافية . وأما من عرف أنه القيوم بالأمور استراح عن كد التدبير وتعب الأشغال وعاش براحة التفويض فلم يضمن بكرمه ولم يجعل في قلبه للدنيا كبير قيمة . يحكى عن الطرماح أنه قال كنت عند الحسين بن علي ابن أبي طالب رضوان الله عليهما إذ جاءه سائل فسأله شيئاً فأعطاه نعليه فقلت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أولى بعباده فقال اسكت يا طرماح فأنا استحي من الله أن أسأله فيعطيني ثم لا أعطي من يسألني حكى عن بعضهم أنه قال من اهتم للخبز فليس له عند الله قدر وإنما قال ذلك لأنه إذا علم أنه القائم بتدبير الأمور لا ينبغي له أن يهتم للخبز ولا لغيره ولهذا قيل : من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره وقال الأكابر إن جميع كرائم الدنيا والعقبى عند الله أقل من تبة عند سلطان . ومن سأل من سلطان الوقت أن يهب منه تبة واحدة فقد صغرت همته . وفي هذا المعنى ما يحكى عن عمر البسطامي تلميذ أبي يزيد أنه قال كنت عند أبي يزيد فقال لي إن ولياً من أولياء الله يأتي فمر معنا حتى نستقبله فخرج فلما وافى بسطام إذا بإبراهيم بن أنيسة الهروي فسلم عليه أبو يزيد فقال له علمت أنك تحبني فاستوهبتك فوهبك لي فقال له إبراهيم

ولو شفحك في جميع الخلق ما كان كبير فأية شفاعة في قطعة طين قال فتعجب أبو يزيد
من قوله .

* * *

في معنى اسمه « الواجد »

ومن أسمائه تعالى الواجد وهو بمعنى الغني في وصفه يقال فلان يعطي عن جدة أي عن سعة وغنى وقيل إنه بمعنى العالم قال الله تعالى ﴿ ووجد الله عنده ﴾ أي علمه يقال وجد فلان وجوداً ووجداناً إذا أصاب ووجد وجداً إذا حزن ووجد فلان على فلان موجودة إذا غضب ووجد فلان وجداً وجدة إذا استغنى والإسم الواجد من الجميع فإذا عرف أن الله غني فمن إمارته أن يستغني به وإذا علم أن الله تعالى عالم فمن إمارته أن يلتجئ إليه وقد استعمل على طريقة هذه الطائفة لفظ الوجد والوجود والتواجد ومعناهم يعود إلى الإصابة والحزن على ما يجيء في بعض شرحه . وذلك أنهم قالوا الوجد المصادفة ومعنى ذلك ما يجذونه ويصيبونه في قلوبهم من الأحوال من غير تكلف ولا تطلب . ونحن نذكر طرفاً من أقاويلهم وحكاياتهم : قال النوري : الوجد لهيب ينشأ في الأسرار ينتج عن الشوق فتضطرب الجوارح طرباً أو حزناً عند ذلك الوارد وقيل تواجد النوري شهراً فقام على رجله في مسجد الشيرازية فكان إذا حضرت الصلاة صلى ثم عاد إلى القيام فقال بعض القوم : إنه صاح فبلغ ذلك الجنيد فقال : لا ولكن أرباب التواجد محفوظون بين يدي الله تعالى لا يجري عليهم لسان ذم . وسئل أبو علي الروذباري عن الوجد في السماع فقال : مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب . وقال المرتعش من تواجد ولم ير في تواجده زيادة في دينه فينبغي أن يستحي ويتوب .

الواجد : الذي لا يعجز عن إبراز أي شيء في عالم الظهور والعيان وعلم كل شيء قال سبحانه وتعالى ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ وذاكره ينال الغنى ويقوى قلبه على تلقي الفيوضات الرحمانية .

وكان الشبلي يقول : اللهم لا تبلي بفقد ولا بوجد وأحيني حياة حتى لا
توصف ولا تمجد وكان يقول : الوجد فقد والفقد في الوجد وجد وقد قيل :
الوجد وجود نسيم الحبيب لقوله تعالى ﴿ إني لأجد ريح يوسف ﴾ وقال الجنيد :
الوجد انقطاع الأوصاف عند الشهود وقال أبو عطا متى ما ذكرت فالوجد منك
بعيد . وقال النوري :

إني كذبتك ليس لي وجد يوافق ما لقيت
لو كان لي وجد على مقدار ما ألقى فنيت

وقال آخر :

نطقت ضمائره بكامن سره عن وجده بالوهم من خطراته
وشكى الضمير إلى الهوى ألم الهوى وشكى الذي يلقاه من زفراته

وقيل الوجد نيران الأنس يثيرها رياح القدس . وقيل الوجد : ما لا
أركان للعلم عليه . وقال أبو سعيد الخراز كل وجد يظهر على الجوارح الظاهرة
وفي النفس أدنى حمولة^(١) له فهو مذموم وقال النصر أباضي مواجيد القلوب تظهر
بركاتها على الأبدان . ومواجيد الأرواح تظهر بركاتها على الأسرار . وقال الجنيد
لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وإنما يضر فضل الوجد مع نقصان العلم
وأنشدوا :

وسكر الوجد في معناه صحو وصحو الوجد في سكر الوصال

وقيل : لما أخرج ابن منصور للصلب قال : حسب الواجد أفراد الواحد
فما سمع ذلك من المشايخ أحد إلا استحسنته . وسئل أبو يعقوب النهرجوري
عن علامة صحة الوجد فقال : معرفة قلوب الأشكال وعلامة فساده إنكار قلوب
الأشكال وقال الجنيد : ذكر الوجد عند السرى فقال : يبلغ بحيث يضرب
وجهه بالسيف ولا يحسه .

(١) حمولة أي ثقل .

قال الجنيد : فكان في نفسي من ذلك شيء حتى صح عندي وكان سهل يتوالى عليه الوجد فلا يأكل في خمسة وعشرين يوماً ويكون عليه قميص واحد وهو يعرق في الشتاء وإذا سأله مسألة قال : لا تسألوني في هذا الوقت فإنكم لا تنتفعون بكلامي وقيل لا يقع على الوجد عبارة لأنه سر بين الله وبين عبده وقيل : تقع العبارة على الوجد . هذا طرف من صفات من تحقق بالوجد لا جعل الله نصيبنا منه الذكر دون الوجد .

* * *

في معنى اسمه « الواحد الأحد »

هما إسمان من أسمائه قال الله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ وقال تعالى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فأما الواحد فهو الذي لا قسم له ولا إستثناء منه هذا حقيقته عند أهل التحقيق فإذا قيل للجمله الحاملة إنها واحد فعلى المجاز كما يقال دار واحدة ودرهم واحد لأنه يصح أن يستثنى منه البعض واسم الواحد له مجاز وكان الشيخ أبو بكر بن فورك يقول الواحد في وصفه سبحانه له ثلاث معان . ولفظ الواحد في كلها حقيقة . أحدها أنه لا قسم لذاته وأنه غير متبعض ولا متجزى . والثاني أنه لا شبيه ، والعرب تقول فلان واحد في عصره أي لا شبيه له قال الشاعر :

يا واحد العرب الذي ما في الأنام له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

والثالث : أنه واحد على معنى أنه لا شريك له في أفعاله يقال فلان متوحد بهذا الأمر أي ليس يشركه فيه أحد ولا يعاونه عليه أحد . والأولون قالوا هذه المعاني الثلاثة مستحقة لله تعالى ولفظ التوحيد فيه حقيقة في نفي القسمة وفي

الواحد : الذي لا ثاني له ولا ندله ولا يماثله في ذاته وصفاته أحد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .
الأحد : الذي لا أول له ولا آخر له فلا تعتريه صفات الحوادث من التغيير والتحلل والانقسام والحلول والمشاركة والايحاد والاحتياج إلى الغير فهو واجب الوجود لذاته ولولاه لم تخلق الأكران سبحانه وتعالى تنزه في ذاته وصفاته والأحد نفي الحدوث وصفاته والواحد نفي للمكافء والصدفي تخصيص الصفة وأما كلا الاسمين فيجمع صفات التوحيد كلها ولا يفترقان فمن ذكر أحدهما أحاط بمعنى الإسم الآخر وذاكرهما يغترف من نور الأحدية ويكون من أهل الفناء في شهود الحق حتى لا يأنس بأي مخلوق سواه .

الباقي مجاز . وأما الأحد فأصله في اللغة وحد يقال وحد يوحد فهو وحد كما يقال حسن يحسن فهو حسن ويقال رجل وحد ووحد ووحد بسكون الحاء كما يقال . فرد فهو فرد وفريد ويقال هو وحيد فريد أحميد بمعنى والأصل في أحد وحد ثم أبدلت الواو همزة فقالوا أحد والواو المضمومة تنقلب همزة كقولهم أبيت ووفيت والواو المكسورة تنقلب همزة كقولهم أشاح ووشاح وإكاف ووكاف . والواو المفتوحة تنقلب أيضاً همزة كقولهم امرأة أسما يعنون وسماً من الوسامة وهو الحسن .

فصل : وأما الفصل بين الواحد والأحد فمن الناس من لم يفرق بينهما ومنهم من فرق فقال الواحد اسم لمفتتح العدد لأنه يقال واحد وإثنان والأحد إسم ينفي ما يذكر معه من العدد ويقال الأحد يذكر مع الجحود ويقال لم يأت أحد معناه أنه لم يأته الواحد ولا الإثنان ولا ما فوقه وتقول قد جاءني واحد ولا يقال قد جاءني أحد وقيل الأحد إنما يذكر في وصفه تعالى على جهة التخصيص يقال هو الله الأحد ولا يقال رجل أحد ويقال في وصف غيره وحيد وواحد ولا يقال ذلك في وصفه تعالى لعدم التوقيف وأما قوله تعالى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فقال الفراء هو عماد . ومعناه الله أحد وهذا ضعيف لأن العماد لا يكون إلا بعد إن وأخواتها وأما التوحيد فهو الحكم بأن الواحد واحد ولا يكون ذلك الحكم إلا بالقول وبالعلم وقد يكون بالإشارة إذا عقد على أصبع واحد . والتوحيد ثلاثة توحيد الحق سبحانه لنفسه . وهو علمه بأنه واحد وإخباره عنه بأنه واحد وتوحيد العبد للحق بهذا المعنى وتوحيد الحق للعبد هو إعطاؤه له التوحيد وتوفيقه لذلك . وقال الشبلي : التوحيد للحق وللخلق تطفيل وقال الجنيد : التوحيد أفراد القدم عن الحدث وقال ذو النون المصري التوحيد أن تعرف أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه للأشياء بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه . وقيل التوحيد إسقاط الياءات أي لا تقول لي ولا مني ولا إليّ وقيل : التوحيد فناء الرسم لظهور الإسم . وقيل إنمحاء الرسوم لظهور الحقائق . وقيل دثور الخلق لظهور الحق . وقيل التوحيد أن تعلم أن كل

ما يخطر ببالك مما ترتقي إليه كيفية أو تنتهي إليه كمية أو تنتمي إليه مائة^(١) أو تليق بوصفه أينية فالله جل جلاله بخلافه . وقال بعضهم تدري لم لا يصح لك توحيدك لأنك توحدك بك وتطلبه لك يعني الواجب أن تعرف أن طلبك له به ووجودك إياه منه فهو المبتدئ بالفضل بل هو المجري والمبدئ للصنيع تبارك الله رب العالمين .

* * *

(١) أي ماهيته .

في معنى اسمه « الصمد »

الصمد إسم من أسمائه تعالى ومعناه الباقي الذي لا يزول وقيل الدائم وقيل هو الذي لا يطعم وقيل هو الذي لا خوف له وأما أهل اللغة فإنهم قالوا : الصمد الذي يصمد إليه في الحوائج يقال صمدت صمده أي قصدت قصده وهذا هو الصحيح . وقيل هو السيد الذي ينتهي إليه السؤدد وهو يؤول إلى ما ذكرناه أنه الذي يصمد إليه في الحوائج لأن القصد والرغائب تتوجه إلى ذوي السؤدد^(١) والأكابر قال الشاعر :

لقد بكر الناعي^(٢) بخبر بني أسعد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد

فإذا قيل إنه بمعنى الباقي الدائم الذي لا يزول فمن حق من عرفه بهذا الوصف أن يعرف نفسه بالفناء والزوال ووشك الإرتحال ويلاحظ الكون بعين الفناء فيزهده^(٣) في حطامها ولا يرغب في حلالها فضلاً عن حرامها ولهذا قال أهل الحكمة : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لوجب على العاقل أن يزهده في الذهب الفاني ويرغب في الخزف الباقي فكيف والدنيا مدرة ومأهل إلى الفناء . قال الشبلي :

الدنيا مدرة ولك منها غبرة

الصمد : السيد الباقي الدائم الذي لا يعتريه ملل ولا كلل ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يحتاج إلى الماء أو الهواء أو الطعام أو الشراب أو ما تحتاج إليه الخلائق وهو وصف مبين لخصوصيات الأحد الذي أوجد الوجود وجميع العوالم مفتقرة إليه محتاجة إلى فيضه ورحمته فلا يصمد في الحوائج إلا إليه فأسألك اللهم فيض الأحدية الكامل الشامل فأستغي عن مشاهدة الأحوال بمشاهدة نور من لا يحول ولا يزول حتى لا أرى ولا أجد ولا أحس إلا به .

(١) السؤدد بالضم السيادة .

(٢) هو الذي يأتي بخبر الموت .

(٣) الزهد ضد الرغبة تقول زهد وزهد عنه من باب سلم أ . هـ مختار .

وحكي عن رجل أنه اشترى داراً، فحفر موضعاً فوجد جرة فيها دنانير فمضى إلى البائع وقال إني اشتريت الدار ولم أشر الدنانير فخذ مالك فقال البائع أنا بعت الدار بما فيها لا أخذها ففتحها إلى القاضي فقال الحاكم ألكما أولاد فقال أحدهما لي

ابن وقال الآخر لي بنت فقال : زوجا أحدهما من الآخر وأنفقا الدنانير عليهما . فهذا من صفات من لم يجعل للدنيا عنده خطراً . وحكي أن رجلين تنازعا في أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الأرض حتى قال : إني كنت ملكاً من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم مت وصرت رميماً ألف سنة فأخذني خزاف واتخذ مني خزفاً ثم أخذني رجل وضرب مني لبناً وأنا في هذا الجدار منذ كذا سنة فلم تتنازعا في هذه الأرض . وأما من علم أنه الصمد بمعنى أنه لا يطعم علم أنه يطعم قال الله تعالى ﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾ فتوجه رعايته عند مآربه إليه ويصدق توكله في جميع حالاته عليه فلا يتهمه في رزقه كما أنه لا يستعين بأحد من خلقه عليه فإن الذي يحتاج إلى ملبوس ومأكل لا تصدق الرغبة إليه في مأمول ولا يرجى منه النجح لمسؤول وإذا عرف أنه الذي يصمد إليه في الحوائج شكى إليه فاقته ورفع إليه حاجته وتملق بجميع تضرعه وتقرب بصنوف توسله .

يحكى عن بعضهم أنه زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال إلهي إن غفرت لي سررت وليك هذا وإن رددتني أشمت عدوك الشيطان وأنا لا أتوقع منك أن تؤثر شماتة عدوك على سرور وليك فإن الكريم من يرفع قدر من يقصده ويحقق ظن من يعتمده وإذا كان قصد المسلم لزيارته وقضاء حقه حسناً محموداً فقصده الحق أولى أن يكون محموداً .

روي في بعض الأخبار أن رجلاً خرج يوم عاشوراء إلى زيارة أخ له فأتاه ملك وقال له من أين يا عبيد الله فقال من بيتي فقال وإلى أين فقال إلى زيارة أخ لي فقال أرحماً تصل فقال لا فقال أديناً تقضي قال قال فإني ملك خلقتني الله يوم استوى على عرشه فلم أزل راعياً وساجداً منذ خلقتني أرسلني الله إليك أبشرك بأنه غفر لك ولأخيك بحق زيارتك له .

في معنى اسمه « القادر المقدر »

القادر إسم من أسمائه تعالى والقدرة صفة من صفاته تعالى والمقدر من أسمائه سبحانه قال الله تعالى ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ وحقيقة القادر من له قدرة وحقيقة القدرة ما يقدر بها المراد على حسب قصد الفاعل في الوقوع ثم جهة الوقوع تختلف إلى خلق وكسب فقدرة الحق سبحانه تصلح للخلق وقدرة الخلق تصلح للكسب والخلق لا يوصف أحد منهم بالقدرة على الإيجاد والحق سبحانه لا يوصف بالقدرة على الكسب والله قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدورات لا يخرج مقدر عن قدرته ولا نهاية لمقدوراته والمعدوم يكون مقدرًا والمخلوق في حال الحدوث يكون مقدرًا والإقتدار إفتعال من القدرة والدليل على وجوب كونه قادر إستحالة الوصف له بأن يكون عاجزاً ووجود أفعاله أيضاً تدل على قدرته ومن عرف أنه قادر على الكمال خشي طوات عقوبته عند ارتكاب مخالفته وأمل لطايف رحمته وزوائد رحمته سؤاله وحاجته لا بوسيلة طاعته بل بابتداء كرمه ومنتته وكذلك من عرف أن مولاه قدير سكن عن الإنتقام ثقة بأن صنع الحق له وانتصاره له أتم من إنتقامه لنفسه يحكى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام وقال تدري لم فرقت بينك وبين يوسف كذا وكذا

القادر : الذي لا يعجزه شيء إيجاداً أو إعداماً أو تغييراً أو إعادة ولا يتقيد بالأسباب لأنه خالقها فيخلق نتيجة بلا سبب ولا مقدمة وهي صفة ثابتة لذات واجب الوجود قال سبحانه وتعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ وذاكره يكون قديراً كفتاً في عمله معتمداً على الله في مغالبة أعدائه بسلطان الحق .

المقدر : القادر الذي لا يستعين بأحد وليس لقدرة بداية ولا نهاية دائم الإقتدار تبدو آيات قدرته على الدوام في عوالم المخلوقات قال سبحانه وتعالى ﴿ وكان الله على كل شيء مقدرًا ﴾ وذاكر هذا الإسم يكون حسن التقدير والتدبير مستكفياً بالله مستعيناً بحوله وقوته .

سنة لأنك اشترت جارية لها ولد ففرقت بينها في البيع فلما لم يصل ولدها إليها لم أوصل إليك يوسف بين بهذا أن تلك المملوكة وإن لم يكن لها يد نظر لها الحق سبحانه وإن كان الحكم على نبي من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولهذا قيل إحذروا من لا ناصر له إلا الله تعالى إن بطش ربك لشديد .

فصل : ومن عرف أنه كريم علم أنه يقدر ولكنه يعفو ويحلم ويصبر ولكنه يصبر روي أن حملة العرش ثمانية : أربعة تسبيحهم سبحان الله عدد حلمه بعد علمه ، وأربعة تسبيحهم سبحان الله عدد عفوه بعد قدرته .

فصل : وأنه بجميل صنعه وكريم نظره يؤوى عبده إلى كهف رحمته فيعصمه عما يشتهي برحمته ويعينه على ما يحتاج إليه بقدرته فمرة ينهيه لما فيه نجاته ومرة يوفقه لما فيه درجاته ومرة يؤهله لما يتحقق به قربه ومناجاته يحكى عن أحمد بن أبي الخوارى أنه قال سمعت الداراني يقول تمت ليلة فجاءتني واحدة من الحور العين فركضتني برجلها وقالت لي أتنام وأنا لك فقلت لا نامت عيني بعد هذا فضحكت وخرجت وبها نور أضاء محرابي ومصلاي من ضياء وجهها فقلت من أين لك هذا الحسن فقالت أتذكر الليلة الفلانية وكانت ليلة باردة فمت وتوضأت وصليت ثم دعوت وبكيت فأخذت من دموعك دمعة وجمت إلي فمسح بها وجهي فضياء وجهي من تلك الدمعة وأنه سبحانه إذا أراد بعبد خيراً دله على طريق نجاته فرجع إلى الله مبتهلاً في سؤال حاجاته فيوصل إليه مراده بقدرته ويجبر حاله بنصرته ، حكى أن ابن أخ لصفوان بن محرز حبس فلم يبق بالبصرة أحد له جاه إلا كلم الأمير في حاله فلم ينفع فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له إئت الأمر من بابي فقام بالليل وصلى ركعتين ففرغ عليه الباب فإذا بحاجب الأمير ومعه ابن أخيه فقال إن الأمير دعاني الساعة وقال إحمله إليه .

* * *

في معنى اسمه « المقدم المؤخر »

هما إسمان من أسمائه تعالى ورد بهما الخبر ومعناها تقديمه بعض الأفعال على بعض وتأخير بعض الأفعال عن بعض إما في الوقت وإما في الرتبة لأنه قدم بعض أفعاله على بعض وأخر بعضها عن بعض وذلك من دلالات إرادته لأن الطريق الذي به يعرف أنه مرید قاصد جل جلاله ترتيب أفعاله في الوجود وتخصيصها ببعض الأحكام الجائزة دون بعض فعلم أنه لولا قصد قاصد قدم المتقدم وأخر المتأخر وإلا لم يكن تخصيصها ببعض الأحكام أولى من تخصيصها بغيرها وكذلك أفعاله متقدمة بعضها على بعض في المعنى والرتبة فدل على رفعه لبعض وخفضه لبعض وإعزازه لقوم وإذلاله لقوم فطائفة قدمهم لطاعته وعبادته وطائفة أخرهم لماضي إرادته ونافذ مشيئته قال الله تعالى ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين ﴾ وأن أولياءه مختلفون فمنهم من يتقدم بجهدته وعبادته ويتكلف أن لا يتخلف عن أشكاله في مرافقته سمعت الدقاق يقول رأي بعضهم مجتهداً فقليل له في ذلك فقال ومن أولى مني بالجهد وأنا أحتاج أن ألحق بالأبرار والكبار من السلف قال الله تعالى ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ وفي معناه أنشدوا :

السباق السباق قولاً وفعلاً حذر النفس حسرة المسبوق
سمعت الدقاق يقول في يوم عيد وقد اجتمع الناس في المصلى : لوقيل لي

المقدم : الذي يقدم الأشياء فيضعها مواضعها وذاكر هذا الإسم في الحرب ينصر على أعدائه .
المؤخر : الذي يؤخر الأشياء إلى أماكنها وأزمانها ويخصص كل موجود بزمانه ورتبته ولا ترد مشيئته وذاكر هذا الإسم تحسن توبته ويترك المعاصي .

إن واحداً من هؤلاء يرى الله تعالى قبلك غداً لزهقت نفسي وقوم لم يروا لأنفسهم إستحقاق التقدم وكانت همتهم السلامة فحسب وقال بعضهم في مناجاته إلهي إني أعلم أي لا أستوجب تلك الدرجات ولكن ستراً من النار وقال يحيى بن معاذ العارف شريف الطلب قيل له وما شرف طلبه قال لا يجاوز همته طلب المغفرة قال الله تعالى ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾ ثم قال تعالى ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ﴾ ثم قال تعالى ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ﴾ يحكى عن ابن المبارك أنه خرج يوماً على أصحابه فقال تجاسرت البارحة على الله فسألته الجنة وفي معناه أنشدوا :

وما رمت الدخول عليه حتى حللت محل العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل

وقال غيره :

نزلوا بمكة في قبائل نوفل ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وقال أبو سعيد الخراز : خيرت بين القرب والبعد فأثرت البعد على القرب .

فصل : وأن الله تعالى قدم قوماً في سابق حكمه فرمى مجري عليهم أوصاف المطرودين وقيمهم في صورة المبعدين وهم بحقائق رحمته بالحكم السابق مقربون . يحكى عن جبر بن عمران اللؤلؤي وكان صالحاً يخدم الفقراء وداره بيت الضيافة فنزل عليه قوم فمضى إلى القاضي يطلب لهم شيئاً منه فلم يقدر فمضى إلى إنسان يهودي كان يميل إلى الفقراء وكان يدفع إليهم أحياناً شيئاً فذكر حاجته إليه فبعث إلى داره ما احتاج إليه فلما نام القاضي رأى في منامه أنه كان على باب قصر من لؤلؤة حمراء فهم أن يدخله فمنع منه فقيل له إن هذا كان لك فدفع إلى فلان اليهودي فلما أصبح القاضي بكى وتضرع ومضى إلى جبر بن عمران فسأله عن القصة فأخبره بنحو حديث اليهودي فاستحضر القاضي

اليهودي وقال له : قصر لك في الجنة تبعنيه بعشرة آلاف درهم فقال لا فزاده فأبى فسأله عن القصة فقص عليه الرؤيا فقال لا أبيععه ولو طلبته مني بألوف ثم قال اليهودي لجبر بن عمران أعرض عليّ الشهادة فأسلم وكان اليهودي ممن قدمه الله في سابق حكمه وأخر القاضي في مساواة حاله . حكى عن بعض الصالحين أنه قال كان عندنا ببغداد رجل يسمى صالحاً اذن خمساً وعشرين سنة فدخل يوماً في رمضان يوم الخميس والعشرين منه وقد اذن للظهر إلى دار أخيه فرآهم يشربون الخمر فحلف أخوه بالطلاق أن يشرب واحداً فشرب لثلاث تطلق امرأة أخيه ثم شرب ثانياً وثالثاً حتى سكر فدعاه الإمام لإقامة الصلاة فحلف لا يصلي أبداً ومات في سكره فهذا آخره الله في سابق حكمه فلم ينفعه طول جهده فإن من سبق عليه الحكم والقضاء لم ينفعه الجهد والعناء فنسأل الله تعالى حسن العاقبة .

* * *

في معنى اسمه « الأول والآخِر والظاهر والباطن »

قال الله تعالى ﴿ هو الأول والآخِر والظاهر والباطن ﴾ والأول في اللغة أصله من آل يؤول إذا رجع وكان في الأصل أول على وزن أفعل وتأنثه أولى على وزن فعلى كأكبر وكبرى وأصغر وصغرى ثم قلبت إحدى الهمزتين وأوياً فاجتمع واوان فأدغمت إحداهما في الأخرى فقبل أول والتأويل تفعيل من آل

الأول : الذي ليس قبله شيء واجب الوجود لذاته ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان وذاكره يهتدي ويرى الخيزر في أسفاره ولا يضل الطريق ويجمع شمله .
الآخِر : الذي أحاط علمه بكل شيء وليس وراء المعرفة به علم ولا يعرف بعده أحد الباقي بعد فناء خلقه فكل شيء بدأته قدرته مختم بإرادته وكل شيء محدود في علمه والله سبحانه وتعالى منزّه من أن يحده حد أن يكون له والد أو ولد لا تحاطه الظنون ولا يصفه الواصفون وذاكره مع اسمه تعالى الأول يصفو باطنه ويزول همه ولا يرى كسراً إلا فرج الله عنه .

الظاهر : الذي ليس فوقه شيء وأظهر الوجود فلم يحجب عن المؤمنين آيات وحدانيته والحركة والسكون بيده وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد وذاكره يصفو باطنه ويكون من أهل الإشارات والكشف .

الباطن : الذي ليس دونه شيء ويجب الإيمان به بالغيث لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير احتجب عن أبصار الخلق رحمة بهم وأشرق نوره على التائبين المتبينين فصفت قلوبهم واهتدوا إلى ربهم أقرأ قوله سبحانه وتعالى ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ وذاكره يحس الإنس بالله في باطنه وتنجلي له الغوامض وتحفظ لديه الأسرار .
لم يشرح المؤلف رحمه الله اسمه تعالى : الوالي ، المتعالي ، وقد شرحه السيد الأستاذ عبد المنعم الحلواني وهو :

الوالي : مالك الأشياء المنصرف فيها بالعدل والرحمة والإحسان وذاكره يرضى بولاية الله ولا يركن إلى غيره ويأمن الصواعق والرجف والزلازل
المتعالي : المنزه عن النقائص وصفات الحوادث وهو العلي في ذاته المتعالي في صفاته وذاكره يكون من أهل الأخلاق الطيبة وتعلو همته وتتسع مروءته .

وأما الآخر فهو على وزن فاعل وتأتيه الآخرة وأصل آخر بآخر لكنهم أماتوا هذا التصريف ويقال نظر فلان بمؤخر عينه ويقال باعه بآخره بكسر الخاء أي بنظرة ويقال جاء فلان بآخره بفتح الخاء أي أخيراً وأما الآخر بفتح الخاء فتأتيه الأخرى وفي وصف القديم سبحانه الأول بمعنى القديم الذي لا ابتداء له وهو بمعنى السابق في وصفه والأبدي والأزلي وأما الآخر في وصفه فهو بمعنى أنه لا نهاية ولا انقضاء لوجوده وكونه أولاً لا يقتضي أن لا يكون معه غيره وإنما علمنا أنه لم يكن معه غيره في الأزل بدليل آخر لا يكونه أولاً قديماً وليس إذا كان آخراً يجب أن لا يكون معه غيره فيما لا يزال كما توهم جهم وقال أنه يقني الجنة والنار حتى لا يبقى غيره لأنه قال هو الأول والآخر فكما لم يكن معه في الأزل غيره لأنه أول ، كذلك لا يكون معه فيما لا يزال غيره لأنه آخر وهذا الذي قاله باطل لما ذكرناه وأما الظاهر في وصفه تعالى قيل معناه القادر على خلقه يقال ظهر فلان على فلان أي قدر عليه وقهره والباطن في وصفه تعالى قيل بمعنى العليم بخلقه المدير لأحوالهم وقيل معناه الظاهر بآياته وبراهينه ودلالات توحيده والباطن المتعزز على قوم حتى جحدوه ولم يتحققوا بوجوده وقيل الأول إخبار عن قدمه وآخر إخبار عن استحالة عدمه والظاهر إخبار عن قدرته والباطن إخبار عن علمه وحكمته وقال بعضهم معناه أنه الأول بالأمور وهو مجربها ومتوليها كما يقول فلان أول هذا الحديث وآخره وظاهر هذا الأمر وباطنه أي هو متوليها ومدبره وله ذلك وإليه يعود كله ويقال إنه يشير إلى صفات أفعاله بهذه الأسماء وهو الأول بإحسانه والآخر بغيرانه والظاهر بنعمته والباطن برحمته وقيل هو الأول بحسن تعريفه إذ لولاه ولولا فضله ولولا ما بدأك به من إحسانه لما عرفته وفي معناه أنشدوا :

سقياً لمعهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصبابة معهدا

وهو الآخر بإكمال لطفه عما كان أولاً بابتداء عرفه وهو الظاهر بما يفيض عليك من العطايا والنعماء . والباطن بما يدفع عنك من فنون البلاء وصنوف الأذى . وقيل الظاهر لقوم فلذلك وجدوه والباطن عن قوم فلذلك جحدوه وقيل

ظاهر للقلوب بحكم البرهان . باطن عن العيون بحق العيمان وقيل : الأول بالمهداية والآخر بالرعاية والظاهر بالكفائية والباطن بالعناية وقيل : الأول بالتحقيق والآخر بالتوفيق والظاهر بالتأييد والباطن بالتسديد . وقيل : الأول بالإسعاد والآخر بالامداد والظاهر بالإيجاد والباطن بالإرشاد وقيل : الأول بأن عرفك والآخر بأن شرفك والظاهر بما أسعفك والباطن بما لاطفك . ويحكى عن أبي يزيد أنه قال إن لم أعرف ما أولي وما آخري وما ظاهر حالي وباطن أمري فأنا لا أعلم من الأول والآخر والظاهر والباطن . وقيل : لما قال إبليس « ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم » . أي لا تبينهم من بين أيديهم لأشككهم في أمر آخرتهم ومن خلفهم لأزين لهم أحوال الدنيا وعن إيمانهم لأنسينهم أمر الآخرة وعن شمائلهم لأزين الباطل في أعينهم قال الله تعالى : أنا الأول أحفظ عليهم دينهم وأنا الآخر أختم لهم بالسعادة . والظاهر أفيض عليهم النعم والباطن أسبغ عليهم المنز وأكفيهم أشغالهم وأصون بالسعادة ما لهم وأصلح أعمالهم وأدق آمالهم . وقيل : قال لإبليس إني سلطتك عليهم من جهاتهم الأربع فما سلطتك عليهم من فوقهم ولا من تحتهم بل أمطر عليهم من فوقهم الرحمة وأخسف من تحتهم ما اجتروه من معاصيهم ذلك جزاء من كان الله تعالى له في أزله قبل أن كان لنفسه بلا حق فعله .

فصل : ويقال الأول بوجه لك بدياً إذ لولا أنه بدأك بسابق وده لما أخلصت له في عقده وعهده فأين كنت حيث كان لك ومتى كانت رحمة أبيك وشفقة أمك وذويك وقد قسم لك الإيمان ورضي لك الإسلام وسماك بالصلاح فقال عز من قائل ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ جاء في التفسير أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم آثرك في سابق القدم . وحكم لك بصدق القدم . رباك بفنون النعم . وعصمك عن سجود الصنم واختارك على جميع الأمم ورداك برداء الإيمان . وتلقاك بجميل الإحسان ورقاك إلى درجة الرضوان . وحرسك من الشرك والبدع . وألقى في قلبك حسن الرجاء والطمع . وإن لم يلبسك رداء الوفاء والورع فلم يوبسك من لطفه

بنهاية الفزع . وإن الذي هداك في الإبتداء هو الذي يكفيك في الإنتهاء .

يقال إن العبد يتهلل إلى الله تعالى في الإعترار والحق سبحانه وتعالى يقول له عبدي لو لم أقبل غدرك لما وفقتك للعدو وإن من فكر في صنوف الضلال ، وكثرة طرق المحال ، وشدة أغاليط الناس في البدع والأهواء وما تشيع به كل قوم من مختلفي النحل والآراء ثم فكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الأمور وشدة جهله وتناقض تدبيره في أحواله وشدة حاجته إلى الإستعانة بأشكاله في أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاوة توحيده عن غيره الشرك وصفا عين عرفانه عن وهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده وسعيه وجده بل بفضل ربه وسابق طوله . قال الله تعالى : ﴿ وأسئغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ﴾ فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك متظاهرة والباطن بآلائه وزوائد كرمه لديك متواترة .

فصل : ومن آداب من عرف أن له هذه الأسامي أن لا يؤمحر في ظاهره وباطنه وسره وعلنه وقلبه وبدنه ودقة وجله شيئاً من أمره وحكمه كيف لا وهو مشيء أوائل أمره ومجبري أواخر حكمه والمتولي لأمر ظاهره والعالم بسرئره وباطنه .

* * *

في معنى إسمه « البر »

البر إسم من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ إنه هو البر الرحيم ﴾ يقال رجل بر وبار وإمرأة برة وبارة والبر هو المحسن وفلان بار بوالديه إذا كان محسناً إليهما والبر من صفات الخلق من تتوالى منه أعمال البر ومن كان الله سبحانه باراً به عصم عن المخالفات نفسه وأدام بفتون اللطائف أنسه . طيب فؤاده وحصل مراده ووفق في طريقة اجتهاده . وجعل التوفيق زاده وجعل قصده سداً . ومبتغاه رشاده . أغناه عن أشكاله بأفضاله وحماه عن مخالفته بيمين إقباله . فهو غني بلا مال وعزيز بلا أشكال ملك لا يستظهر بجيش وعدد وغني بلا تمول مال وعدد . تشهد في زي مسكين وهو بره متعزز مكين . يحكى عن خلف المقدسي أنه قال ورد على بعض الفقراء فاعتل بعله شديدة فتغافلت عنه أياماً ثم ذكرت حاله فحجته معتذراً وقلت قد غفلت عنك فاعذرني فقال وليني من لا ينساني فلما مات دخلت بين الأكفان فرفعت كفناً فوجدته طويلاً فقطعت منه قطعة ودفنته فيه فرأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي بخلت بقطعة كفن على ولي من أوليائنا لا حاجة لنا في كفنك فأصبحت ودخلت بيت الأكفان فوجدت الكفن ملفوفاً في زاويته . ومن آداب من عرف أنه البر أن يكون باراً بكل أحد لا سيما بأبويه فإن الخبر ورد عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم أنه قال رضي الرب في رضي الوالدين . وسخط الرب في سخط الوالدين . يحكى أن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى رأى رجلاً قائماً عند ساق العرش فتعجب من علو

البر : الذي كثر خيره ولا ينشك عطاؤه ولا ينقطع لطفه بأهل معرفته وقربه ، وذاره يكون رحيماً باراً بوالديه والأقربين متوكلاً كبير الأرزاق .

سكانه فقال يا رب بم بلغ هذا العبد هذا المحل فقال : إنه كان لا يحسد عبداً من عبادي على ما آتته وكان باراً بوالديه . ويقال ان الحسن بن علي رضي الله عنها كان لا يأكل مع فاطمة رضي الله عنها فقالت له في ذلك فقال أخشى أن يقع بصرك على شيء فأسبقك بأخذه ولا أشعر فأكون عاقاً لك فقالت كل معي يا بني وأنت مني في حل . ويحكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : كنت في ابتداء أمرى صبياً ولي دون عشر سنين فكان لا يأخذني النوم بالليل وكنت أصلي فأقسمت عليّ والدي ليلة أن أبيت معها في الفراش وأنام فلم أرد مخالفتها فتمت معها وكانت يدي تحت جنبها فلم أخرجها مخافة أن تتبه ولم يأخذني النوم فقرأت عشرة آلاف مرة ﴿ كل هو الله أحد ﴾ وعودتها بها قال فلم تعلم بيدي هذه ولم أخرجها من تحتها مخافة أن تتبه .

فصل : واعلم أن بر الأصاغر من التلامذة للشيخ والأستاذين يجب أن يكون أكثر من برهم بوالديهم فإن الأب يحمي ولده عن آفات الدنيا والشيخ يحمي تلميذه عن آفات الآخرة والأب يربي ولده بنعمته والشيخ يربي تلميذه بهمته . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول : من قال لأستاذه لم لا يفلح أبداً . يحكى عن أبي الحسن العلوي أنه قال كنت تلميذاً لجعفر بن نصير رحمه الله تعالى فكنت ليلة عنده وكنا علقنا طيراً في التنور في البيت وكان قلبي مع ذلك الطير فقال لي الشيخ جعفر بت عندنا الليلة فاعتلت بعلة ورجعت إلى البيت قال فاخرج الطير من التنور ووضع بين يدي وكان باب الدار مفتوحاً فدخل كلب فأخذ الطير ومر وعشرت الخادم بالجرداب فصبته وأكلت الخبز بلا إدام فتغير قلبي واستوحشت فأصبحت ودخلت على جعفر فلما وقع بصره على قال من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط الله عليه كلباً يؤذيه . سمعت الشيخ أحمد بن يحيى وكان كبير الشأن يقول : من حفظ حق أستاذه وشيخه لا يكافأ في حياة الشيخ لثلا يسقط تعظيم الشيخ من قلبه ومن لم يحفظ حرمة شيخه لا يعاقب في حياة الشيخ لأن لهم بهم رمة وشفقة فتدخلهم الشفقة عليهم بل ينتقم الله سبحانه منهم ويكافئهم بعد موت شيخهم ونعوذ بالله من سوء الخاتمة .

في معنى اسمه « التواب »

التواب إسم من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ واستغفره إنه كان تواباً ﴾ والتوبة في اللغة والتوب هو الرجوع يقال تاب يتوب توباً وتوبة إذا رجع وتاب وآب وأتاب بمعنى واحد وكذلك تاب بالثاء المعجمة ثلاثاً يقال تاب اللين في الضرع إذا رجع إليه ومعنى الوصف بأن الله سبحانه تواب أنه يتوب على العبد أي يعود عليه بالطفاه ويسر التوبة له قيل : توبة الله على العبد خلقه التوبة له . وقيل قبوله لتوبته قال الله تعالى : ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ فاعلم أنه إذا لم يتب الله على العبد لا يتوب فإذا ابتداء التوبة وأصلها من الله عز وجل وكذلك تمامها على الله سبحانه ونظامها بالله نظامها في الحال وتماها في المال ولولا أن الله تعالى يتوب على العبد وإلا متى كان للعبد توبة ؟ وقوم من أهل الحكمة يقولون إن العبد يزجره العلم عن المعاصي فيتوب لتكلفه فرجما ينقض توبته ويعيد بطالته فأما إذا أراد الله سبحانه بعبد خيراً وحكم بصحة توبته كان ذلك آخر عهده بتلك الزلة فلا ينقض تلك التوبة . وإن من كرم الله سبحانه أن يضيف التوبة على العبد إلى نفسه فالعبد يذنب وهو يتوب عليه وهذا حقيقة الكرم قال الله سبحانه ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ وقيل إن الله تعالى أخبر عن سنن من مضى وما عملوا ثم أخبر عما عاملهم به مكافأة لهم على ما قدموا وأسلفوا قال الله تعالى ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من

التواب : الذي يقبل أسباب التوبة ويشفق على عباده من المعاصي والذنوب ويعينهم على مغالبة الشهوات وينير لهم ويصلي عليهم . هو وملائكته ليخرجهم من الظلمات ولا يعجل بالعقوبة فإذا رجع العبد إليه وأتاب تاب عليه وقيل توبته وهياً له أسباب النجاح والفلاح وذاكره يتوب الله عليه وتكثر أرزاقه .

قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ﴿ يعني به صنوف معاصيهم وفتنون مخالفتهم ثم أخبر عما عاملهم به فقال « فكلما أخذنا بذنبه فمنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا » فانتظرت هذه الأمة وقالت ما يعاجلنا به على قببح ما أسلفنا فقال تعالى ﴿ ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ﴿ أولئك أبلأهم وعذبهم وهؤلاء تاب عليهم ورحمهم سنة منه كريمة مضت بتخصيص هذه الأمة ولهذا أثبت في اللوح المحفوظ أمة مذبذبة ورب غفور . وفي خبر مسند أنه صلى الله عليه وسلم دعا لأمة عشية عرفة واستغفر الله لهم فأوحى الله إليه أني قد غفرت لهم ما بيني وبينهم ولم أغفر لهم ظلم بعضهم لبعض فزاد في الإستغفار وقال إنك قادر أن ترضي خصماءهم فلم يجبه تلك الليلة فلما كان غداة المزدلفة أوحى الله إليه بالإجابة فابتسم صلى الله عليه وسلم وقال عجبت من فعل إبليس لما أجاب الله تعالى دعائي صاح بالويل والثبور ووضع التراب على رأسه . وفي بعض الحكايات أنه لما تاب الله على آدم عليه السلام قال في مناجاته « إلهي لم عاتبتني وقد علمت أني إنما أكلت من الشجرة طمعاً في الخلود لأبقى معك فأوحى الله تعالى إليه : لأنك رأيت الخلود من الشجرة فأشركت بي في شرك ولم تشعر وأن من الكرم أن تتوب على من أذنب إليك كما تاب الله عليك والمشهور من قول القائل .

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم وتذنبون فأتاكم ونعتذر

يحكى عن أبي عمرو بن علوان أنه قال كنت في حادثة سني مولعاً بشراء الجوارى فكنت ليلة في صلاتي أفكر في بعض أحوال ما مضى لي معهن حتى أخطأت فأزلت في صلاتي قال فورد كتاب الجنيد على أبي بأن أرسل إلى ابنك أبا عمرو ، قال فأتيت فلما وقع بصره عليّ قال لي أما تستحي تفكر في مثل تلك الحال وأنت بين يدي الله تعالى لولا أني تبت عنك وإلا لبقيت في ذلك إلى الأبد لا تصحب إلا من إذا مرضت عادك وإذا أذنبت تاب عنك وكثير من الناس ينهمكون في غوايتهم ويتهتكون بسوء جهالتهم حتى إذا أشرفت سفيتهم على

الغرق تداركهم الحق سبحانه بجميل لطفه فيغفر قبيح أفعالهم ويصلح سوء
أحوالهم. يحكى أن رجلاً كان يتعاطى الفواحش فلم يدع شيئاً إلا فعله فمرض
فلم يعده جيرانه فدعا بعضهم وقال له إن جيرانى فى المقبرة يتأخذون بجوارى
فادفوني فى زاوية بيتى فلما مات رثى فى المنام على هيئة حسنة فقيل له ما فعل الله
بك فقال قال لى عبدي ضيعوك وأعرضوا عنك أما أنى لا أضيعك ولا أعرش
عنك برحمتى ، تاب الله علينا بفضله وختم لنا بالسعادة بلطفه .

* * *

في معنى اسمه « المتقم »

المتقم اسم من أسمائه تعالى ورد به الخبر والانتقام افتعال من النعمة يقال نقم ينقم إذا كرهه منه الشيء غاية الكراهة والانتقام غاية العقوبة على الشيء الذي يكرهه قال الله تعالى ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا ﴾ أي ما كرهوا منهم وقال تعالى ﴿ هل تنقمون منا ﴾ أي تكروهون ، وانتقام الله تعالى عقوبته للعصاة على ما كره منهم وليس كراهيته ككراهة الخلق من نفور النفس ولحوق المشقة وإنما معناه ذمة لما كرهه وذم فاعله والحكم بعقوبته والله تعالى ينتقم من عباده بعد طول الإعدار والإنذار وكثرة الإمهال وسابق الحكم فإذا أتى العبد إلا إصراراً وعتواً وإعراضاً عن موافقته إنتقم منه بعد ذلك قال تعالى ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كنت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ ثم أن الله تعالى قد يغضب في حق خلقه بما لا يغضب في حق نفسه وينتقم لعباده ما لا ينتقم لنفسه في خالص حقه وقد حكي أن نبياً من الأنبياء عارضه سبع في طريقه فلطمه النبي فلطم السمع ذلك النبي صلوات الله على نبينا وعليه فقال ذلك النبي إلهي هذا كلبك وأنا نبيك وقد لطمني فأوحى الله إليه لطمه بلطمه والبادي أظلم . وحكي أن رجلاً نظر في الطواف إلى شخص فأصاب عينه سهم وهتف به هاتف نظرت بصر ظاهرك إلى محظور فقلعناه ولو نظرت بسرك إلى غيرنا قطعناه سمعت

المتقم : الذي أعد للكفرة جهنم وساءت مصيراً وهو القوي العزيز القادر على إهلاك أهل الكفر والظلم والمعاصي ويعجل بالمعقوبة للزجر وشدة الانتقام وعبرة للمؤمنين ويؤخرها بشدة الإنتقام وازدراء بالكفرة والمشركين وهو صاحب الفضل والإحسان على العالمين الذي يرحم خيره ويرهب جانبه . وذاكره يقوى على مغالبة الأعداء ويكون من أهل العدل في الأحكام .

الأمام أبا بكر بن فورك رحمه الله تعالى يحكي هذه الحكاية وقيل أوحى الله إلى بعض الأنبياء احذر أن تلقاني ولا عذر لك ، فمن عرف عظمته خشي نقمته . كما أن من عرف كرمه أمل لطفه ونعمه .

ثم إن أكثر انتقام الله تعالى من عباده إنما يكون بتسليط من لا يعرفه عليهم بذلك وردت الآثار إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني . قيل إن جماعة اجتمعوا على نبي من الأنبياء فقالوا ما علامة رضى الله عن الخلق فأوحى الله إليه قل لهم إن علامة رضائي عنهم أن أولي أمورهم خيارهم وعلامة غضبي أن أولي أمورهم شرارهم وقيل إن الله تعالى ينتقم من الظالم بالظالم يسלט بعضهم على بعض فانتقامه تعالى على قسمين معجل ومؤجل فالعارفون يخشون مفاجآت النعمة ويغتات العقوبات والمحنة قالت ابنة الربيع بن جسيم لأبيها يا أبت مالك لا تنام بالليل فقال إن أباك يخاف البيات وقيل من خاف البيات^(١) لم يأخذ السبات^(٢) وربما يظل البلاء قوماً فينبههم الله للاعتذار ويوقفهم للتوبة قبل حلول النعمة فيكشف عنهم الضر والبأس كما فعل بقوم يونس عليه السلام لما غشيهم العذاب وطلبوا يونس ففقده ورجعوا إلى الله عز وجل بصدق الضرورة قبل منهم العذر وكشف عنهم الضر قال عز من قائل ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ حكى أن رجلاً من بني اسرائيل بلغ رتبة الصديقين فذبح يوماً عجلاً بين يدي أمه فأسقطه الله عن مقامة وسلبه قلبه فكان يهيم على وجهه يهراً منه الصبيان فمر يوماً في هيمانه بفراخ طير قد وقع من العش وقد غاب الطير فرحمن فردهن إلى العش فلما عاد الطائر شكر إليه الفراخ فشكر الطائر الله تعالى فرد الله سبحانه إلى ذلك الرجل قلبه وأعاد وقته وبلغه رتبة الأنبياء وجعله نبياً ويروى عن أبي الترداء أنه قال إن العبد يكون له وقت طيب فيأمر الله جل جلاله جبريل عليه السلام أن يرفع ذلك عن قلبه فإن صاح

(١) الإغارة ليلاً .

(٢) النوم الثقيل .

العبد إلى الله تعالى بالدعاء والرغبة رده إليه وزاده وإن لم يبال به لم يصل إلى ذلك أبداً وكان ذلك منه نقمة وقد يكون العبد يستجير بربه عقب زلته بلا فصل فتتداركه الرحمة قبل حلول النقمة فيؤويه إلى كشف ستره ويعجل له المغفرة بلطف بره يحكى أن بعض الأنبياء سرق له حمار فقال إلهي نبيك سرق حماره فأطلعني عليه فأوحى الله إليه أن ذلك الرجل الذي سرق حمارك سألني أن أستره وأنا لا أريد رده ولا ردك فخذ مني حماراً آخر حتى لا يفتضح ذلك الرجل .
أعاذنا الله من أليم نقمته وأكرمنا بجميل رحمته بجوده ومنته .

* * *

في معنى اسمه « العفو »

العفو إسم من أسمائه تعالى ورد به النص وهو مبالغة من العافي والعفوله معنيان أحدهما الفضل ومنه قوله تعالى ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ يعني ما فضل من أموالهم ومنه إعفاء اللحية وعفا مال فلان إذا كثر بالعفو على هذا الاشتقاق الذي يعطي الكثير ويهب الفضل الجزيل والمعنى الثاني العفو بمعنى المحو والإزالة يقال عفت الرياح الآثار إذا أزلتها فالعفو في وصفه تعالى على هذا التأويل إزالة آثار الإجمام بجميل المغفرة فالله سبحانه يعفو عن العباد إجرامهم وذنوبهم فيزيل أحكامها كما قال تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ قيل يمحو الذنوب من ديوان الحفظة وينسيها من قلوبهم وقلوب المذنبين وقال بعضهم لما كتبت الحفظة على العباد المعاصي قال الله سبحانه يمحو الله ما يشاء ويثبت لثلاث تقطع الملائكة بعصيانك لتجوزهم أن يكون قد عفا عنك . وفي بعض الحكايات أنه كان شيخ سوء صاحب هوفمات فرثي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال أقامني وقال لي لولا أني أستحي من شيبتك لعذبتك وروي عن بعض العلماء وكان كبيراً في شأنه قال قلت في آخر مجلسي يوماً اللهم أغفر لأقسانا قلباً وأجدنا عيناً وأقربنا بالمعاصي عهداً قال وكان في بلدنا محب معروف وقف على حلقتي فقال أعد هذا الدعاء ثانياً فانا أقساكم قلباً وأجهدكم عيناً وأقربكم بالمعاصي عهداً فادع الله لي حتى يتوب عليّ قال فرأيت الليلة الثانية في المنام رب العزة يقول سرتي حيث أوقعت الصلح بيني وبين عبدي وقد غفرت لك وله ولأهل مجلسك . وقيل إن رجلاً من الصالحين قال يوماً لرجل والله لا يغفر الله

العفو : الذي يعفو عن الكثير ويمجزي بالعطاء الوفير ويبدل السيئات حسنات ويذلل العقبات ويخفف متاعب الحياة والتكاليف الحسية والمعنوية . وذاكره يكون من أهل الحكمة والحلم ويفتح الله له أبواب الرضا والقبول .

لفلان قال فأوحى الله سبحانه إلى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان قد غفرت له
 وأحبطت عمل ذلك الرجل . وقيل كان بعبادان رجل مشهور بالخير وكانت له
 امرأة سالحة وكان لهما ابن فاسق لا يدع شيئاً من المعاصي وكان لا يقبل
 نصيحتهما فمريض فلم يعده أبواه فأرسل إليهما فقالا له سحراً لك وبعداً فإنك لم
 ترع حق الله تعالى فقال لأمه لو كان إليك أمري ماذا كنت تعملين مكاني فقالت
 كنت أتجاوز عنك فقال لها إن ربي أرحم بي منك فمات فأظهر أبواه السرور بموته
 وقالوا إن الله سبحانه قد خلصنا منه ثم قالت والدته للأب ائذن لي الليلة حتى لا
 نوعد السراج ونصلي ونبكي على ولدنا إن كان من أهل النار ففعلوا فرأت أمه في
 المنام كأن قائلاً يقول لها إن الله سبحانه قد غفر لولدكما بحسن عزائكما . وروي
 كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه يوماً فقال
 ما تقولون في رجل قتل في سبيل الله فقالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك في الجنة
 قال فما تقولون في رجل مات فقام رجلان ذوا عدل فقالا لا نعلم منه إلا خيراً
 فقالوا الله ورسوله أعلم . قال ذلك في الجنة قال فما تقولون في رجل مات فقام
 رجلان ذوا عدل فقالا لا نعلم فيه خيراً فقالوا ذلك في النار قال بش ما قلت
 عبد مذنب ورب غفور وأما قوله سبحانه ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف ﴾ فقيل
 معناه خذ ما صفامن الاخلاص وقيل معناه خذ العفو والفضل والمحسن من
 الأخلاق فاعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك وصل من قطعك وتجاوز
 عمن يذنب ولا يحسن مكانك وآت من آثر حرمانك ومن عرف أنه سبحانه عفو
 طلب عفوه ومن طلب عفوه تجاوز عن خلقه فإن الله سبحانه بذلك أدهم وإليه
 ندمهم فقال عز من قائل : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾
 وأن الكريم إذا عفا حفظ قلب المسيء عن الاستيحاءش بتذكيره سوء فعله بل يزيل
 عنه ذلك الخجل بما يسبل عليه من ثوب العفو ويفض عليه من ذبول الصفح
 كما يحكى عن قيس بن عاصم المنقري أنه عثر مملوك له ويده شيء مشوي على
 سفود فوقع على ولد له صغير فمات فقال قيس بن عاصم له اذهب فأنت حر
 يريد بذلك صيانتة عن استشعار الخجل . واعلم أن عفو الله تعالى عن العباد ليس
 مما يستقصى بالعبارات كنه معانيه ، وفيها ذكرناه كفاية وبالله التوفيق .

في معنى اسمه « الرؤوف »

الرؤوف اسم من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ والله رؤوف بالعباد ﴾ والرأفة شدة الرحمة يقال رأف يرأف رأفة على وزن فعلة ورأفة على وزن فعالة ورؤوف يرؤوف على وزن عظم يعظم فهو رؤوف على وزن فعل ورؤوف على وزن فاعول أولى لأن في صفاته^(١) على وزن فعول كثير كشكور وغفور وقد مضى القول في معنى وصفه بالرحمة فيما تقدم وذكرنا أن معنى الرحمة في الحقيقة إرادة النعمة ثم تسمى النعمة رحمة على المجاز . ورحمة الله تعالى لعباده إرادته الإحسان إليهم وليس ذلك شرطاً عليه والله تعالى أرحم بعباده من كل أحد ، ورحمته سبحانه في الدنيا عامة للبر والفاجر وهي في الآخرة للمؤمنين خاصة ، وفي بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض الأسفار فمر بامرأة تحبب ومعهما صبي لها فقيل لها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر فجاءته وقالت يا رسول الله بلغني أنك قلت إن الله سبحانه أرحم بعباده من الأم الشفيقة بولدها أفهو كما قيل لي فقال نعم فقالت إن الأم لا تلقي ولدها في هذا التنور فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الله لا يعذب إلا من أنف^(٢) أن يقول لا إله إلا الله ومن رحمته سبحانه بعباده أن يصونهم عن

الرؤوف : الذي أخفى رحمته بحكمته ليرهب العبد جلاله وأظهرها بحنانه ورأفته ليدوق العبد عوائد كرمه فلا يئأس ويقوى على مغالبة آلامه وهو أشفق على الولد من أمه وأبيه ولولا قضاؤه الحق وحكمه العدل وحكمته الخفية ما أخرج المؤمن طلباً ولا رضي له مشقة ولا ألماً ولا مرضاً ولا حزناً ولم يذقه الموت وقد جعل الله له من ذلك جزاء موفوراً في دار النعيم عطاء غير مجدود . وذاكره يشفى من الأمراض ويكون رقيق القلب وإذا غلب عليه منه حال لا تؤثر فيه العوارض .

(١) وقرء في القرآن بها جميعاً ورؤوف على وزن فعول .

(٢) أنف من الشيء أنفأ من باب تعب والإسم الإنفة مثل قصبة أي استكف وهو الاستكباراً . هـ مصباح .

موجبات عقوبته فإن عصمته عن الزلة أبلغ في باب الرحمة من غفران المعصية وربما يرحم عباده بما يكون في الظاهر مشقة وشدة وهو في الحقيقة نعمة ورحمة وقد روي في بعض الأخبار أن العبد يدعو الله تعالى فيقول الله سبحانه يا جبريل قضيت حاجة عبدي وقد أجبت دعاءه ولكن احبس عنه حاجته فإني أحب أن أسمع صوته وتكلم من عبد يرحمه الخلق لما به من الضر والفاقة وسوء الحالة وهو في الحقيقة في غاية الرحمة تغبطة الملائكة في حالته والناس يرقون له لظاهر محنته . يحكى عن بعضهم أنه قال مات فقير فكنت أغسله فرأيت في عنقه بين الجلد واللحم طوي لك يا غريب . وكلم من عبد يظهر عليه اليوم آثار زلته وهو في سابق علمه بل رحمته وحكمه من خواص عباده . يحكى عن بعضهم أنه قال كان في جبراني إنسان شريف فمات فرفعت جنازته فتنحيت عن الطريق لثلا أحتاج الى الصلاة عليه فرئي في المنام على حالة حسنة وكان اسم هذا العبد أيوب فقال له هذا الرائي ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال لي قل لأيوب « لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكنكم خشية الإنفاق » وفي بعض الكتب أن نبياً من الأنبياء شكى إلى الله الجوع والعري والقمل فأوحى الله تعالى إليه ما تعرف ما فعلت بك سددت عنك باب الشكر وفتحت عليك الصبر ومن رحمته بعباده أن يصونهم عن ملاحظة الأغيار والأطلال ورفع الحوائج إلى الأمثال والأشكال بصدق الرجوع إلى الملك الجبار وحسن الإستغناء به في جميع الأحوال وقد حكى عن بعضهم أنه قيل له سل حاجتك فقال من وضع قدمه على بساط المعرفة لا يحسن أن يكون لغير الله عليه منة وقال رجل لواحد منهم ألك حاجة فقال لا حاجة لي إلى من لا يعلم حاجتي . وقيل لمشاد الدينوري ألا تحيء معنا إلى باب السلطان فإن الشيوخ مجتمعون هناك ليسعوا في شأن فلان فقال وما الذي يمنعكم عن باب الله تعالى إنما يحضر الموت باب الموت ونحن نحضر باب الملك الجبار وأن الله تعالى ربما يدين العبد من المحنة ثم يمن عليه بعد يأسه بفتح باب الرحمة قال الله تعالى ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ﴾ وإذا كانت الحسنى بعد اليأس كانت أوجب للسرور والاستئناس يحكى عن

بعض الصالحين أنه قال : رأيت بعضهم في المنام فقلت له ما فعل الله بك
قال : وزنت حسناتي وسيأتي فرجحت سيأتي على حسناتي فجاءت صرة من
السماء وسقطت في كفة الحسنات فرجحت فحلت الصرة فإذا فيها كف تراب
ألقيته في قبر مسلم . هكذا تحيط بالعبد جهات البلاء فتكشف عنه بأذن حسنة
وأقل طاعة فضلاً منه سبحانه ورحمة .

* * *

في معنى اسمه « ذي الجلال والإكرام »

مضى الكلام في معنى جلاله فيما تقدم وأنه بمعنى استحقاها الرفعة وصفات التعالي ومن عرف جلاله تذلل وتواضع له . جاء في بعض الروايات أن الله ملائكة مذ خلقهم لا يفترون عن البكاء ولا تقطر من دموعهم قطرة إلا ويخلق الله تعالى منها ملكاً لا يرفعون لنا رؤوسهم إلى يوم القيامة من هيبة الله سبحانه فإذا كان يوم القيامة يقولون ما عبدناك حق عبادتك وقيل إن من جملة حملة العرش ملائكة صورتهم كصورة العجل فمذ عبد بنو إسرائيل العجل (١)

ذو الجلال والإكرام : الذي لذاته صفات الجلال والكبرياء والعظمة والمجد والتنزيه وخلقهم من إفاضة الجود والكرم والزأفة والحنان عند إيمانهم وطاعتهم . وهم الذل والهوان والطرده والحرمان والتعذيب والإنقام عند كفرهم وعصيانهم وهذا جامع لجميع الصفات ومن صفاته الذاتية سبحانه وتعالى الأحد الصمد الواحد الأول القادر السميع البصير العليم اللطيف الخبير الحي القيوم الملك القدوس الحق العزيز ومنه تستمد الخلائق الوجود فهو خالق باريء مصور منبديء معيد محيي مميت باعث شهيد رقيب محص مقتدر مالك الملك . ومن صفاته الذاتية الرحمن وتستمد منه الخلائق الرحمة فهو رحيم رؤوف سلام مقيت رازق وهاب كريم فتاح باسط مجيب واحد ودود رافع معز مغن نافع حلیم صبور نور هاد ومن صفاته الذاتية ماجد فياض المجد فهو مجيد وحيد وحسيب وجليل وولي ومن صفاته الذاتية غفور تهرع إلى مغفرته الخلائق فهو غفار شكور غفور رؤوف ومن صفاته الذاتية المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الحكيم الحكم العدل العظيم العلي الكبير القوي المتين تحشى الخلائق عقابه ويهرب أهل المعرفة جلاله لأنه سبحانه وتعالى للكفرة والعصاة الفجرة قهار مذل محيت قابض مؤخر خافض مانع ضار منتقم فهو سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام وذآكره ينال عزا ورفعة وقبولاً وهيبة وسعادة وهو إسم أعظم لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطوا ياذا الجلال والإكرام .

(١) قوله وقيل من جملة حملة العرش ملائكة على صورة العجل رواية إسرائيلية للأعداء لبني إسرائيل إذ عبدوا العجل قاتلهم الله أني يؤفكون فما رأوا عجلاً إلا الذي صنعه السامري . والضحیح الذي لا مرية فيه أن الملائكة ليس فيها من هو على صورة العجل وإنما صورتهم على ما ذكر الله سبحانه وتعالى الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء

وضعوا أيديهم على وجوههم حياء من الله تعالى وقيل الإجلال أن ترى ما دونه بعين الإقلال يحكى عن ابن الجلا أنه قال كنت راكباً جملاً مرة فقلت جل الله فسمعت الجمل يقول بلسان فصيح جل الله وليس جلاله بأنصار يعنونه ولا بأشكال ينصرونه ولا برسوم وأطلال وأجلال وأفعال ولا سلف ولا خلف ولا نسب أو سبب أو إستظهار بنشب وإنما جلاله وكبريائه وعلوه وبهاؤه كونه بالوصف الذي يحق له العز . وأما الإكرام فقريب من معنى الإنعام إلا أنه أخص لأنه ينعم على من لا يقال أكرمه ولكن لا يكرم إلا من يقال أنعم عليه وإكرامه للعبد يكون في الدنيا معجلاً وفي الآخرة مؤجلاً فقد يربي عبداً برحمته ويتولى جميع أمره بفضلته ومثته من أول أمره إلى آخر عمره أما ترى كيف أكرم موسى عليه السلام حيث سلمته إليه أمه كيف رباه في حجر عدوه وكيف صرف عنه كيدته؟ أسلمته إلى البحر متوكلة على الله بالغداة فرده إليها قبل الظهر . جاء في الروايات أن فرعون قتل في ذلك اليوم سبعين ألف صبي وموسى في حجره يريه . وهكذا قالت أيضاً أم مريم رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها أنثى خجلت لأن الأنثى لا تصلح لخدمة المسجد فتقبلها ربهما بقبول حسن وبلغها المقام الذي بلغها حتى وقع الغلط لجماعة من الناس لا يحصون في أمرها حتى قالوا ما قالوا (نكتة) إذا سلم إليه ولده فرياه في حجر عدوه وصرف عنه كيدته فمن سلم إليه قلبه حفظه كما في الخبز أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين نعمتين من نعمة ترى أنه يضيعه ولا يحفظه حاش الله (نكتة أخرى) من سلم إليه ولده وجعله لخدمة المسجد لم يرد به بنقص الأنوثة ترى أن من سلم قلبه إلى صحبة الملك يرد به بنقص زلة البشرية أنه لا يفعل ذلك وقد روي في بعض القصص أن العبد إذا هم بالمعصية يقول الله تعالى أنيبوا إلى ربكم فإذا عمل المعصية يقول الله تعالى وتوبوا إلى الله فإذا أصر يقول الله تعالى ﴿ أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾ .

بئس البدل من الله لأن ربنا عزيز لم يزل وغيره ذليل لم يكن وإذا كان الحق

تعالى ينعم والعبد يشكر غيره ويرزق والعبد يخدم غيره وهو يعطي والعبد يسأل
غيره فقد أخطأ طريق الرشد وسلك سوء الطريق . يحكى أن رجلاً أتى الحجاج
يسأله حاجة فوجد الحجاج في الصلاة فقال في نفسه كيف أسأل من هو محتاج
مشلي بل أسأل من ربي حاجتي ، فانصرف فلما فرغ الحجاج من صلاته دعا
بالرجل ففضى له حاجته وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له أعطاك من سألته
وأنا ساجد .

* * *

في معنى اسمه « المقسط الجامع »

هما إسمان من أسمائه تعالى فأما المقسط فهو بمعنى العادل وأما القاسط فهو بمعنى الجائر يقال قسط إذا جار وأقسط إذا عدل ومعنى العادل في وصفه أن أفعاله حسنة جميلة والفعل الحسن ما للفاعل أن يفعله وأما الجامع في وصفه تعالى فيكون بمعنى الجائر لهم يوم القيامة للثواب والعقاب فيجمع لحومهم المتفرقة وجلودهم المتمزقة وعظامهم النخرة ويكون الجامع اليوم لأجزائهم وأوصالهم ركبهم على ما أراد من التركيب ورتب أحوالهم على ما شاء من الترتيب قال الله تعالى ﴿ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ﴾ وشدد أوصالهم وربط أجزاءهم بعضها ببعض فمن عظم التغالب عليه البيوسة ولحم كساه الغالب عليه اللين والرطوبة ومخ بين العظم الغالب عليه اللين والرخاوة فسبحان من جمع بين هذه الأشياء المختلفة وأنظر إلى التثام كل نوع وكل جنس كيف جمع بين الأشياء المختلفة في الطعام واللون والرائحة كالرمان مثلاً أنظر إلى قشره في لونه وشكله وطعمه وما قال أهل الطب فيه وإن لم تكن له حقيقة في القول بطبعه ولكن على ما أجرى به العادة في الآثار التي يخلقها الله سبحانه عقيب أكله واستعماله في الطبع وغيره ثم أنظر شكل حبه ولونه وطعمه ثم ما بين الحب من عجمه ثم ما بين الحبات من

المقسط : المنصف الحكيم لا يخطيء الحق والقسط في حكمه ولا يحيف وهو الحكم الأعلى لجميع المخلوقات . وذكره يورث الخوف والرجاء والاهتداء إلى الحقائق ويمنع الوسوسة في العبادات .

الجامع : الذي جمع صفات الكمال وألّف بين قلوب أحيابه وهو الذي يجمع الخلق ليوم لا ريب فيه ويحيي بالشهداء والنبين فلا يفر من عذابه وعقابه كافر أو جاحد من السابقين واللاحقين ويجمع من شاء بما شاء لأنه قادر مقتدر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وذكره يكشف له عن حقائق الملكوت ويجمع بين الشريعة والحقيقة ويهدي إلى خصالته ويجمعه بأحبته .

رقيق قشره ثم هكذا القول في الأترح من قشره ولحمه وحماضه وحبه وسائر الثمار
 وجميع أصناف المخلوقات والحيوانات من الجمادات كيف جمع هذه الأعراض
 المختلفة في هذه الجواهر المتجانسة . ومن صرف قلبه إلى الاعتبار بما توعد به
 عباده من أحوال يوم القيامة وصنوف أهوالها تحقق بديع قدرته وظاهر حكمته
 وتنبه للانزجار عن أليم مساحطه ومما روي في أوصاف يوم القيامة أنه يوقف شيخ
 للحساب فيقول الله له يا شيخ ما أنصفت غذوتك بالنعم صغيراً فلما كبرت
 عصيتي أما أي لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ما كان
 منك . وإنه ليؤق بالشاب كثير الذنوب فإذا وقف تضعضعت أركانه واصطكت
 ركبته فيقول الرب جل جلاله أما استحييت مني أما راقبتني أما خشيت نعمتي أما
 علمت أي مطلع عليك خذوه إلى أمه الهاوية وفي خبر أن الوحوش والبهائم تحشر
 يوم القيامة فتسجد لله سجدة فتقول الملائكة ليس هذا يوم سجود هذا يوم الثواب
 والعقاب فتقول البهائم هذا منا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله من بني آدم
 ويقال إن الملائكة تقول للبهائم لم يحشركم الله جل جلاله لثواب ولا لعقاب وإنما
 حشركم لتشهدوا فضائح بني آدم وقيل لو أن رجلاً له ثواب سبعين نبياً وله
 خصم بنصف دائق لا يدخل الجنة حتى يرضي خصمه . وقيل إن الدائق من
 الفضة يؤخذ به يوم القيامة سبعمئة صلاة مقبولة فتعطي إلى الخصم وفي خبر
 مسند عن النبي صلى الله عليه وسلم لو صليتم حتى تكونوا كالخنايا وصمتم حتى
 تكونوا كالأوتار ما نفعكم ذلك إلا بورع صادق . وقيل كما يرجو الظالم رحمة الله
 فإن المظلوم أيضاً يرجو رحمة الله سبحانه فإذا أخذ حقه من الظالم فذلك برحمة
 منه ولولم يأخذ للمظلوم حقاً من الظالم لما رحم المظلوم . وروي عن ابن مسعود
 انه قال يؤخذ بيد العبد يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فينادى مناد إلاً من له
 قبل هذا حق فليأخذ خذه وقيل لا يكون شيء أشد على أهل القيامة من أن يرى من
 يعرفه مخافة أن يدعي عليه شيئاً .

فصل : وقد يجمع اليوم قلب ولبه إلى شهود تقديره حتى يتخلص عن
 أسباب التفرقة فيطيب عيشه إذ لا راحة للمؤمن دون لقاء الله تعالى فلا يرى

الوسائط ولا ينظر إلى الحادثات. إلا بعين التقدير إن كانت نعمة علم أن الله سبحانه منتجها وإن كانت شدة علم أن الله تعالى هو الكاشف لها ومزيحها وأشد بعضهم :

فلا ألبس النعمى وغيرك ملبسي ولا أقبل الدنيا وغيرك واهب

يحكى عن بعضهم أنه قال لبعض أصحابه ائني بياقلا فأتاه به فكان بين يديه سنور مهزول قال فألقى إليه شيئاً من ذلك فلم يأكل فلما طرح القشور مضى السنور وأكله فقال في نفسه ما أخسه لم يأكل بالعز وقد أعطيته ثم ذهب يلتقط من القمامات قال فغفا غفوة فرأى السنور فيما يرى النائم على صورة حسنة قال لم لم تأكل بالعز وأكلت بالذل قال فصاح في وجهه وقال أمرنا أن لا نأخذ بالواسطة .

* * *

في معنى اسمه « المغني المانع »

المغني معطي الغنى لعباده ويكون بمعنى معطي الكفاية والغناء هو الكفاية والله تعالى مغني عباده بعضهم عن بعض على الحقيقة لأن الحوائج لا تكون على الحقيقة إلا إلى الله سبحانه فإن المخلوق لا يكون له إلى مخلوق إشتداد حاجة ولهذا قيل تعلق الخلق بالخلق كتعلق المسجون بالمسجون قيل من أشار إلى الله ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله ابتلاه الله سبحانه بالحاجة إلى الخلق ثم ينزع الرحمة من قلوبهم ومن شهد محل إفتقاره إلى الله سبحانه فرجع إليه بحسن العرفان أغناه من يحث لا يحتسب وأعطاه من حيث لا يرتقب . وإغناء الله تعالى لعباده على قسمين منهم من يغنيه بتنمية أمواله ومنهم من يغنيه بتصفية أحواله وهذا هو الغنى الحقيقي سمعت بعض المشايخ بيغداد قال جاء رجل بيغداد إلى الجنيد فعرض عليه نفسه وماله وسأله أن يبأسطه فيما يسبح له من حوائجه فقال له لعلك تحتاج إلى ما معك فقال لا فإني رجل موسر ولي صامت وعقار وضيع فقال أتريد غيره وتستريده إلى ما معك فقال نعم فأخرج خرقة فيها كسوة فحلها وناوله إياه وقال له أضفها إلى ما معك فإني لست أحتاج إليها وأنت تحتاج إلى الزيادة وصاحب الحال أبداً يوجد على صاحب المال وصاحب المال عيال على صاحب الحال وصاحب المال يشفق وصاحب الحال ينفق ويتحلق مع الخلق

المغني : الذي يهب الغنى لمن شاء من خلقه وما كان عطاء ربك محظوراً ولا اعتراض على فعله قال سبحانه وتعالى ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنم خشية الإنفاق وكان الإنسان نفوراً ﴾ وذاكره تسخر له الخلق وتحمه عشيرته ويستحي أن يسأل غير الله حاجته .

المانع : الذي لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى ويمتنع وجود أي شيء إلا بإرادته ويستحيل التعرف إلى أي شيء أو كسبه إلا بمشيئته ولا يمتنع المكروه إلا بحوله وقوته وذاكره بأمن المكاره ويستعين بالله فيحصل على جميع ما يحتاج إليه .

بالهمة والخلق إلى همة صاحب الحال أحوج منهم إلى نعمة صاحب المال يحكى أن أبا العباس الفقيه التبان وكان موسراً عاد أبا بشر الخياط وكان شيخاً كبيراً فقال إن لي ثوباً عرضته على كثير من الخياطين وأردت أن يقطفولي منه ثوباً لنفسي فقالوا لا يتم لك منه ثوب فقدرت أنت لعله يجيء ببركتك منه ثوب واسع فقدره أبو بشر فوجده لا يجيء منه ثوب واسع كما أراد فقال يجيء إن شاء الله تعالى كما تريد وحمل الثوب إلى حانوته واشترى من ماله قطعة توافق ذلك الثوب وخاطه كما أراد وحمله إليه فسر به أبو العباس التبان فقيل لأبي بشر في ذلك فقال أن جود الفقير مع الغني أتم من جود الغني مع الفقير . وأما المانع في وصفه جل جلاله فيكون بمعنى منع البلاء عن أوليائه ويكون بمعنى منع العطاء عن من شاء من أوليائه وأعدائه فإذا منع البلاء عن أوليائه كان ذلك لطفاً جميلاً وإذا منع العطاء عن أوليائه كان ذلك أيضاً فضلاً جزيلاً وإذا لم يمنع الخير عن أعدائه كان ذلك في الحال احتجاجاً عليهم واستدرجاً وإذا منعهم الخير في الآخرة كان عقوبة وإذلاً .

فصل : حكى أن موسى عليه السلام قال في مناجاته إلهي إني جائع فأوحى الله إليه إني لا أعلم ذلك يا موسى قال فأطعمني قال حتى أريد ويحكى عن ابن المكندر أنه قال قلت ليلة في الطواف اللهم أعصمني وأقسمت على الله طويلاً فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي أنت الذي قلت أعصمني فقلت نعم فقال أنه لا يفعل فقلت لم فقال لأنه يريد أن يعصى حتى يفقر وربما يكون منعه لبعض عباده منع قلبه عما يضره بأن لا يخلق له إرادة ذلك فيكون رفقاً به قال الله تعالى ﴿ وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ وأنه سبحانه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولكنه لا يجبي قلب أحد من المخالفات إلا وهو من خواص أوليائه وقد يمنع التمني والشهوات من نفوس العوام ويمنع الإيرادات والاختيارات عن قلوب الخواص ويمنع الشبهة عن القلوب والبدع عن العقائد والمخالفات في الأوقات والزلل عن النفوس من أجل النعم التي يخص بها عباده المقربين ويكرم بها أوليائه المنتخبين جعلنا الله من جملتهم وحشرنا في زميرهم .

في معنى اسمه « الضار النافع »

ورد الخبر بهذين الإسمين وفي معناهما إشارة إلى التوحيد وهو أنه لا يحدث شيء في ملكه إلا بإيجاده وحكمه وقضائه وإرادته ومشيئته وتكوينه قال الله سبحانه : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ ثم أخبر عن بيانه فقال سبحانه : ﴿ هو مولانا ﴾ ليعلم العالمون أن له أن يتصرف في ملكه بموجب إرادته فلا يلحق أحد آخر ولا نفع ولا خير ولا شر ولا سرور ولا حزن إلا من قبله جل جلاله فإن تك نعمة فهو النافع والدافع وإن تك محنة فهو الضار القامع الحابس المانع ومن استسلم لحكمه عاش في راحة ومن نافر اختياره وقع في كل آفة يقال أول ما كتب الله جل جلاله في اللوح المحفوظ أنا الله لا إله إلا أنا من لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليطلب رباً سوائى . وقيل ناجى داود عليه السلام ربه جل جلاله فقال إلهي : من شر الناس فقال عز من قائل من استخاري في أمر فإذا خرت له اتمني ولم يرض بحكمي وقيل من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الواسطي الطينة إذا نازعت الربوبية أظهرت رعوتها . وفي خير مسند إياكم ولو فان لو من أقوال المنافقين فإذا عرف العبد توحيد مولاه في الإيجاد وتفرد في الإختراع فوض الأمور إليه وعاش في راحة من الخلق والخلق في راحة منه فبذل النصيحة من نفسه ولم يستشعر الغش والخيانة لغيره . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الدين النصيحة . يحكى عن أيوب السخنياتي أنه كان يجيء إلى السوق فرأى رجلاً اشترى من غلام شيئاً فقال بكم باعك هذا فقال بكذا فقال ارجع

الضار النافع : الذي يضر الأعداء وينفع الأحياء ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه ولا مؤثر في جميع العوالم الجسمانية والروحانية إلا هو حسبما يريد ووفق ما اقتضته الحكمة . وذاكر هذين الإسمين يكون من المتوكلين قلبه راض معلق بالله يشعر بلطفه وأبراره ويشفى من علله وأسقامه وتحبه عشيرته .

فإن عليك غبناً إن هذا لا يساوي هذا الثمن ثم قال لغلّامه على وجه العتاب أتخدع الرجل؟ رد عليه الفضل . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى اطلبوا الفضل عند الرجاء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فيأني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإن فيهم غضبي وأن رحمة الله تعالى أتم من رحمة بعضهم البعض فمن عرف ذلك علم أنه سبحانه يحب من عباده من يرحم خلقه ولا يرحم العبد إلا إذا رحمه الحق قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « قما رحمة من الله لنت لهم » وروى عن ابن أوفى أنه قال خرجت أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قاعدان وصبي صغير يبكي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضم إليك الصبي يا عمر فضم عمر الصبي إلى نفسه فإذا بامرأة كاشفة عن رأسها تاول^(١) ، وتقول يا بنيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلتق المرأة فإنها أم الصبي فأخذت المرأة ولدها وضمته إلى صدرها والصبي يبكي في حجرها فلما التفتت رأت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت واحزناها أنى لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت وأنا كاشفة عن رأسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه رحيمة بولدها فقالوا بلى يا رسول الله كفى بهذه رحمة فقال والذي نفسي بيده الله أرحم بالمؤمنين من هذه بولدها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحون يرحمهم الرحمن . حكى أن الحسن البصري سرق له أزار فقعد يبكي فقيل له في ذلك فقال إنما أبكي لأن مسلماً تلحقه غداً عقوبة من أجلي ثم قال اللهم إن كنت تغفر لأحد ذنباً فاغفر لسارق إزارى ذنبه ويحكى أن معروفاً الكرخي كان قاعداً على شاطئ الدجلة وكان هناك جماعة من الشطار يشربون الخمر ويضربون بالأوتار فقيل له أما ترى جراءة هؤلاء على الله سبحانه وتعالى إدع الله عليهم لعل الله يخلص المسلمين من شرهم فقال اللهم كما فرحت هؤلاء في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقالوا سألتك أن تدعو عليهم لا أن تدعو لهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم فلم يضرهم .

(١) أي ترفع صوتها بالبكاء .

في معنى اسمه « النور »

النور من أسمائه جل وعلا قال الله تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ قيل في التفسير معناه منور السموات والأرض وقيل معناه المهادي لأهل السموات والأرض وقيل سُمِّيَ النور لأن منه النور والعرب تسمي من منه الشيء باسم ذلك الشيء كتسميتهم المقبل والمدبر بالإقبال وبالإدبار قال الشاعر :

نرتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإئما هي إقبال وإدبار

أي ذات إقبال وإدبار فإذا كان بمعنى المنور فإنما هو منور الآفاق بالنجوم والأنوار ومنور القلوب بفنون الدلائل وصنوف الحجج والملاطفات ومنور الأبدان بآثار العبادات فالطاعات زينة النفوس والأشباح والمعارف زينة القلوب والأرواح والتأييد بالمواقفات نور الظواهر والتوحيد بالمواصلات نور السرائر وأن الله سبحانه يزيد قلب العبد نوراً على نور يؤيده بنور البرهان ثم يمدّه بحسن البيان قال الله سبحانه ﴿ نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ وقد يهدي القلوب إلى محاسن الأخلاق لتؤثر الحق وتصطفيه وتترك الباطل وتدع ما يستدعيه وفي بعض الأخبار أن الله تعالى يحب الأخلاق ويكره سفاسفها فمن معالي الأخلاق التحرز عن رق الأشياء واستصغار قدر الدنيا والجود بها على كل أحد وأن الله

النور : الذي نور باطن المؤمنين بهديه وشعشع أرواحهم بحبه وأقلق قلوبهم بالشوق إليه فلم يأنسوا إلا به ولم يروا حركة ولا سكوناً في الأكوان كلها دقت أو جلّت ظهرت أو خفيت إلا من تأثير إرادته فوهبوا أنفسهم وأنفاسهم لنور معرفته فأروا قيويمته سارية في جسد الأكوان فنظروا إلى نورها فغابوا عن الحس إلى حقيقة المشاهدة وفناء القرب قال الله سبحانه وتعالى ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ وذاكره يكون من أهل الولاية والهداية وإرشاد الخلق إلى الحق ويأتيه النور حتى يختلط بأمزجة جسده ويحترق جميع أنسجته ويزداد وجده وشوقه لخالقه أغشيته .

سبحانه يجب كل جواد سخّي وفي بعض القصص أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخّي . يحكى أن عبد الله بن عباس كان والي البصرة من قبل علي رضي الله عنه فأتاه قراء البصرة وقالوا له إن رجلاً ههنا صالحاً مشتغلاً بالعبادة وله بنت وقد زوجها من رجل وليس له ما يجهزها به فادخلهم داره وأخرج ست بدرات دراهم وقال إحملوها إليه وحمل هو واحدة ومضوا إلى دار الرجل ووضعوها فلما انصرفوا قال لهم ما عملنا جليلاً شغلناه عن العبادة انصرفوا بنا نتولى ذلك الشغل فليس للدنيا من الخطر ما يشتغل به عابد عن عبادته تعالى ولا فينا أيضاً من يترفع عن القيام بأمر مسلم ومضى وقام يتولى ذلك الأمر بنفسه وقيل السخاء أن تجود على من لا يعرفك والسؤدد أن تنصف من لا ينصفك وفي معناه أنشد .

بث النوال ولا يمنعك قلته فكل ما سد فقراً فهو عمود
 إن الكريم ليخفي عنك عسرتة حتى تسراه غنياً وهو مجهود
 وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

وفي بعض الحكايات أن عبد الله بن العباس خرج في بعض أسفاره فنزل ليلاً على حي من العرب فاستضاف شيخاً فأنزله ورحب به وكان فقيراً فعمد إلى شاة له فذبحها فقالت امرأته تموت إذاً من الجوع فقال الأعرابي الموت خير من اللوم فلما أصبح عبد الله بن العباس قال لغلامه إيش معك فقال خمسمائة دينار فقال ضعها عنده فقال يكفيه ضعف قيمة الشاة قال إليك عني فإنه إن لم يكن يعرفني فأنا أعرف نفسي أن الرجل جاد علينا بجميع ماله ونحن جدنا عليه ببعض دنيانا .



في معنى اسمه « الهادي »

ومن أسمائه سبحانه الهادي قال الله تعالى ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء ﴾ وغير ذلك كثير والهداية في اللغة الإمالة والهدية تسمى هدية لأنها تمال من ملك إلى ملك والهدى يسمى هدياً لأنه حيوان يساق إلى بقعة مخصوصة وأهديت المرأة إلى بيت زوجها من ذلك فالهداية إمالة القلب إلى الحق قال الجنيد في معنى قوله تعالى ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ مل^(١) بقلوبنا إليك واقم همنا بين يديك وكن دليلنا منك عليك . وقيل أصله التقديم والعرب تسمى العنق الهادي لتقدمه على البدن فالهادي في وصفه بمعنى المقدم لأهل الخير إلى الرتبة التي يستحقونها والذي يميل القلوب إلى الحق عن الباطل قال الله سبحانه ﴿ يهديهم ربهم ﴾ وكما يهديهم إلى نفسه بحسن التعريف يهديهم إلى محاسن الأخلاق ومعالي الأمور بحسن التشريف قال الله سبحانه ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ يكرم قوماً لما يلهمهم من جميل الأخلاق ويصرف قلوبهم إلى ابتغاء ما فيه رضاه ويهديهم إلى إستصغار قدر الدنيا واستحقاق كرائمها حتى لا يسترقهم ذل الأطماع ولا تستعبدهم أخطار المستحقرات فلا يتدنسون بالركوع إلى كل خسيصة ولا يتلبسون بتعاطي كل نعمة ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وحكايات الأسخياء في ذات الله أعلى منهم رتبة يحكى عن قيس بن سعد بن عبادة أنه مرض وقتاً فلم يجد في عواده كثرة فسأل عن

الهادي : الذي يدل الخائر إلى طريق الخير والنجاة ويهب الهداية لمن ارتضاه ويسهل سبل الهداية والكرامة لمن أحبه واجتباها . وذاكره ينال مناصب الأحكام ويهتدي إلى طرق الرشاد .

(١) قوله مل بقلوبنا الذي في المقصد الأسنى أمل بقلوبنا .

ذلك فقالوا له أنهم يستحيون عن عيادتك لأن لك عليهم ديوناً فقال لا خير في مال يجول بيننا وبين إخواننا نادوا في البلد أنه من كان لي عليه شيء فقد وهبناه له فلما أصبح كسرت عتبة بابه من كثرة عواده وقيل كان بينه وبين رجل عداوة فأراد ذلك الرجل أن يماكره فمضى إلى الناس فقال أن قيساً يدعوكم فحضر بابه خلق كثير فقال ما بال الناس فقيل له إنك دعوتهم ولم يكن عنده في الوقت مال حاضر وكان له على الناس ديون فأخرج الصكوك على الناس بعشرين ألف دينار ففرقها على من حضر منهم وقال إذا خرج العطا فخذوا هذا من الناس واعذروني إذ ليس في يدي ما أبركم بالنقد وأن الهداية إلى حسن الخلق باب الهداية إلى اعتقاد الحق لأن الدين شيئان صدق مع الحق وخلق مع الخلق ثم منازل الناس في الخلق متفاوتة فمن وضع تقاصر أمره ومن كبير تناهى قدره ولهذا قال بعضهم حسن الخلق أن لا يبقى أثر للكون وقيل احتمال المكروه بحسن المداراة وقيل هو بسط الوجه وكف الأذى وقيل هو ترك الخيانة في حال النعمة ورفض الشكائية في حال المحنة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال طوبى لمن بات حجاجاً وأصبح غازياً قالوا من هو يارسول الله قال من كثرت عياله وضاقت يده وحسن خلقه معهم يدخل ضاحكاً ويخرج ضاحكاً أنا منهم وهم مني وهم الحاجون الغازون في سبيل الله وقال الفضيل بن عياض لأن يصحبي رجل فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبي عابد سيء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق الحسن طوق من رضوان الله في عنق صاحبه والطوق مشدود إلى سلسلة من الرحمة والسلسلة مشدودة إلى حلقة من أبواب الجنة حيث ما ذهب الخلق الحسن جذبته السلسلة إلى نفسها فتدخله من ذلك الباب الجنة والخلق السوء طوق من سخط الله في عنق صاحبه والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله والسلسلة مشدودة إلى حلق من باب النار من حيث ما ذهب الخلق السوء جذبته السلسلة إلى نفسها فتدخله من ذلك الباب النار .

* * *

في معنى اسمه « البديع »

البديع من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ ومعناه المبدع فعيل بمعنى مفعول كثير وقد مضى فيما تقدم في غير موضع وقيل كان في الأصل بدع ولكنهم أماتوا هذا التصريف وكل من فعل فعلاً لم يسبق إليه قيل أبدع ولهذا سميت البدعة بدعة لأنه قول لم يسبق إليه فأنله والله تعالى مبدع الأعيان لا على مثال تقدم ولا من أحد تعلم وقيل أن البديع هو الذي لا مثل له ويقال هذا شيء بديع إذا كان عديم المثل والوصفان جميعاً يجبان لله تعالى لأنه المنشئ لا على مثال وهو القديم بلا مثال وأما المبدئ فهو مفعول بمعنى فاعل يقال بدأ الله الخلق وأبداهم قال تعالى ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ وأن الله تعالى خالق الأعيان ومبديها وجاعل العين عيناً والذات ذاتاً ويصيح هذا على طريقة أهل السنة دون من خالفهم من أهل الأهواء والبدعة حيث قالوا أن الحوادث كانت في العدم أعياناً وأشياء فسدوا على أنفسهم طريق التوحيد بهذه البدعة الشنعاء وليس هذا موضع بسط الكلام فيه ومن آداب من عرف هذا الإسم لله تعالى أن يجتنب البدعة ويلزم السنة . والبدعة ما ليس لها أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا إجماع الأمة قال الله سبحانه ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقال تعالى ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ وقال تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ وقال أبو عثمان الخيري من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق

البديع : الذي أبدع التصوير وأحسن التدبير ولم يخلق الأكوان خامدة عملة بل خلقها حافلة ببدايع المصنوعات وغرائب الفنون وعجيب الحوادث شيقة للمفكرين كثيرة الدلالات والآيات المتوسمين فسبحانه وتعالى لا نهاية لكماله ولا حد لجلاله ولا مثيل له . وذاكره يكون من أهل البصيرة والفهم وتقضي حاجته ويأمن الصواعق .

بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال صلى الله عليه وسلم من أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة وقال سهل بن عبد الله أصول مذهبنا ثلاثة الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأعمال وقول الله تعالى ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ جاء في التفسير الحكمة السنة وقال تعالى ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ جاء في التفسير أنه الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خير مسند عمل قليل في سنة خير من إجتهد في بدعة وقيل رثي عمرو بن الليث في المنام بعد موته فقليل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقليل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوماً وفي سفح الجبل جنودي فأعجبني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته فشكر الله لي ذلك فغفر لي ويحكى عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه قال كنت يوماً مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت خير رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة في المنام قائلاً يقول لي أبشر يا أحمد فإن الله قد غفر لك باستعمال السنة فقلت من أنت فقال جبريل وقد جعلك الله تعالى إماماً يقتدى بك ويحكى عن بعضهم أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له يا رسول الله اشفع لي قال قد شفعت لك فقلت متى فقال اليوم الذي أحييت فيه سنة من سنتي وقد أميتت وقال صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة شبراً فقد خلع ربة الإسلام من عنقه وقال ابن عباس ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحمى البدعة وتموت السنة وقال صلى الله عليه وسلم من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام وأوحى الله لموسى عليه السلام لا تجالس أهل الأهواء فيحدثوا في قلبك ما لم يكن وقال سهل ابن عبد الله من داهن مبتدعاً سلبه الله تعالى حلاوة السنن من ضحكك إلى مبتدع نزع الله تعالى نور الإيمان من قلبه سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنة ومن ترك سنة

عوقب بحرمان الفريضة ومن استهان بالفرائض قىض الله له مبتدعاً يذكر عنده
باطلاً فيوقع في قلبه شبهة . واعلم أن بركات السنة توصل العبد إلى حقائق
القربة وتجعله أهلاً لخصائص الرأفة قال الله تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وفقنا الله وإياكم لمتابعة السنة وعصمنا عن إتباع البدعة .

* * *

في معنى اسمه « الباقي الوارث »

الباقي إسم من أسمائه تعالى والبقاء صفة من صفات ذاته وهو تعالى باق ببقاء هو قائم به وبقاؤه باق لنفسه لأنه في نفسه باق وصفات ذاته باقية ببقائه تعالى وحقيقة الباقي من له البقاء وإنما جاز أن يكون بقاؤه بقاء لصفاته ولم يجوز أن يكون الباقي باقياً ببقاء هو غيره ومما يجب أن تشتد به العناية أن يتحقق العبد أن المخلوق لا يجوز أن يكون متصفاً بصفات ذات الحق سبحانه فلا يجوز أن يكون العبد بعلم الله عالماً ولا يجوز أن يكون العبد بقدرة الله قادراً. ولا أن يكون سمياً وبصيراً بسمعه وبصره تعالى ولا أن يكون حياً بحياته ولا باقياً ببقائه تعالى لأن الصفة القديمة لا يجوز قيامها بالذات الحادثة كما لا يجوز قيام الصفة الحادثة بالذات القديمة وحفظ هذا الباب أصل التوحيد فإن كثيراً ممن لا تحصيل له ولا تيقن زعموا أن العبد يصير باقياً ببقاء الحق وأنه يكون سمياً بسمعه بصيراً ببصره حياً بحياته وهذا خروج عن الدين وانسلاخ عن الإسلام بالكلية وهذه

الباقي : الذي لا يموت أبداً ولا يهن ولا يتحول ولا يتغير واجب الوجود لذاته ولا حياة لغيره إلا به ، وذاكره يطول عمره ويشفى من مرضه ويستتر في باطنه وينظر في مستقبله ويطمئن إلى ربه .

الوارث : الذي تؤول إليه ملكية جميع الأشياء بحكم بدنها من إيجادها وإنشائه ولكونه سبحانه وتعالى الباقي الذي لا يزول ولا يتحول ولا يموت أبداً وهو الذي يورث خلقه جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الأرض ومن عليها بانتهاء الخلق المقدر ظهوره وتكليفه فتبدل الأرض غير الأرض فلا يبقى للخلق من نشأتها وسعيها وتعميرها الأرض إلا ميراث العمل الصالح ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لآياتاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وذكره يورث في القلب الزهد والعفاف والتقى ويجعل ذاكره سيداً في قومه .

البدعة أشنع من قول النصرارى حيث قالوا إن للكلمة البديمة اتخذت بذات عيسى وهذه البدعة توازي قول الحلولية حيث جوزوا على ذات الحق سبحانه الحلول في الأشخاص المحدثه كذلك هؤلاء جوزوا قيام الصفة القديمة بالذات المحدثه وربما تعلقوا في نصره هذه المقالة الشنيعة بما روي في الخبر عن الله تعالى إذ قال فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً في يسمع وبى يبصر ولا احتجاج لهم في ظاهره لأنه ليس فيه أنه يسمع بسمعي ويبصر ببصري بل قال بى يسمع وبى يبصر فالاتفاق أن ذاته لا يجوز أن تكون لأحد سمعاً ولا بصراً فإذا تركوا الظاهر لم يبق إلا التأويل فالواجب الإشتغال بالتأويل الصحيح دون الباطل وإنما حملنا على المبالغة في شرح هذا الفصل ما رأينا من الواجب علينا في نصره الدين ونحن في زمان يناظرنا فيه من ليس له تحقيق ولا تحصيل ولما كثر من إغترار أهل الغباوة بما قد سوها من التنبيس وغلب عليهم من قلة التحقيق وشدة التهويس حتى أن منهم من يقول إن معرفة العبد ليست بمخلوقة وروحه ليست بمخلوقة وإنما أصل هذه البدع الفاسدة والأقاويل الركيكة الباطلة قول من قال لفظ العبد وقراءاته القرآن ليس بمخلوق وإنما جوز هؤلاء الحشوية أن يكون قرآن قديم يوجد على لسان العبد ويسمع من المخلوق وارتقى هؤلاء المهوسون وتوهموا أنهم زدوا على إخوانهم في التدقيق وقالوا إن العبد يكون باقياً ببقائه سبحانه سميعاً بصيراً بسمعه وبصره قال النصر أباضي رحمه الله تعالى الحق سبحانه وتعالى باق ببقائه والعبد باق ببايقائه ولقد حقق رحمه الله تعالى وحصل وأخبر عن نكتة المسئلة وفصل وأما الوارث فهو الباقي بعد فناء الخلق يفني الأولين والآخرين من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين ثم يقول لمن الملك اليوم ويحيب نفسه بقوله :

﴿ الله الواحد القهار ﴾ .

* * *

في معنى اسمه « الرشيد »

الرشيد من أسمائه تعالى ورد به الخبز الوارد في تفصيل أسمائه ومعناه المرشد وإرشاد الله تعالى لعبده هدايته لقلبه إلى معرفته . هذا هو الإرشاد الأكبر الذي خص به أوليائه من المؤمنين قال الله سبحانه ﴿ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ وبعد هذا إرشاده لعباده في الآخرة إلى الجنة ثم إرشاده لهم اليوم إلى إختيار طريق طاعته والتوقي عن مخالفته ثم إرشاده إياهم لما فيه صلاح أحوالهم من إنتظام أسباب معاشهم قال الله سبحانه ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ وأمارة من يرشده الحق لإصلاح نفسه أن يلهمه حسن التوكل عليه وتفويض أموره بالكلية إليه واستجارته إياه في كل خطب واستخارته في كل شغل كما أخبر سبحانه عن موسى عليه السلام حيث قال .. « ولما توجه للقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل » هكذا ينبغي للعبد إذا أصبح أن يتوكل على ربه فلا يستقبله شغل إلا فزع إليه ونظر إلى ما يرد على قلبه من الإشارة من قبله فتندفع عنه الأشغال ويكفيه الله تعالى جميع الأمور فإن رجع بعد ما أرشده الله تعالى إلى هذا عاتبه الله تعالى بما يعلم أنه كان منه سوء أدب حتى يعود إلى سكونه وترك اختياره واحتياله . يحكى عن بعضهم أنه قال : كنت مع إبراهيم بن أدهم في السفر وقد أصابنا الجوع فأخرج كتاباً كان معه بعدما نزلنا في مسجد فقال لي مر وارهن هذا الكتاب وجئنا بشيء نأكله فقد مسنا الجوع قال فخرجت فاستقبلني رجل بين يديه بغلة موقرة وكان يقول الذي أطلبه رجل أشقر طويل يقال له إبراهيم بن أدهم فقلت له أيش تريد منه

الرشيد : الحكيم الذي ليس في أفعاله عبث ولا هو ولا بهل ييب الرشيد والصلاة لمن يشاء من عباده قال سبحانه وتعالى ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل كنا به عالمين ﴾ وذكرة يقبل الله توبته ويصلح له عمله ويكون من المحسنين .

فقل : أنا غلام أبيه وهذه الأشياء له فدللته عليه قال فدخل المسجد وأكب على رأسه ويديه يقبلهما فقال له إبراهيم من أنت فقال غلام أبيك وقد مات أبوك ومعني أربعون ألف دينار ميراثك من أبيك وأنا عبدك فمر بما شئت فقال إبراهيم إن كنت صادقاً فانت حر لوجه الله تعالى والذي معك كله وهبته لك انصرف عني فلما خرج قال يا رب كلمتك في رغي فصببت علي الدنيا فوحقك لئن أمتني من الجوع لا تعرضت بعده لطلب شيء أبداً . أنظر كيف أرشده الله تعالى بحسن الإشارة على قلبه لما رأى في إتمام ما قصده من طريق زهده . ومن إرشاد الله تعالى للبعد تثبيتته إياه على طريق الملازمة والاستقامة حتى لا ينقص عزمه ولا يفسخ مع الله عز وجل عقده . يحكى عن بعضهم أنه قال : صحبت إبراهيم بن أدهم في طريق مكة وتشارطنا أن لا ننظر لأحد إلا الله تعالى فدخلنا الطواف يوماً وكان في الطواف غلام فتن الناس بحسن وجهه فإذا إبراهيم بن أدهم يديم النظر إليه فقلت له أيها الشيخ أليس قد تشارطنا أن لا ننظر إلا الله تعالى قال نعم فقلت فلم ذا تكثرت النظر إلى هذا الضبي الذي قد فتن الناس بوجهه فقال إنه إبني فقلت لم لا تتعرف إليه فقال شيء تركته لله لا أعود إليه مر أنت وسلم عليه ولا تجره بشأني ولا تدله على مكاني قال فمررت وسلمت عليه وقلت له من أنت فقال أنا ابن إبراهيم بن أدهم قيل لي إن أبي يحج كل سنة فحجنت لعلي أراه قال فرجعت إلى إبراهيم فسمعتة ينشد :

هجرت الخلق طراً في رضاكا وأيتممت الوليد لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إرباً لنا حن الفؤاد إلى سواكا

فصل : وأنه سبحانه أرشد نفوس الزاهدين إلى طريق طاعته وقلوب العارفين إلى سبيل معرفته وأرواح الواجدين إلى حقيقة صحبتته وأسرار الموحدين إلى حقيقة تطلع قربته لا حرماناً الله ما رزقهم ووفقتنا لما وفقهم بمنه ولطف صنعه .

* * *

في معنى اسمه « الصبور »

الصبور مما ورد به الخبر في أسمائه تعالى فإن صح ورود الرواية به فمعناه الخليم في وصفه لأن معنى الصبر في اللغة الحبس يقال قتل فلان صبراً وسمي شهر الصوم شهر الصبر أي شهر الحبس والصابر يكون على وجهين صابر عن شيء وصابر على شيء وكل واحد منها يحبس نفسه على ما يصبر عليه ويحبس نفسه عما يصبر عنه وفي صفة القديم سبحانه لا يصح حبس النفس ولكن يكون بمعنى تأخير العقوبة عن العباد وقد مضى طرف من الكلام في حلمه وتأخيره العقوبة عن العباد فأما رتبة العبادات في الصبر فعلى أقسام أولها التصبر وهو تكلف الصبر ومقاساة الشدة فيه وبعد ذلك الصبر وهو سهولة تحمل ما يستقله غيره من فنون القضاء وضروب البلاء وبعد ذلك الإصطبار وهو النهاية في الباب ويكون ذلك بأن يألف الصبر فلا يجد مشقة بل يجد روحاً وراحة قال الشاعر :

تعودت حسن الصبر حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

وأنشدوا :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب يا صبر صبراً

سمعت أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول إن محنة أيوب عليه السلام إنما كانت من عجز الصبر عن مقاومته ومثل هذا إنما يقال على سبيل ضرب المثل والأخبار عن نهاية حال العبد في الصبر وإلا فالصبر صفة ولا توصف بالعجز

الصبور : الذي لا يعجل وجعل الأمور والأشياء مرهونة بأوقاتها مع قدرته على إمبرازها جملة واحدة وفي ذلك جليل الحكمة وكريم الموعظة لخلقته حتى يصبروا ويصابروا ويهون عليهم كل شيء بالصبر . وذاكره لا تصيبه النكبات ولا تمسه الحسرات ويكون ربه في حوادث الدهر وليه .

والقدرة وقد قيل المحنة إذا دامت الفت سمعت الدقاق يقول ليس الصبر أن لا تذكر البلاء لفظاً ونطقاً وإنما الصبر أن لا تعترض على قدرته استقباحاً لذلك ونكراً وشاهدة ما أخبر الله تعالى عن أيوب بقوله سئى الضر ثم قال تعالى ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد﴾ وكان يقول رحمه الله تعالى علم الله ضعف هذه الأمة وأنهم لا يطيقون تحمل البلاء فجعل قصة أيوب سلوة لكل ممتحن يجبر عن شدة محنته ومقاساة صبره وقال جماعة من شرط الصبر أن لا تتنفس بخلاف الأذن تحت جريان حكمه وأنشدوا :

أن كنت للسقم أهلاً فأنت للشكر أهلاً
عذب فلم يبق قلب يقول للسقم مهلاً

قالوا حقيقة الصبر ترجيع البلاء من غير تعيس وقيل أن أيوب عليه السلام أن يوماً أنه فأوحى الله إليه يا أيوب شكوتني فقال إلهي إلى من ولم تسمع أنني فقال شكوتني إلى أعدى عدوك وهي نفسك سمعت الدقاق يقول في آخر عمره وقد قربت وفاته وهو في ألم شديد من علامات التأيد حفظ التوحيد في أوقات المحنة ثم قال معنى هذا الحديث أن يقطعك إرباً إرباً وأنت ساكن تحت جريان حكمه راض بنفوذ تقديره فيك وأمره وقيل ينبغي أن يكون الصابر في حكمه كالميت بين يدي الغاسل بقلبه كيف شاء وقيل فرق ما بين الحلیم وبين الصبور في صفة الخلق أن الحلیم من يتجاوز عن غيره بلا تكلف ولا مقاساة مشقة والصبور هو الذي يراود نفسه عن أخلاقها فيحتمل كرهها يحكى عن الأحنف بن قيس أنه قال أنا صبور ولست بحلیم وكان يضرب به المثل في الحلم حكى أنه كان يأتي من موضع وإنسان يتسفه عليه وهو يصبر فلما قارب محلته وقف وقال لذلك الرجل إن كان بقي في قلبك شيء فقله فإنني أكره أن يسمع شبان جيرتي ما تقول فيقابلونك بما تكره وأما ما يجب على العبد من الصبر فهو الصبر على ما أمر الله تعالى به من أوامره والصبر عما نهى عنه من محارمه والسكون تحت ما يجري قضاؤه به وقدره وفقنا الله تعالى لذلك بمنه ورحمته إنه على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وصحبه وعترته

وسلم تسليماً .

إنتهى كتابنا هذا ونحن على وصف الإختصار وسبيل الإيجاز ونسأل الله
تعالى العفو عما وقع فيه من الخلل إنه رؤوف رحيم والحمد لله على كماله .

* * *

1. **Introduction**

The purpose of this study is to investigate the impact of digital marketing on consumer behavior. The research is based on a survey of 1000 consumers in the United States, focusing on their usage of digital marketing channels and their purchasing decisions.

2. **Methodology**

The study employed a quantitative research approach, using a cross-sectional survey design. Data was collected through an online questionnaire distributed via email and social media platforms. The sample size was 1000, representing a diverse range of age groups and income levels.

3. **Results**

The results indicate that digital marketing has a significant positive impact on consumer behavior. Specifically, 78% of respondents reported using digital marketing channels (social media, email, and search engines) to discover products and services. Furthermore, 65% of respondents stated that digital marketing influenced their purchasing decisions, leading to an increase in sales volume and customer loyalty.

4. **Conclusion**

The findings suggest that digital marketing is an effective strategy for businesses to reach and engage with consumers. However, it is essential for businesses to tailor their digital marketing efforts to the specific needs and preferences of their target audience. Further research is needed to explore the long-term effects of digital marketing on consumer behavior and the role of digital marketing in the overall marketing mix.

محتوى الكتاب

٥	المقدمة
٨	سبب اهتمامي بشرح أسماء الله الحسنى
١٣	ترجمة مختصرة للإمام القشيري
		باب في معنى قوله تعالى
٢٥	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن
٣٠	رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده
٣٥	تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام
٤٣	سبح اسم ربك الأعلى
٥٠	اقرأ باسم ربك الذي خلق

باب في معنى اسمه تعالى

١٠٣	الغفار	٥٦	الله
١٠٥	القهار	٦٩	لا اله إلا الله
١٠٩	الرهاب	٧١	هو
١١١	الرزاق	٧٣	الملك
١١٥	الفتاح	٧٧	القدوس
١١٨	العليم	٧٩	السلام
١١١	القابض الباسط	٨٢	المؤمن
١٢٤	الخافض الرافع	٨٥	المهيمن
١٢٦	المعز المذل	٨٧	العزیز
١٢٩	السميع البصير	٩١	الجبار
١٣٣	الحكم العدل	٩٤	التكبر
١٣٧	اللطيف	٩٦	الخالق
١٤٠	الخبير	٩٩	الباري المصور

٢٠٦	المحيي المميت
٢٠٩	المحيي القيم
٢١٢	الواجد
٢١٥	الواحد الأحد
٢١٨	الصمد
٢٢٠	القادر المقتدر
٢٢٢	المقدم المؤخر
	الأول والآخر
٢٢٥	والظاهر والباطن
٢٢٩	البر
٢٣١	التواب
٢٣٤	المتقم
٢٣٧	العفو
٢٣٩	الرؤوف
٢٤٢	ذو الجلال والاکرام
٢٤٥	المسقط الجامع
٢٤٨	المغني المانع
٢٥٠	الضار النافع
٢٥٢	النور
٢٥٤	الهادي
٢٥٦	البيدع
٢٥٩	الباقي الوارث
٢٦٦	الرشيد
٢٦٢	الصور

١٤٢	الحليم
١٤٥	المعظم
١٤٧	الغفور الشكور
١٥٠	العلي الكبير
١٥٢	الحفيظ
١٥٤	المقيت
١٥٦	الحسيب
١٥٩	الجليل الجميل
١٦٢	الكريم
١٦٥	الرقيب
١٦٨	المجيب
١٧١	الواسع
١٧٣	الحكيم
١٧٦	لودود
١٧٩	المجيد
١٨٢	الباعث
١٨٤	التشهد
١٨٦	الحق المبين
١٨٩	الوكيل القوي
١٩٢	المتين
١٩٥	الولي
١٩٨	الحميد
٢٠٠	المحصي
٢٠٣	البديء المعيد

